

تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب
(تاريخ صقلية الإسلامية)

الدكتور

مدحت محمد عبد الحارث

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

٢٠٢٣ م

ابن حمديس

ذكرت صقلية والهوى ... يهيج للنفس تذكراها

فإن كنت أخرجت من جنّة ... فإني أحدث أخبارها^(١)

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٥ م ، ج٣ ، ص ٤١٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تباينت العلاقات التاريخية بين الشرق و الغرب وإن اتخذت الطابع الحربي العسكري عبر التاريخ في ظاهرها وهو الغالب على تلك العلاقة، فلقد انبرى العديد من الكتاب والمؤرخين للبحث في هذا الطابع العدائي وبيان أسبابه وأحداثه ونتائجه على كافة المناحي ، وكان من ضمن العلاقات المتباينة (التواصل الحضارى) الذى شمل وأثر على كل مناحى الحياة وخصوصا على الغرب .

فالتاريخ الإنسانى يشهد أنه كان لأغلب شعوب البحر المتوسط اليد الطولى في إرساء حضارة الإنسان فقد تناوبت هذه الشعوب العمل والابتكار على مسرح التاريخ ، فعندما أصبحت الحضارتان البابلية والمصرية ، اللتان بدأتا الخطوات الأولى في حاجة إلى قوة ابتكاريه جديدة وجدتهما في عبقرية اليونان ، وعندما انحدر اليونان وتخلفوا وكادت تطمس حضارتهم وتضيع ، وجدت الحضارة العربية تلك القوة الخلاقة الدافعة التي تناولت المشعل الذي كاد ينطفئ وتخبو ناره ، فأشعلوه من جديد وخطوا به نحو غايات جديدة وأسلموه بدورهم إلى أوربا وهو في أوج اشتعاله وفي قمة نوره))^(١) .

ومن خلال البحث التاريخى فى تاريخ العلاقات وجد المؤرخين أن هناك علاقات متعددة بين الشرق والغرب مثل العلاقات الدبلوماسية والإجتماعية والإقتصادية وتواصل حضارى ضخم بين شعوب الشرق والغرب كان له الأثر الفاعل على الحضارة الإنسانية، وذلك رغم الفعل العدائى الصدامى الذى يتبناه الغرب ضد الإسلام منذ العصور الوسطى حتى الآن، رغم الأيادى البيضاء للإسلام والمسلمين على أوربا، وأن الإسلام كان هو المصدر الأكثر تحفيزا لأوربا على التقدم .

ففى هذا المؤلف سوف نلقى الضوء على العلاقات التاريخية بين الشرق والغرب من خلال جزيرة صقلية والتي سوف نلقى الضوء على تاريخها بشكل عام تحت حكم المسلمين ، تلك الجزيرة التى شاء القدر أن تشهد على طبيعة العلاقة التاريخية ذات الظلال الممتدة بين الشرق والغرب لقرون طويلة والتي كان لها الأثر الواضح فى نهضة الغرب وحضارته الحديثة .

(١) جلال مظهر : حضارة الإسلام واثرها في الترقى العالمى ، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٤، ص٤٨٦ .

الفصل الأول

معايير انتقال الحضارة الإسلامية الي أوربا

في العصور الوسطى

- ١- الأندلس
- ٢- الحروب الصليبية
- ٣- صقلية (تاريخ وحضارة)

الفصل الأول

(معايير انتقال الحضارة الإسلامية الي أوروبا في العصور الوسطى)

الحضارة الإنسانية هي تراكم قيمى معرفي مادي وروحي لكل الشعوب، وهي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من أربعة عناصر: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطوع وعوامل الإبداع والإنشاء^(١)، والإنتاج الحضاري لا يقف عن حدود الإقليم، أو حدود القومية، فقد امتدت دولة الإسلام التي بدأت من شبه الجزيرة العربية^(٢) حتى حدود الصين شرقاً الى جنوب فرنسا غرباً، ومن خلال حركة الفتوحات الإسلامية استفاد العرب من فلسفة اليونان، ومن ثقافة الصين والهند، مع ما عندهم في ملامح فكرية عربية أصيلة فهضموا هذه الحضارات المختلفة وتولوها بالرعاية والبحث والتصحيح والتهديب، وأضافوا إليها الكثير من أفكارهم وابتكاراتهم، حتى بلغت غاية نضجها واكتمالها، وتميزت بملامح جديدة تتبع من منطلقات الدين الإسلامي، ونظريته الشاملة للكون والحياة وشؤون الناس، وهي نظرة تتجاوز الإطار الديني الذي يحصر الإسلام في العبادات وأداء الطاعات، إلى التربية الشاملة للفرد، وجعله إيجابياً في حياته الدنيوية، ساعياً للخير، وعمارة الكون، ناشدا مرضاة الله وجناته في الآخرة بقيم من القرآن الكريم منضبطاً بقوله تعالى " قُلْ إِنَّ

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج ١، ص ٣.

(٢) الجزيرة العربية : أكبر أشباه الجزائر في العالم، ويبلغ أكبر أطوالها ١٤٠٠ ميل وأكبر عرضها ١٢٥٠ ميلاً، وبلاد العرب هضبة واسعة ترتفع على مسافة ثلاثين ميلاً من البحر الأحمر ارتفاعاً فجائياً إلى ١٢٠٠٠ قدم، وتتدرج نحو الشرق انحداراً سهلاً في أرض جبلية جذباء حتى تصل إلى الخليج الفارسي. وفي وسط الجزيرة عدد من الواحات والقرى ذات النخيل، ويمكن الحصول على الماء بحفر الآبار. وشبه الجزيرة العربية هي موطن العرب قديماً وهي تقع في الجنوب الغربي من قارة آسيا يحدها البحر الأحمر شرقاً (بحر القلزم) والمحيط الهندي جنوباً والخليج العربي غرباً المعروف عند اليونان باسم (الخليج الفارسي) وحدها الشمالي خط وهمي يمتد في اصطلاح العلماء العرب من خليج العقبة حتى مصب شط العرب في الخليج العربي (بلاد الشام)، أرضها حرات (حجارة سوداء تكونت بفعل البراكين)، قسمت قديماً إلى خمسة أقسام هي تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، ولهذا الموقع أهمية كبيرة إذ كانت شبه الجزيرة العربية حلقة الوصل بين الحضارات القديمة، وسكن العرب كذلك في العراق من ضفة الفرات الغربية، حتى بلغوا أطراف الشام، كما سكنوا في فلسطين وسيناء إلى ضفاف النيل الشرقية حتى أعلى الصعيد، وغلب عليهم طابع البداوة والترحال. لمزيد من التفاصيل عن جزيرة العرب انظر المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٣، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩١/١٤١١، ص ٦٧ - ٧٠؛ محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ٨١ - ٨٢؛ جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٤، دار الساقى ١٤٢٢ هـ، ج ١، ص ٢٦٢؛ محمد النوى : الحياة الدينية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة مؤمنون للدراسات والأبحاث، ٢٠١٥، ص ٤؛ ول ديورانت : قصة الحضارة، ج ١٣، ص ٧.

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" (١) ، ويمكن إيجاز هذه الرؤية في هذا التعريف: " إنها القيم والأخلاق والعقيدة الخلاقة، والخصائص الإنسانية العليا؛ التي ينفرد بها الإنسان عن الحيوان، وتكون دافعا له إلى تسخير ما خلق الله فيما أمر به " (٢) .

ولم تكن الحضارة العربية الإسلامية مقلدة أو تابعة للحضارات التي سبقتها، بل ان رجال هذه الحضارة بحثوا واجتهدوا وابتكروا، متخذين ركائز دينهم الذي يدعوا إلى طلب العلم، مع جذورهم الفكرية الأصلية، فأضافوا ووجدوا عناصر جديدة دفعت عجلة التطور الحضاري إلى الأمام (٣)، وذلك طيلة العصور الوسطى ، والتي يري الكثير انها كانت فترة ركود وجمود ، فلم تصل أوروبا الي مستوي المدينة الرومانية في التاريخ القديم وخصوصا بعد أن دمرت من قبل الشعوب البربرية، ولم تصل حضارة الغرب الأوربي في العصور الوسطي الي درجة النضج في اواخر تلك العصور الا بعد ان اتصلت بالحضارة الاسلامية ونهلت من ينابيعها، حيث اعترف العديد من المؤرخين والباحثين بفضل العرب وأكدوا بأن أوروبا تدين للعرب بحضارتها، وأن منظومة القيم (٤) الإسلامية قد حلت محل المنظومة المسيحية وخاصة في مجالى القانون والإقتصاد .

وخلال الجزء الاكبر من العصور الوسطي انقسمت امبراطورية الروم او البحر المتوسط

القديمة الي ثلاث وحدات ثقافية مميزة :

١- العالم المسيحي الغربى

٢- العالم المسيحي البيزنطى

٣- العالم الإسلامى

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣ .

(٢) توفيق يوسف الواعي : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١، ١٩٨٨م، ص٤٠.

(٣) غوستاف لوبون : حضارة العرب، ترجمة : عادل زعيتير(بيروت ١٩٧٩) ٥٢٩، ٥٣٠؛ خليل ابراهيم السامرائي : دراسات في تاريخ الفكر العربي،الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦، ص٣٨٣.

(٤) القِيم : لغويا لها دلالات كثيرة فهي تعني: قِوَامُ الأمر أي مَلَكَهُ الذي يقوم به. وهي أيضا: قِيمٌ، أي مستقيم حسن، وهو المستقيم الذي لا زيغ فيه ، وقد وردت لفظة القِيم في القرآن الكريم بتشديد الياء، ولها دلالات كثيرة فهي فى مجملها تعنى الاستقامة وعدم الزيغ، كما في قوله تعالى: (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) أى الشَّرْعُ الْمُسْتَوِيمُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وفي التعريف الاصطلاحي، فإن " القيمة " هي الدافع الإيديولوجي الذي يؤثر في أفكار الإنسان وأفعاله "، وهي أيضا " تصور معين – واضح أو ضمني، خاص بفرد أو جماعة – للشئ المرغوب ". ابن منظور : لسان العرب ، ج ؛ سورة التوبة، الآية (٣٦)، وسورة يوسف، الآية (٤٠)، وسورة الروم، الآية (٣٠)؛ قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور، إيكه هولتكرانس، ترجمة: د. محمد الجوهري، د. حسن الشامي، سلسلة ذاكرة الكتابة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٩٥.

وتميزت هذه الثقافات الثلاث بوجود اختلافات عميقة في الابداع والاسلوب ، ومع ذلك احتوت تلك الثقافات علي امور كثيرة مشتركة . والموروث من العلوم والمعارف هو محصلة تمازج حضارات متعاقبة على مر العصور، لكل منها وجهة نظر دينية قوية ، وكان هناك قدر كبير من التبادل والتداخل بين الثقافات الثلاث في العصور الوسطي ومع ذلك لم يحدث ان تأثرت احدهما بشكل كبير بالثقافتين الأخيرتين فان الواحد منها صنعت قدرها بنفسها وحتى حوالي القرن الثاني عشر الميلادي كان العالم المسيحي في العصور الوسطي اكثر الثقافات الثلاث تخلفا وبداية وكان عليه ان يتعلم الكثير من الحضارة الاسلامية والبيزنطية وتشكلت التركيبة الاندماجية للتراث الكلاسيكي والمسيحي والروماني بطرق كثيرة بفضل الحضارتين الاسلامية والبيزنطية وفي القرنين الثامن والتاسع الميلادي كان احتكاك غرب أوروبا بالإسلام محصور في ساحة القتال الي حد كبير ولم يبدأ الغرب الاوربي في الاعتماد علي التراث والفكر والثقافة الاسلامية الي بعد ذلك .

ومن الثابت ان العرب الذين اندفعوا في القرن السابع الميلادي ليشيدوا دولة واسعة لم يكونوا مثل الجرمان الذين هدموا الحضارة الرومانية في الغرب الأوربي او حتي المغول الامبراطورية الوحشية التي هدمت انما سارت الحضارة في ركاب العرب اينما حلوا وصاحبتهم حيثما اتجهوا فهناك بلاد في المشرق والمغرب وصلت في العصور الوسطي الي حاله يرثي لها من الجهل والتأخر فتحويت بعد فتح العرب لها واستقرارهم الي مراكز حضارية يشع منها كنوز العلم وبريق المعرفة، وقد شهد كثير من المستشرقين على الفجوة الحضارية العميقة التي كانت تفصل بين المسلمين وأوروبا في هذه الفترة؛ فبينما كانت الأخيرة تتخبط في الوحل نهارًا والظلام ليلاً، كانت شوارع وأسواق العرب في الأندلس مرصوفة وتضاء ليلاً^(١) .

لقد كانت وسائل نقل الثقافة العربية والاسلامية الي أوروبا مختلفة . ربما كانت الحركة التجارية من اهم الوسائل استمراراً ومن اكثرها تأثيراً ومن المعروف ان سبل الحجاج كان يندفع من الغرب الي الاراضي المقدسة في فلسطين باستمرار، ثم ان الغارات الصليبية المتعصبة كانت من العوامل التي ساعدت علي اطلاق الغرب الأوربي علي حضارة الشرق وذلك علي رغم تلك الحروب من جو ملئ بالأحقاد ومن المعروف انه مع استقرار بعض الطوائف الصليبية في الشرق اعتمدت علي الزراعة والفنون والصناعات في ايدي اهل الشرق الوطنيين وعندما ابتدأ الصليبيون بمرور الزمن يظهرون شيئا من التفاهم للحياة العربية تيقنوا من التفهم للحياة العربية وللنظم الشرقية ولقد ظهر اثر الحروب الصليبية في الحمامات العامة والمستشفيات ومخازن الأدوية التي نشأت في

(١) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٥٢٩، ٥٣٠ .

أوربا علي مثال ما كان موجودا في الشرق وقد اخفقت الحروب الصليبية في ظل آثار العرب العلمية والعقلية الي أوربا ان اثرها في هذا المجال كان هزيلا ولكن الآثار العلمية والعقلية للحضارة الاسلامية تهيأت لها منافذ في نقلتها الي أوربا.

أما المعابر التي سلكتها الحضارة الاسلامية في طريقها الي أوربا ، فهي ثلاث معابر

رئيسية كبري :

١- الأندلس .

٢- الحروب الصليبية

٣- صقلية .

الأندلس وانتقال الحضارة الإسلامية لأوروبا

تقع شبه الجزيرة الأيبيرية في الجنوب الغربي من القارة الأوربية تفصلها من الشمال عن جنوب فرنسا جبال ألبرت أو البرتاب (Pyrenees) ويفصلها عن الجنوب حدوداً للقارة الأوربية عن إفريقية مضيق جبل طارق الذي يبلغ عرضه من الشرق إلى الغرب ١٣-٣٧ كم، وتقع سواحلها الشمالية والشمالية الغربية على المحيط الأطلسي عند خليج بسقايه (Biscay) وتقع سواحلها الغربية على المحيط الأطلسي، وتقع سواحلها الشرقية والجنوبية الشرقية على البحر المتوسط ويسمى بالبحر الرومي^(١)، وجزيرة الأندلس محاطة تماماً بمياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسي باستثناء شريط ضيق في الشمال يبلغ عرضه أقل من ثلاثمائة ميل ويتصل بالحدود الجنوبية لفرنسا حيث تقع جبال البرنيه^(٢) التي جعلت إسبانيا منعزلة تماماً عن أوروبا^(٣).

بدأ فتح الأندلس بعبور جيش طارق بن زياد وانتصاره على جيش القوط^(٤) في معركة وادي لكة قرب بلدة شريش^(٥) سنة (٧١٢هـ/٧١٢م)، وذلك بعد أن دامت المعركة ثمانية أيام وأنتصر المسلمون في نهايتها، واستمر طارق بن زياد في فتح الأندلس، حتى أتاه كتاب موسى بن نصير يطلب منه أن يتوقف عن الفتح وينتظره في المكان الذي يصله فيه هذا الكتاب، وكان ذلك في سنة (٧١١هـ/٧١١م)^(٦) وعبر موسى بن نصير البحر إلى إسبانيا في عشرة آلاف من العرب وثمانية

(١) عبد الرحمن على الحجى : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط ٢، دار القلم، دمشق بيروت ١٩٨١م، ص ٣٥، ٣٦.

(٢) جبال البرنيه : هي سلسلة من الجبال تمتد على مسافة ٤٤٠ كم من خليج بسكاي في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق ويبلغ إرتفاعها في أعلى قممها ٣٤٠٤ كم وسفوحها الشمالية تقع في فرنسا، بينما تقع سفوحها الجنوبية في إسبانيا، فهي تفصل شبه الجزيرة الأيبيرية عن فرنسا، وقد عبرت المراجع العربية عن جبال البرانس باسم جبل "اليرتاب" أو جبل "البرت"، وأن هذه التسمية مأخوذة من التسمية الاتينية (Portus) ومن الأسبانية (Puerto) ومعناها المنفذ؛ والمرور عبر بواباتها الأربع أمراً صعباً، ويزيد من صعوبته أن أقام بالجهة الغربية من هذه الجبال البشكنس، وكانوا يضايقون من يحاول عبور البرتاب من ناحيتهم، وفعلاً ذلك مع شارلمان (٧٦٨-٨١٤م) وأصابوه بنكبة في رونسفال، وقد تنبه العرب لذلك فكانت معظم غزواتهم من الناحية الشرقية. إينهارد : سيرة شارلمان، ترجمة وتعليق عادل زيتون، دار حسان، دمشق ١٩٨٩، ص ٧٤؛ عبادة كحيلة : الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٨، ٩.

(٣) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط ٢، مكتبة مديولى، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٤٨١؛ محمود شيت خطاب : قادة فتح الأندلس، دار المنار للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٨٨.

(٤) القوط : إحدى الجماعات الجرمانية وأكثرهم عدداً، جاؤا من إسكندناوه، وذلك في القرن الرابع قبل الميلاد، إنقسموا إلى قسمين، القوط الشرقيون وأستقروا في سهول روسيا، والغربيون إستقروا في أقاليم الدول الرومانية والبلقان؛ إبراهيم على طرخان : دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨، ص ٣٢.

(٥) شريش : من كور شذونة بالأندلس، بينها وبين فلشانة خمسة وعشرون ميلاً، وهي تقع عند مصب نهر الوادي الكبير في البحر المتوسط، وشريش متوسطة حصينة حسنة الجهات . الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٤٠.

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان، ص ٢٣٢.

آلاف من البربر، ونزل بولاية الجزيرة وذلك في (رمضان سنة ٩٣هـ / يونيه ٧١٢م) ، وسلك طريقاً غير الذى سلكه طارق بن زياد^(١) وتابع فتوحاته والتقى بطارق في مدينة طليطلة^(٢) وتابع الفتوحات إلى أن وصل أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك^(٣) (٨٦-٩٦ هـ / ٧٠٥-٧١٤م) بالعودة إلى دمشق^(٤)، فتمهل موسى في العودة حتى يتم إخضاع معاقل جليقية Galicia^(٥) فوصله كتاب آخر من دمشق يستدعيه ويأمرهما بتعجيل العودة، فأتجه موسى وطارق بن زياد صوب العاصمة الأموية دمشق وكان موسى قد ولى ابنه عبد العزيز على الأندلس قبل عودته منها^(٦)، وتعتبر ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير بداية عصر الولاة (٩٥-٩٧هـ / ٧١٣-٧١٥م)^(٧) ، وبعد سقوط الدولة الأموية في المشرق سنة (١٣٢هـ / ٧٤٩م) استطاع عبد الرحمن الداخل^(٨) (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٥-٧٨٨م) تأسيس الامارة الأموية بها ، ثم ازدهرت قرطبة في ايام بني امية ونافست

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج ٢، ص ١٣؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج ١، ص ٥٢.

(٢) مدينة طليطلة (Toledo) : كانت تسمى في اللاتينية "تولاطو" ، ومعنى طليطلة "أنت فارح" أو "فرح ساكنها" وذلك لحاصنتها ومنعتها، وهي من الجزيرة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة تدركها من جميع نواحيها، وتتميز بحصانيتها الطبيعية، حيث إنها تقع على هضبة صخرية ترتفع عن سطح البحر بأكثر من ٥٠٠م، ويحيط بها نهر التاجه من ثلاث جهات عدا الجهة الشمالية على شكل يقرب من ثلثي الدائرة بالإضافة إلى إحاطة نهر التاجه فإن طليطلة محاطة بسبعة جبال كما يذكر الإصطخرى، وأهمها جبل الشارات في شمالها وسلسلة جبال أوريتانا Cordiller Oretana في الجنوب، فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد، وموسى بن نصير سنة (٩٢هـ / ٧١٣م) وجعلوها قاعدة الثغر الأدنى للدولة الإسلامية وسقطت طليطلة في يد ملك (قشتالة) (الفونسو السادس) في المحرم سنة (٤٨٧هـ / ١٠٨٥م) . ابن الشباط : وصف الأندلس : تحقيق أحمد مختار العبادى، صحيفة الدراسات الإسلامية، إسبانيا - مدريد ١٩٦٧، مج ١٤، ص ١٢٠ ؛ حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦م، ج ١، ص ١٣٣؛ حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٨، ص ١- ١١.

(٣) الوليد بن عبد الملك : فهو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو سادس خلفاء بني أمية، بويح له بالخلافة، في منتصف شوال سنة ست وثمانين، وكان مغرمًا بالبناء، فتحت في أيامه الفتوحات الكثيرة. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج ١، ص ١٩٨؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت ١٩٨٦ م، ج ١، ص ٣٨٨ .

(٤) المقري : نفع الطيب، ج ١، ص ٢٧٥؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج ١، ص ٥٤ .

(٥) جليقية : أو اشثوريش (Asturias) أو (أستورياس تمتد من ولاية بسكونية شرقاً إلى المحيط غرباً، ومن خليج بسكونية شمالاً حتى نهر دويرة جنوباً وهي هضبة قاحلة، وأهلها أهل غدر ودناءة أخلاق وفيهم بأس شديد، . ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٧؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج ١، ص ٣٥٤ .

(٦) الحميدى : جذوة المقتبس، ص ٤؛ عبد الرحمن على الحجى : التاريخ الأندلسى، ص ١١٦ .

(٧) ابن عذارى : البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٢؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج ١، ص ٥٢ .

(٨) عبد الرحمن بن معاوية : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية، كنيته أبو المطرف، ولد بموضع يعرف بدير حسينة من دمشق، سنة (١١٣هـ / ٧٣١م)، ومات أبوه وتركه صغير السن، ودخل الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة أو نحوها، وبويح له بقرطبة يوم الأضحى من سنة (١٣٨هـ / ٧٥٥م) وتوفى سنة (١٧٢هـ / ٧٨٨م)، ودفن بقصر قرطبة، وقد بلغ تسع وخمسين سنة وقيل ستين سنة، فكانت مدة خلافته ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصف . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص ٩٣؛ الحميدى : جذوة المقتبس، ص ٩، ١٠؛ ابن الأبار : الحلة السراء، ج ١، ص ٣٥؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٧؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج ٢، ص ٧ .

في عظمتها القيروان وبغداد والقاهرة وبخاري ودمشق ، وخصوصا وأن الأندلس حظيَ باستقرار سياسي واضح في فترة الخلافة (عصر الناصر،^(١) والمستنصر،^(٢) والدولة العامرية^(٣))، وهي فترة لا تتعدى في مجملها مائة عام (٣٠٠ - ٣٩٩ هـ / ٩١٢ - ١٠٠٨ م)^(٤). كان له الأثر الحضاري العظيم على أوروبا بأسرها ، ومنذ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وصلت الأندلس لدرجة كبيرة من الثراء فهو أول من فخم السلطنة بالأندلس من انتقاء الرجال وشيد المباني وهو الذي بني جامع إشبيلية وسورها كان يقال لأيامه أيام العروس^(٥). والأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ - ٨٢٢ - ٨٥٢ م) هو أول من أمر بإنشاء دار الطراز في الأندلس ، وكسي الخلافة أبهة الجلالة ، وقام بشراء العديد من الكتب ، سواء القديمة أو الحديثة من المشرق الإسلامي^(٦) . وربما تكون هذه الكتب هي النواة الأولى لمكتبة الخلافة الأموية الكبرى في قرطبة والتي تألفت في القرن الرابع الهجري ، ، كذلك وجد في قصر الإمارة خزانة خاصة بكسوة الأمير، ويوجد في القصر خياطون لهم

(١) الناصر : هو عبد الرحمن بن محمد، كنيته؛ أبو المطرف؛ لقبه: الناصر لدين الله؛ أمه : أم ولد تسمى مزنة، ولي في اليوم الذي توفي فيه جده الأمير عبد الله وبويع له فيه، في مستهل ربيع الأول سنة (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م)، وهو أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس، وتوفي يوم الأربعاء لليلتين خلثا من شهر رمضان المعظم سنة (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)؛ فكانت خلافته (٥٠ سنة) وستة أشهر وثلاثة أيام؛ وكان عمره (٧٣ سنة) وسبعة أشهر . ابن الأبار: الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥، ج١، ص ١٩٧؛ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩ م، ج١، ص ١٨١ .

(٢) المستنصر: هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، كنيته: أبو المطرف؛ أمه: اسمها مهرجان؛ بويع له بعد موت أبيه لثلاث خلون لرمضان سنة (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) وأبدى اهتماما كبيرا بالعلم والعلماء وتوفي سنة (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) وكان عمره : (٦٣) سنة وسبعة أشهر فكانت دولته خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أيام . ابن الأبار: الحلة السيرة، ج١، ص ٢٠٠؛ خوليان ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس، ط٢، ترجمة الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٤، ص ١١ .

(٣) الدولة العامرية : قامت الدولة العامرية على يد محمد بن أبي عامر وذلك بعد أن تخلص من خصومه بعد وفاة الحكم المستنصر سنة (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) واتخذت الدولة العامرية شرعيتها من حماية الخليفة هشام المؤيد والحكم باسمه، وأنفرد محمد بن أبي عامر بالسلطة وتسمى في عام (٣٧١ هـ / ٩٨١ م) بالحاجب المنصور ودعى له على منابر المساجد، وقام ببناء مدينة الزاهرة سنة (٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م) وانتقل إليها سنة (٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة وإدارات الحكومة وحاشيته ووزراءه متخذاً سمة الملك فيها ، وقلد الحجابة لابنه عبد الملك سنة (٣٨١ هـ / ٩٩١ م) وكان عمر عبد الملك في الثانية عشرة من عمره، وتسمى المنصور كذلك في سنة (٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م) وتسمى بالملك الكريم، وأنتهت الدولة العامرية بمقتل عبد الرحمن بن المنصور في (الثالث من شهر رجب سنة ٣٩٩ هـ / الثالث من شهر مارس سنة ١٠٠٩ م) . لمزيد من التفاصيل عن الدولة العامرية ينظر : ابن عذاري : البيان المغرب، ج٢ ، ص ٢٧٢ - ٢٩٤؛ النويري : نهاية الأرب، ج٢٣ ، ص ٢٤٤؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام، تحقيق لفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٦ م، ص ٥٩-٨٣؛ السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢ م، ج١، ص ٢٥٩، ٢٦٠ .

(٤) عبادة كحيلة : الخصوصية الأندلسية، ص ٥١ .

(٥) ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ج١، ص ٤٥-٤٦؛ عبد العزيز الدوري، عبد الرحمن الداخل ، ٧٢ .

(٦) ابن عذاري : البيان المغرب، ج٢، ص ٩١؛ ابن سعيد : المغرب، ج١، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٣٥٢ .

عريف خاص^(١)، وأرسل بوفد من عنده لملك النورمان، سنة (٢٣٦هـ / ٨٤٥م) حملهم هدية فيها الكثير من الطرف واللطائف وخصوصاً من الثياب نالت إعجاب الملك^(٢)، و الخليفة الحكم المستنصر ، وعندما جاءت سفارة من أمير برشلونة الكونت بوريل سنة (٣٦٠هـ / ٩٧١م) Saunier وصرّفهم بجزيل الصلات وفاخر الكسي^(٣) ، والعجيب أن الإمبراطور " قسطنطين " حاكم بيزنطة لم يجد شيئاً يتقرب به إلي قلب الناصر حينما عزم علي عقد معاهده سوي أن يهديه كتاب (ديسقوريدوس)^(٤) .

أغدق الحكم العطايا علي البعيدين من العلماء والأدباء فوصلت صلته ابن يعقوب الكندي فيلسوف العرب وأبو الفرج الأصبهاني، وهذا الأخير تلقى منه، فيما يقال، ألف دينار ذهباً عينا ليرسل إليه نسخة من كتابه الذي ألفه في الأغاني، فأرسل أبو الفرج من كتابه هذا إلي الأندلس نسخة منقحة، قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق أو ينسب أحد منهم، وألف له أيضاً أنساب قومه بني أمية موشحة بمناقبهم وأسماء رجالهم^(٥). وكان " حريصاً علي اقتناء دواوينها ، يبعث فيها إلي الأقطار والبلدان "^(٦) وكان الحكم يسبغ رعايته علي سائر العلماء من مختلف الملل والنحل، مسلمين كانوا أو غير مسلمين. ومن شواهد هذه الرعاية أن الأسقف العالم ريثموندو الإلبيري، المسمي باسمه العربي، ربيع بن زيد، كان أثيراً لديه متمتعاً برعايته، لتبحره في علم الفلك، والعلوم الفلسفية، وهي من الدراسات التي كان يعني بها الحكم^(٧) ، فقد ألف الأسقف ربيع بن زيد، كتاب الأنواء، واشتهر باسم تقويم قرطبة، وأهداه إلي الحكم الثاني^(٨) ، وكان عدد فهارس مكتبته أربعاً وأربعين فهرسة في كل واحد خمسون ورقة، وربما بلغ عدد الكتب أربعمائة ألف مجلد. ولم يكن يفضل علماً علي آخر، ولذلك امتلأت خزائنه بكتب الحكمة والفلسفة والمنطق والطب، وأقبل الناس علي قراءة علوم الأوائل^(٩).

(١) ابن خلدون : العبر، ج١، ص ٣٢٩ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٦؛ ابن حيان : المقتبس، تحقيق مكي ، ص٣٥٠؛ المطرب، ص ١٣١-١٣٢، ١٣٦؛ حسين مؤنس، غارات النورمانديين علي الأندلس، ص٦٣.

(٣) عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٢، ص٤٩٠؛ لمزيد من التفاصيل عن دار الطراز في الأندلس أنظر : سالم بن عبد الله الخلف : نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٤) ابن حيان : المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن الحجى، ص١١٠؛ المقري : نفع الطيب، ج٢، ص ٦٩٢.

(٥) احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٠، ص٤٥ - ٤٦.

(٦) ابن الأبار : الحلة السيرة، ج١، ص ٢٠١ .

(٧) عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٢، ص٥٠٧ .

(٨) خوليان ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس، ص ١٦٥.

(٩) احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، ص٤٦ .

حتى العمارة تطورت كثيراً في الأندلس ، وبنيت العديد من القصور مثل قصر قرطبة وقصر الرصافة ، وقصر الكامل والحائر والمبارك والزاهر والمعشوق والمجد والرسوق وقصر السرور والتاج وقصر البديع وقصر المؤنس وقصر البديع وقصر الزهراء وقصر الخلافة (١).

ونمت قرطبة نمواً عظيماً حتى بلغ عدد سكانها أكثر من خمسمائة ألف، وبلغت مساجدها ثلاثة آلاف مسجد، ومنازلها أكثر من مائة ألف، وحماماتها العامة أكثر من ثلاثمائة، وبلغت أرباضها أو ضواحيها ثمانية وعشرين، هذا عدا المدينة الوسطى ، حتى أن الراهبة السكسونية هروسوفيتا التي اشتهرت بنظمها في أواخر القرن العاشر، أشادت في قصائدها اللاتينية بمحاسن قرطبة ووصفتها بأنها " زينة الدنيا " (٢).

حيث أصبحت قرطبة قبلة الشعراء والكتاب والفنانين والعلماء ، وانشأ حكامها مدارس الطب والفلسفة والعلوم والفنون فأصبحت موطناً للعلوم وأصبح بها عدد ضخم من المستشفيات والأطباء والصيادلة والكيميائيين وعلماء النبات والرياضيات والفلك والفلسفة وكانت جامعة قرطبة ومكتباتها مراكز للعلوم والترجمة من اليونانية والهندية إلى العربية وقام أمراء بني أمية وخلفائها مثل الخليفة الحكم المستنصر في طلب العلماء والكتب (٣) من جميع مراكز العلوم في اليونان وبيزنطة ومراكز الحضارات الثقافية في البلاد العربية لشراء أحدث مؤلفات الكتب، حتى ليروي انه كان في الأندلس أيام الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦٠-٩٧٦م) سبعون مكتبة عامة تحوي مئات الآلاف من الكتب في مختلف حقول المعرفة الإنسانية ، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة ، هذا فضلاً عن مكتبة قرطبة المركزية، وأصبحت قرطبة يوماً قبلة العلماء والطلاب في المشرق والمغرب ، وقد كان من أسباب الازدهار العلمي في الأندلس إنها لم تكن في أي وقت من الأوقات بمعزل عما يجري في حواضر العلم العربية الإسلامية ، مما جعل لأهل الأندلس معارف شتى في القضاء واللغة وآدابها وعلومها والمعاجم والتراجم، والتاريخ والسيرة والجغرافية، وأفوا في علوم الطب والحساب

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكي ، ص ١٦٣-١٦٤.

(٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص ٩٢؛ المقتبس، تحقيق شالميتا، ص ٤٢٣، ٤٥٩، ٤٦٩، ٤٨٥؛ المقرئ: فح الطيب، ج ١، ص ٤٥٨ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج ٢، ص ٤٤٨.

(٣) حيث أرسل عبد الرحمن الأوسط العلماء لالتماس الكتب القديمة فجاء إليه بكتب كثيرة منها (كتاب الزيج)، (وكتاب القانون)، (والسند هند)، (والأركند والموسيقا)، وسائر كتب الفلسفة والحكمة وكتب الطب وغيرها من كتب الأوائل وأيضاً (كتاب الفرش). وكان عبد الرحمن عالماً بالشرعية والفلسفة، كما كان شغوفاً بكل ما يتصل بعلمي الفلك والرياضيات، وأرسل الخليفة الحكم المستنصر لبعض العلماء للقدوم إليه في الأندلس مثل أبي علي القالي صاحب كتاب " الأمالي " الذي ترك العراق ورحل إلى الناصر الأموي واستقبله استقبالاً طيباً في قرطبة. ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٧٨، ص ٢٣٩.

والهندسة والفلك والكيمياء والمنطق والفلاحة والملل والنحل، وفي الفلسفة والموسيقا، بحيث لم يتركوا حقلاً من حقول العلم والمعرفة إلا طرقوها^(١)

لقد دام حكم العرب المسلمين للأندلس ما يقارب الثمانية قرون (٩٢ - ١٩٧ هـ / ٧١٠ - ١٤٩٢ م) أعطى خلالها الإسلام باستناده على فكره الكوني، وعلى قيمة الإنسان في الأرض بأنه خليفة الله سبحانه، ومنهجه القائم على إعمار الأرض، بالإضافة لصفة التسامح لمفهومه الديني، ثماراً عظيمة في بلاد الأندلس التي ازدهرت حواضرها بالعلوم، فأصبحت قرطبة في عصر الخلافة الأموية (٣١٦ - ٤٢٢ هـ / ٩٢٨ - ١٠٣٠ م) عاصمة الإسلام السياسية الأكثر سطوعاً في ذلك الوقت والأكثر تحضراً في أوروبا كما يشير المؤرخ المشهور (رامون منندث بيدال)^(٢).

بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس في العام ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م، عمت حالة الضعف والتجزئة والانقسام السياسي بقيام دويلات الطوائف^(٣)، فانفرط عقد الوحدة في الأندلس، فبعد أن كانوا يخضعون لمظلة دولة واحدة، تمتد من نهر دويره شمالاً إلى مضيق جبل طارق جنوباً، ومن البحر المتوسط شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً تناثر هذا الكيان إلى أشلاء ممزقة^(٤)، وفي هذا يقول المراكشي "وأما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بنى أمية: إن أهلها تفرقوا فرقاً، وتغلب في كل جهة منها متغلب، وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه، وتقسّموا ألقاب الخلافة، فمنهم من تسمى بالمعتضد، وبعضهم تسمى بالمأمون، وآخر تسمى بالمستعين، والمقتدر، والمعتصم، والمعتمد، والمتوكل"^(٥).

(١) كريم عجيل: الحياة العلمية في بلنسية، جامعة بغداد، ١٩٧٥ م، ص ٢٦٣.

(٢) عبد الرحمن علي الحجي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ص ٢٤.

(٣) بلغ عدد هذه الدول أكثر من ثلاث وعشرين دولة، ولها ثلاث اتجاهات عصبية وهي البربر في الجزء الجنوبي، والصقلية في الجزء الشرقي، أما باقي الأندلس فكانت تحت حكم العرب، ومن أهم هذه الدويلات دولة بنى جهور في قرطبة (٤٢٢ - ٤٦٠ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٦٨ م)، دولة بنى ذى النون في طليطلة (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٧٥)، دولة بنى عباد في إشبيلية (٤١٤ - ٤٨٤ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٩١ م)، دولة بنى الأفضس في بطليوس (٤١٣ - ٤٨٧ هـ / ١٠٢٢ - ١٠٩٤ م) دولة بنى زيرى في غرناطة (٤٠٣ - ٤٨٣ هـ / ١٠١٢ - ١٠٩٠ م) ودولة بنى هود في سرقسطة (٤١٠ - ٥٣٦ هـ / ١٠١٩ - ١١٤١ م) بالإضافة إلى هذه الدول الرئيسية فقد كان الديد من المدن والأقاليم التي أعلنت إستقلالها وهي: دولة بنى برزال في قرمونة (٤٠٤ - ٤٥٩ هـ / ١٠١٣ - ١٠٦٧ م)، دولى بنى البكرى في جزيرة شلطيّش (٤٠٣ - ٤٤٣ هـ / ١٠٢٦ - ١٠٥١ م)، دولة بنى خرزون في أركش (٤٠٢ - ٤٦١ هـ / ١٠١١ - ١٠٦٨ م). لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٣؛ ص ٤٦٠ - ٤٦٤؛ أحمد مختار العبادى: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٨٩ - ٩٦.

(٤) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية، ص ٢٧٢.

(٥) المراكشي: المعجب، ص ١٠٥.

إلا ان هذا الأمر لم يؤثر سلباً على النشاط العلمي ، بل على العكس كانت له آثاره الايجابية النابعة من موقف العديد من ملوك الطوائف الذين تميزوا بحبهم للعلم والعلماء ، حتى غدت بلاطاتهم الملكية عبارة عن منتديات علمية وأدبية، وكان على رأسهم المعتمد بن عباد^(١) .

وبعد زوال حكم دويلات الطوائف سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م ، وسيطرة دولة المرابطين^(٢) ، ومن بعدهم الموحيدين^(٣) سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م على الأندلس لم تتأثر الحركة العلمية بتلك التقلبات السياسية ، بل ازدادت سعة ونشاطاً ، لاسيما في عصر الدولة الموحدية الذي اتسم بحرية الفكر ، حيث وجه حكام هذه الدولة اهتماماً كبيراً للعلم والثقافة ، وبرز خلال هذا العصر عدد من العلماء ، ذاع صيتهم في أوروبا ، وما زال إلى الوقت الحاضر ، كابن طفيل ، وابن رشد ، وابن البيطار .

وبعد ان دبّ الضعف في دولة الموحيدين في الأندلس لاسيما بعد خسارتها في معركة العقاب سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م أمام مملكة قشتالة^(٤) ، التي عدت بداية النهاية لحكم الموحيدين في

(١) المعتمد بن عباد : ولد في كورة باجة تولى الحكم على إشبيلية بعد وفاة والده سنة (٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م) واستمر حتى (٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م)، كان شاعرا مجيدا، ذا خلال باهرة، اجتمع في بلاطه العديد من الشعراء مثل أبي بكر بن عمار، وابن زيدون، وابن اللبانة، وابن حمديس الصقلي ، كان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الأندلس ومتملك أكثر بلادها ، مثل قرطبة وإشبيلية، وكان - مع ذلك - يؤدي الضريبة إلى الأذفونش كل سنة ، واستعان بيوسف بن تاشفين لمواجهة ألفونسو السادس واستطاعوا هزيمته، وقام يوسف بن تاشفين بنفى المعتمد الى مدينة أغمات فى عبوره الثالث إلى الأندلس ، وتوفى المعتمد (١١ شوال / ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م)، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٨، ص٣٠٧-٣١٠ ابن خلدون : تاريخه، ج٤ ، ص ٢٠٣ ؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٣، ص ٤٨ ؛ السامرائى وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم، ص ٢٣٠ .

(٢) دولة المرابطين : قامت دولة المرابطين على أساس دينى ، يرجع تأسيس الدولة المرابطية إلى عبد الله بن ياسين الذى وضع نواة هذه الدولة معتمدا على قبيلة لمتونة، وهى إحدى بطون قبيلة صنهاجة البرانس، واتسعت دولة المرابطين على يد يوسف بن تاشفين المؤسس واعتمدوا على الجيش فى نشأة دولتهم، ونجحوا فى بسط سلطانهم على المغرب والأندلس، واستطاع الموحيدين الإستيلاء على دولتهم سنة (٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) . لمزيد من التفاصيل عن قيام دولة المرابطين انظر : ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٨٩؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص ٢٥٢ ؛ عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين فى نشر الإسلام فى غرب افريقيا، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٨م؛ علي الصلّابى : فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ٢٠٠٦ م .

(٣) دولة الموحيدين : قامت دعوة الموحيدين فى الشمال الإفريقي على إثر انتشار مذهب "المجسمة"،الذين كان أصحابه يفسرون الآيات التى يبدو منها تجسيم تفسيراً ظاهرياً لامجازياً ،وذلك فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى، على يد "محمد بن تومرت الهرغى "من قبيلة مصمودة ، والملقب فيما بعد بالمهدى ، المنتمى الى قبائل مصمودة الذين كانوا يسكنون ويشكلون معظم سكان المغرب الاقصى وهى قبائل كبيرة تمتد من شمال المغرب الاقصى الى جنوبه لمزيد من التفاصيل عن دولة الموحيدين انظر : المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ،تحقيق صلاح الدين الهوارى، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت ٢٠٠٦م؛ ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق تورنبيرج، طبعة أوبساله، ١٨٤٣ م ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخير ، ط٢، تحقيق خليل شحادة ، سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨ م ..

(٤) قِشْتَالَة (Castilla) هي الهضبة التي تشكل المركز والقلب في شبه جزيرة إيبيريا، وكانت هذه المناطق تسمى (بردوليا) ثم سميت فيما بعد باسم قِشْتَالَة Castilla، لكثرة الحصون التي كانت تقوم بها، وقد أصبحت وتشمل ثلثي

الأندلس ، الذي انتهى سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م ، بعد خسارة وسقوط الكثير من حواضر الأندلس بيد الممالك الاسبانية الشمالية ، وانحسار الحكم العربي الإسلامي ، وحصره في الجزء الجنوبي الشرقي في ظل حكم دولة بني الأحمر التي قامت على أنقاض دولة الموحدين (٦٣٥ - ٨٩٧ هـ / ١٢٣٧ - ١٤٩١م) واتخذت من غرناطة عاصمة لها ، حيث نشطت الحركة العلمية في غرناطة ، ومدن أخرى كمالقة والمريّة ، بسبب هجرة العديد من علماء المعاهد العلمية التي كانت منتشرة في المدن الساقطة بيد الاسبان ، هذا فضلاً عن رعاية حكام بني الأحمر للعلم والعلماء ، فقد كان الطب والرياضيات والفلك من العلوم الأساسية التي كانت تدرس في الجامع الأعظم في غرناطة ، وفي مدارس المدن الأخرى.

الأندلس وانتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا :

كانت طرق التواصل بين الأندلس وأوروبا سهلة ، وتمثلت بصور وأشكال متعددة ، مباشرة ، وغير مباشرة ، وهي :

اللغة العربية : انتشرت انتشاراً واسعاً بين الأسبان المعاشين للعرب ، ولم يكن قد مضى على الفتح العربي نصف قرن من الزمن ، وكانت هناك ازدواجية لغوية عربية ورومانية بين عامة الشعب الأندلسي، وأصبحت العربية الفصحى لغة الثقافة للاسبانيين، والى جانبها اللاتينية الفصحى والتي كان مجال استعمالها ضيقاً. وكانت اللغة العربية الفصحى لغة التعليم ، ولغة العلاقات الدولية وخاصة مع المشرق ، فكان التمكن منها شرطاً لتولى أى من المنصب العامة ، والتفوق فيها الطريق الوحيد إلى النبل المكتسب والوظائف العليا، وقد شكوا بعض الرهبان من إقبال أبناء ملتهم على تعلم اللغة العربية ولعلمهم بأدابها، وشكوى الراهب Alvaro ألفارو مطران قرطبة عام ٨٥٤ م معروفة، فقد بين فيها أن إخوانه في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة أشعار العرب وحكايتهم، وأن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها، ويقبلون عليها في نهم، وينفقون أموالاً طائلة في جمع كتبها، و ذكر يقول : " من الذى يعكف اليوم بين أتباعنا من المؤمنين على دراسة الكتب المقدسة ، أو يرجع إلى كتاب أى عالم من

مساحتها وقد تكونت بعد سقوط طليطلة فى يد إسبانيا النصرانية سنة (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) ، وهي هضبة جافة تقع بين مدريد عاصمة إسبانيا ومدينة طليطلة؛ وقد أصبحت قشتالة في القرن التاسع للميلاد إمارة مسيحية، عاصمتها مدينة برغش ، ثم انضمت إلى نافار و ليون سنة (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) تزوجت (إيزابلا) أميرة قشتالة بفرديناند الثاني ملك أراجون (Aragon)، فاتحدت إمارات قشتالة وأراجون وليون في دولة واحدة، وتم هذا الاتحاد عام (٨٨٤هـ / ١٤٧٩م)؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٤، ص٣٥٢؛ الحميرى : الروض المعطار، ص٤٨٣؛ السامرائى وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٣٩؛ محمود شيت خطاب : قادة فتح الأندلس، ج١، ص ٢١٠ .

علمائها ، ممن كتبوا فى اللغة اللاتينية ؟ من منهم يدرس الإنجيل أو الأنبياء أو الرسل ، إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حباً للغة العربية ، يبحثون عن كتبها ويقتنونها ، يدرسونها فى شغف ، ويعلقون عليها ، ويتحدثون بها فى طلاقة ، ويكتبون بها فى جمال وبلاغة ، ويقولون فيها الشعر فى رقة وأناقة . يا للحن ! مسيحيون يجهلون كتابهم وقانونهم ولاتينيتهم ، وينسون لغتهم نفسها ، ولا يكاد الواحد منهم يستطيع أن يكتب رسالة معقولة لأخيه مسلماً عليه ، وتستطيع أن تجد جميعاً لا يحصى يظهر تفوقه وقدرته وتمكنه من اللغة العربية " (١)

وبقيت اللغة العربية الاسبانية حتى القرن السادس عشر الميلادي فى اسبانيا. أي بعد إنهاء الحكم العربي الإسلامي فى الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢م، ومن أقدم المحاولات لرصد اثار اللغة العربية فى اللغتين الاسبانية والبرتغالية ما قام به فرانيسكو مارينا حين احصى الالفاظ القشتالية ذات الاصل العربي المختصر وذلك سنة ١٨٠٥، ثم أعد دوزي وانحلمان المعجم اللغوي بعنوان ((معجم الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية)) وصدرت الطبعة الاولى منه سنة ١٨٦١ . ولف ايكيلاث ((معجم اشتقاقي للكلمات الاسبانية ذات الاصول الشرقية)) غرناطة ١٨٨٦.

ويقرر ليفي بروفنسال فيها أن اللغة الاسبانية وجدت نفسها مضطرة على أن تأخذ من اللغة العربية لتسطيع التعبير عن المفاهيم الجديدة وبخاصة فى مجال النظم والمؤسسات والحياة الخاصة. ويشير المستشرق مونتكمري واط على نحو تفصيلي الى ابعاد التأثير اللغوي للعربية فى فنون الملاحة والمنتجات الزراعية والمعادن فى ضروب حياة الترف فيؤكد أن أكثر اسماء الالات الموسيقية من اصل عربي مثل العود والقيثارة والربابة والنقارة مما يشير الى إن هذه الالات دخلت اوربا بواسطة العرب . وهو ما يؤكد الدكتور عبد الرحمن الحجي فى دراسته عن الموسيقى الاندلسية.

ومع هذا التداخل بين اللغة العربية واللغتين الاسبانية والبرتغالية يقرر عباس محمود العقاد ان هذه المفردات تملأ معجماً غير صغير ، ولكنه يرى أن العبرة ليست بدخولها فى صفحات المعاجم ولكن بدخولها فى الحياة الاجتماعية والمقاصد النفسية لانها لم تتمثل على الألسنة الا بعد أن تمثلت فى احوال ونوازع الاحساس والتفكير.

(١) عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٧م، ج١، ص ٢٧٠؛ حسين مؤنس تاريخ الفكر الأندلس .

وقد ترك الوجود العربي في الأندلس طابعه في مختلف مجالات الحياة ففي الإدارة نجد كلمات في اللغات الأوربية بألفاظها وأصولها العربية مثل خليفة Calife ، أمير Emir ، والي Vali ، وزير Visir ، رئيس Reis ، القاضي Alcaede ، المحتسب Almotocie ، كما انتقلت كثير من الكلمات والألفاظ العسكرية في الأندلس إلى أوربا مثل: القائد Alcaide ، أمير البحر Adbuirate ، الدليل Aldalil ، الطلائع Alataya ، القارة A. Igurdde ، الطائفة Aceifa ، العرض Alarde ، الرباط Rabate ، نفير Anafir ، الفارس Alfaro ، الدرقة [22] Aldorgu ، بارود Baroud ، طراد Tarffe ، جيش Djech ، غزوة Rozzia ، مرابط Marabout ، كما انتقلت (1) araque ومن التأثيرات العربية الواضحة استخدام صوتي الخاء والثاء . فالاسبانية هي الوحيدة التي تستخدمها بين اللغات اللاتينية وكذلك استخدام ال التعريف التي دخلت كثيرا من الكلمات، وكذلك تأثر الأدب ولا سيما ان هناك مجالات شائعة ليس من السهل أن تحدد ، ولكنها دالة بطبيعتها على العطاء العربي .

المستعربون :

وهم النصارى الإسبان الذين كانوا يتعايشون مع المسلمين ويتكلمون اللغة العربية ، وظلوا متمسكين بدينهم، وُسِّموا باسم المستعربين أو عَجَم أهل الذمة، وكانوا يُكُونون مجموعات كبيرة في قواعد الأندلس الرئيسية مثل قرطبة و إشبيلية⁽²⁾ وطليطلة⁽³⁾ وقد تحدثوا بلغة خاصة أُطلق عليها اسم " عجمية أهل الأندلس" وهي خليط من الأيبيرية القديمة واللاتينية والعربية⁽⁴⁾ .

وعُومِلوا معاملةً طيبةً وحصلوا على حرية دينية لم يتمتعوا بها من قبل، فأبقاهم موسى بن نصير على أموالهم وضياعهم، مقابل دفع الجزية، وكان لهم رئيس يُعرف باسم قومس⁽⁵⁾ أهل الذمة يعينه الحاكم الأموي⁽¹⁾

(1) العبادي أحمد مختار (في التاريخ العباسي والأندلسي) مطبعة دار النهضة بيروت ١٩٧١ ؛ عجيل كريم (الحياة العلمية في مدينة بلنسية) مؤسسة الرسالة بغداد ١٩٧٥؛ عبدالرحمن حكمت نجيب (دراسات في تاريخ العلوم عند العرب) مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٧ .

(2) إشبيلية: مدينة بالأندلس تمتاز بطيب هوائها وعضوية مائها وخصوبة تربتها وكثرة ثمارها ، وصيد البر والبحر ، فتحت على يد موسى بن نصير . الحميري : الروض المعطار، ص ٥٨ ، ٥٩ ؛ المراكشي : المعجب، ص ٨؛ ابن الشباط : وصف الأندلس، ص ١١٠ ، ١١١ .

(3) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٠٦، ١٠٧ .

(4) عبد البديع لطفى : الإسلام في إسبانيا، ص ٢٢-٢٧ .

(5) القومس : مشتقة من الكلمة القوطية comes ، وتعنى رئيس النصارى فى النواحي التى فتحها المسلمين أو صالحوا عليها؛ (ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ١، ص ١٣٠، حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٥٩ – ٤٦١ .

ولهم قاضٍ خاصٌ يفصلُ بينهم في الخصوماتِ ويُسمى بقاضى العجم وإذا اختصم ذمى مع مسلم فكان الاحتكامُ إلى قاضى الجندِ المسلم، وهو الذى عُرفَ بعد ذلك بقاضى الجماعة^(٢) ولهم طقوسٌ خاصةٌ تُسمى بطقوسِ المُستعربين^(٣) وسمحَ لهم المسلمون بممارسة شعائهم وطقوسهم الدينية بكل حرية^(٤)، واحتلَّ المعاهدةُ النصارى مناصبَ كبيرةً في الدولة والجيشِ مثل عمر بن قومنس (Comes) الذى كان كاتباً للأمير عبد الله، ولقد قام المستعربون بجهودٍ محمودة، في نقل الحضارة العربية إلى اسبانيا النصرانية ومن ثم إلى أوروبا، والمستعربون بحكم معرفتهم للغتين العربية واللاتينية كانوا أداة اتصال حضارى بين الحضارة البيزنطية والحضارة الإسلامية، وبين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأوروبية.

حيث أنهم ترجموا إلى العربية العديد من المؤلفات اللاتينية مثل كتاب ديقوريدس فى الطب، وكتاب باولوس هروشيوش (Adversus Paganus) الذى يتناول تاريخ الدولة الرومانية، والذى أشرف على ترجمته الفقيه قاسم بن أصبغ البيانى، مستعيناً بقاضى العجم وليد بن خيزران

ونقل المستعربين الحضارة العربية الإسلامية إلى الجزء الشمالى من الأندلس وجنوب فرنسا حيث أنهم منذ الفتح العربى الإسلامى لم ينقطعوا عن الهجرة إلى المناطق الشمالية فى اسبانيا حيث إخوانهم النصارى، فأسسوا العديد من الأديرة فى مملكة أشتوريس مثل دير ساهاغون الذى غدا أحد أهم المراكز المسيحية الكبرى خلال القرن التاسع الميلادى، ولقد ساهمت هذه الأديرة فى نقل الثقافة العربية وكذلك كان للطلاب المستعربين دور هام فى نقل العلوم إلى الشمال المسيحى مثل رونالدو دى فيلانوفى الذى نشر علوم الطب والكيمياء فى أوروبا، ولقد زادت هجرتهم فى القرن السادس والسابع الهجرى / الثانى عشر والثالث عشر الميلادى على عهد دولتى المرابطين والموحدين، فقد هاجر سكان بلنسية منها إلى قشتالة فى عام (٤٩٦ هـ / ١١٠٢م)، وخرجت طائفة كبيرة من غرناطة مع جيش الفونسو الأول المحارب ملك ارغونة عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥م وكما خرجت طائفة أخرى من اشبيلية إلى قشتالة عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦م وقد كان شأن هذه

(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ١٠٣.

(٢) الونشريشى: المعيار العربى والجامع العربى عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس، تحقيق محمد حجى، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٨٣م، ج ١٠، ص ٥٦.

(٣) حسين مؤنس: فجر الأندلس، دار العصر الحديث، دار المناهل، بيروت - لبنان ٢٠٠٢م، ص ٤٦٢.

(٤) ابن حزم: طوق الحمامة، تحقيق الطاهر أحمد مكى، دار الهلال، الرياض ١٩٩٤م، ص ١٣٣.

الهجرات وأمثالها انتشار الثقافة الإسلامية العربية بين نصارى الشمال الاسباني وساهم المستعربين فى نقل علوم الفلاحة و الفنون الهندسية والزينة والعمارة الإسلامية لأوروبا (١)

البعثات الأوروبية الشخصية والرسمية : التي توافدت على مراكز الحضارة العربية

الإسلامية فى الأندلس ، حيث كان الطلاب يشدون الرحال إليها ويقضون السنوات الطوال فى الدراسة والتتبع ، والاطلاع على مؤلفات العرب فيها ، وكان من ضمن هذه البعثات بعثة الأميرة اليزابث ابنة خال الملك لويس السادس ملك فرنسا (٢) ، وكذلك وفد إلى الأندلس الراهب الفرنسى (جبريت دي اورياك) (٣٢٧-٣٩٤/٩٣٨-١٠٠٣م) من أوفرنيا الذى وفد إلى الأندلس فى عصر الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) ، ودرس على أيدي العلماء المسلمين الرياضيات والفلك والكيمياء ، وكان له الفضل فى ادخال الأرقام العربية إلى أوربا حينما عاد إلى وطنه ، وقد تمكن فيما بعد بفضل مواهبه العقلية ان يتربع عرش البابوية فى روما تحت اسم سيلفستر الثانى (٣٩١ - ٣٩٤ هـ / ٩٩٩ - ١٠٠٣م) ، وكذلك ميخائيل سكوتوس الاسكتلندى الأصل ، والذى تعلم العربية فى طليطلة وقام بترجمة العديد من الكتب العربية إلى الاتينية مثل كتاب شروح فلسفة أرسطوطاليس لابن رشد (٣) .

كما أرسلت إلى الأندلس بعثات ذات طابع رسمى من قبل حكومات بعض الدول الأوروبية ، وأخذت هذه البعثات تتوالى على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد أخرى ، حتى بلغت سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م ، فى عهد الخليفة الناصر زهاء سبعمائة طالب وطالبة، وكانت إحدى هذه البعثات من ألمانيا ، ففي سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م أرسل ملك ألمانيا اوتو الكبير ، الراهب (جون) إلى قرطبة مبعوثاً إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر وأثناء مكوثه فيها لمدة ثلاث سنوات تعلم العلوم والثقافة العربية ، وحمل معه المخطوطات العلمية العربية.

وبعثة فيليب ملك بافاريا إلى الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦ - ٣٩٩ هـ / ٩٧٦-١٠٠٩م) بكتاب يطلب منه ان يأذن له بإرسال بعثة من بلاده إلى الأندلس للاطلاع على مظاهر التقدم الحضاري فيها والاستفادة منها ، فوافق الخليفة هشام ، وجاءت بعثة هذه الملك برئاسة وزيره المدعو

(١) مانويل جومث موريتو : الفن الإسلامى فى اسبانيا ، ترجمة لطفى عبد البديع ، سيد عبد العزيز ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت ، ص ٤٤٣ .

(٢) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، لبنان ٢٠٠٠ م ، ص ٤٧٨ .

(٣) جوزيف رينو : الفتوحات الإسلامية فى فرنسا وإيطاليا وسويسرا فى القرون ٨، ٩، ١٠ م ، ترجمة اسماعيل العربى ، دار الحدائة ، ١٩٨٤م ، ص ٢٥٢م ، هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٣٥٣ .

(ويلميين) الذي يسميه العرب وليم الأمين. وقد تألفت هذه البعثة من (٢١٥) طالباً وطالبة وزعوا على جميع معاهد الأندلس لينهلوا من مواردها الثقافية ، وتذكر الروايات بان ثمانية من أفراد هذه البعثة اعتنقوا الدين الإسلامي ومكثوا في الأندلس ورفضوا العودة إلى بلادهم ، ومن ضمن هؤلاء الثمانية ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس في ذلك الوقت ، وأنجبن عدداً من العلماء كان منهم عباس بن مرداس الفلكي .

وسار ملوك آخرون من أوروبا على هذا النهج ، فقد أوفد ملك ويلز بعثة برئاسة ابنة اخيه كانت تضم ثمانية عشرة فتاة من بنات الأشراف والأعيان ، وقد وصلت هذه البعثة مدينة اشبيلية برفقة النبيل (سفيلك) رئيس موظفي القصر في ويلز الذي حمل رسالة من ملكه إلى الخليفة هشام المعتمد بالله الذي خلع عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م وكان هدف هذه البعثة كما تقول الرسالة: ((فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا ولأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركان ...)). وقد استقبل خليفة الأندلس البعثة أحسن استقبال ، ورد على رسالة ملك ويلز ، وقد حظيت هذه البعثة باهتمام رجال الدولة الذين قرروا ان يتم الإنفاق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين^(١) .

كذلك عمد بعض ملوك أوروبا إلى استقدام علماء الأندلس لتأسيس المدارس ونشر ألوية العلم وال عمران. ففي خلال القرن التاسع الميلادي وما بعده وقعت حكومات هولنده وسكسونيا وإنكلترا على عقود مع حوالي تسعين من الأساتذة العرب في الأندلس بمختلف العلوم، وقد اختير هؤلاء من بين أشهر العلماء الذين كانوا يحسنون اللغتين الإسبانية واللاتينية إلى جانب اللغة العربية، ووقعت تلك الحكومات عقوداً أخرى مع حوالي مائتي خبير عربي في مختلف الصناعات ولا سيما إنشاء السفن وصناعة النسيج والزجاج والبناء وفنون الزراعة. ولقد أقام بعض المهندسين العرب أكبر جسر على نهر التايمس في بريطانيا عرف باسم (جسر هليشم Helichem) وهذه الكلمة تحريف لكلمة هشام خليفة الأندلس الذي أطلق الإنكليز إسمه على هذا الجسر عرفاناً بفضلله لأن أرسل إليهم أولئك المهندسين العرب. وكذلك كان المهندسون العرب هم الذين شيدوا قباب الكنائس في بافاريا،

(١) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ٤٧٨ .

ولا تزال توجد بإحدى المدن الألمانية (شتوتغارت) حتى اليوم سقاية ماء تدعى (أميديو Amedeo) وهو تحريف لكلمة أحمد المهندس العربي الذي بناها^(١)

التقارب السياسي والعلاقات الدبلوماسية : حيث سعت العديد من الدول الأوروبية إلى توطيد العلاقات مع الدول العربية الإسلامية في الأندلس لاسيما في عصر الخلافة الأموية ، في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي اجتمعت في شخصه مواهب عدة أهلته لان يكون حاكماً ناجحاً ، فهو سياسي مرن وقائد شجاع وإداري صلب ، تمكن من خلق نظام قوي ومتين داخل الأندلس ، وتحقيق سمعة سياسية في الخارج ، أهلته لان يكون موضع إعجاب وتقدير الشخصيات المعاصرة له والتي سعت إلى صداقته وإقامة علاقات ودية معه وكانت الدولة البيزنطية في مقدمة الدول الساعية إلى توطيد العلاقات مع الأندلس ، وقد عاصر الخليفة الناصر من أباطرة بيزنطة الإمبراطور قسطنطين السابع المشهور عنه اهتمامه بالعلوم والآداب وكتب الأقدمين ، وقد وصلت سفارتين من الدول البيزنطية إلى الأندلس كانت الأولى سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م ، حيث بالغ الناصر في تزيين بلاطه والاحتفال بالسفراء ورافقت هذه السفارة في طريق العودة بعثة من قبل الدول العربية في الأندلس كان على رأسها هشام بن هذيل يحمل جواباً من خليفته الناصر يؤكد على توثيق العلاقات بين البلدين ، وقد استغرقت سفارة ابن هذيل قرابة السنتين عاد بعدها إلى الأندلس وقيل : انه عاد صحبة سفارة ثانية سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م للإمبراطورية البيزنطية استقبلت بمثل حفاوة ما استقبلت السفارة الأولى ، ومن نتائج هذه السفارات دخول المؤلفات المهمة إلى الأندلس ككتاب الحشائش في الطب والصيدلة لديسقوريدس وكتاب هرودوت في التاريخ الذي يحوي أخبار الروم في العصور القديمة ، وقد استعانت الخلافة الأندلسية بالدول البيزنطية من اجل ترجمة هذين الكتابين ونقل اكثر من مائة سارية وتحف غريبة استخدمت في بناء وتزيين مدينة الزهراء.

وحرصت الدولة الرومانية المقدسة على إقامة علاقات دبلوماسية مع الدولة العربية الإسلامية في الأندلس ، فقد وصلت سفارة من قبل الإمبراطور الألماني اوتو الكبير ، إلى الأندلس ، وأوكل هذه المهمة إلى احد المستعربين الذين يجيدون اللغة اللاتينية إجادة تامة ويدعى رثوموندو أو ربيع بن زيد - إذ كان من عادة المستعربين اتخاذ الأسماء العربية إضافة إلى أسمائهم الأجنبية - وقد

(١) لمزيد من التفاصيل عن البعثات العلمية إلى الأندلس أنظر : مراكشي فهيمة : البعثات العلمية النصرانية إلى الأندلس ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة محمد بوضياف ، ٢٠٢١ - ٢٠٢٢ م ، ص ٣٠ - ٣٤ . ماحة على الإنترنت : <https://cutt.us/fhiRr> ؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص ٤٧٩

استقبلت هذه البعثة من الإمبراطور في بلاطه بمدينة فرانكفورت ، وأنهت مهمتها بنجاح وعادت إلى الأندلس برفقة سفارة ألمانية جديدة حملت توجيهات محددة إلى السفارة السابقة وتمكن السفير ربيع بن زيد (رثموندو) أثناء تواجده في ألمانيا ، من لقاء المؤرخ الألماني لوتيراند ، وحثه على وضع كتاب في التاريخ يهتم بإخبار وحوادث العصر.

التجار والعلاقات التجارية المتواصلة : فالتجار المسلمون الذين ظلوا قروناً يتاجرون مع الكثير من البلدان الأوربية ، ولقد دلت التنقيبات أخيراً على وجود عملات إسلامية في أوروبا الشمالية حتى فلندا . كما لا ننسى الرحالة المسلمون الذين طافوا في مختلف أنحاء العالم ومنها أوروبا أثر في نشر الحضارة العربية الإسلامية ، ثم فيما أنتجته رحلاتهم من تراث جغرافي أو كتابات تخص تلك الشعوب والأقطار التي زاروها ، كرحلة ابن فضلان وأبو عبيد البكري .

حركة الترجمة : ، والتي تعد قناة غير مباشرة ، ولكنها أثرت تأثيراً كبيراً في نقل أوروبا من عصر الظلام والتخلف إلى عصر الانبعاث والتقدم .

مرت حركة الترجمة بدورين ، الدور الأول : والتي تمت فيه ترجمة الكثير من المخطوطات إلى أما الدور الثاني ، فيشمل الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، ويبدأ من منتصف القرن الخامس إلى آخر القرن السابع الهجري / منتصف القرن الحادي عشر إلى آخر القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد مر هذا الدور بمرحلتين الأولى تمت فيها ترجمة العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية ، والمرحلة الثانية ترجمة العلوم العربية الإسلامية.

بعد ان استرد الأسبان بقيادة الفرنسيو السادس طليطلة عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥ م ، واتخاذها كعاصمة لمملكة قشتالة ، قامت فيها حركة ترجمة نشيطة ، وقد تم القيام بتخطيط برنامج شامل للترجمة عن طريق تأسيس معهد لترجمة الأعمال العربية إلى اللاتينية ، ويرأسه كبير الشاماسة في طليطلة المدعو (دومينيكوس غونديسينوس) والذي يذكر بالمصادر العربية بـ(دومنجو غنصالفة) والذي برز نشاطه ما بين عام ١١٣٠ وإلى عام ١١٨٠ م ، والذي يعد من أشهر رجال الترجمة في العصر الوسيط من العربية إلى اللاتينية عن طريق الاسبانية العامة .

استمر نشاط حركة الترجمة في طليطلة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وبعد مرور خمس سنوات على هزيمة الموحدين في معركة العقاب عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م ، انتشرت حركة الترجمة من العربية إلى الاسبانية ولا سيما في عهد الملك الفونسو العاشر الحكيم ، ملك ليون

وقشتالة (١٢٥٢-١٢٨٤م)، فترجمت كتب كلية ودمنة، وعشرات من كتب الفلك ولم تكن لغة الترجمات هي الاسبانية فحسب، بل لقد جعلها تبدو وكأن المؤلفين انفسهم كانوا من الاسبان ايضاً فقد سمي كتاب "غاية الحكيم" في التنجيم لمسلمة بن احمد المجريطي (ت: ٣٩٧هـ/١٠٠٧م) مثلاً بـ"الحكيم الاسباني" وكان لهذا اثره في قيام اللغة الاسبانية اولاً، ومن ثم تقدم الدراسات العلمية في اسبانيا وانتقالها الى اوروبا ثانياً، وأنشأ الفونسو الحكيم عام ١٢٥٤م جامعة اشبيلية وخصصها لدراسة العربية واللاتينية .

وفي مجال الرياضيات ترجمت اوروبا وترجمت مؤلفات الخوارزمي الى اللاتينية الذي اشتهر في اوروبا بكتابه (الجبر والمقابلة) الذي ترجمه الى اللاتينية (روبرت الشستري) عام ١١٤٥م، وظل هذا الكتاب يدرس في المدارس والجامعات الاوروبية حتى القرن السادس عشر الميلادي، ومن علماء العرب الذين لهم الفضل في مجال الجبر ابو بكر محمد بن جسن الكوجي (ت: ٤٠٧هـ/١٠١٦م) صاحب كتاب (الفخري في الجبر والمقابلة) ، من علماء العرب الذين اشتهروا في هذا المجال جابر بن افلح الذي برز اسمه عام ١١٥٠هـ/١٥٤٥م تقريباً في مؤلفه "حول حساب المثلثات الكروية"، وقاضي جيان، ابو عبد الله محمد بن معاذ الجياني (ت: ٤٨٦هـ/١٠٩٣م) واحرز اميران من اسرة بني هود بسرقسطة شهرة عظيمة لمواهبهما في الرياضيات والهندسة هما احمد المقتدر بالله، وأبنة يوسف المؤتمن الذي صنف كتاباً شاملاً في الهندسة سماه (الاستكمال)

وفي مجال علم الفلك والتنجيم، كان الارث الاندلسي غني في هذا المجال وكان هناك اتصالاً واضحاً في الدراسات الفلكية من القرن الرابع الى الثامن الهجري القرن العاشر الى القرن الرابع عشر الميلادي، فقد درسوا مواقع الاجرام السماوية وحركاتها، وتوصلوا الى العديد من الاكتشافات العلمية، والفوا الكتب فيها، وكان من اوائل علماء الفلك مسلمة بن احمد المجريطي (ت: ٣٩٧هـ/١٠٠٧م)، وفي النصف الاول من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، كان هناك رياضيون فلكيون بارزون هما احمد بن محمد بن السمع (ت: ٤٢٦هـ/١٠٣٥م)، وابي القاسم احمد بن عبد الله المشهور بابن الصفار (ت: ٤٢٦هـ/١٠٣٥م) كما كان هناك منجم هو ابن الرحال، وفي منتصف ونهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ظهر فلكيون بشكل متعاقب في اشبيلية هما جابر بن افلح، والبطروجي حيث برز الاول في كتابه "الاصلاح المجسطي" الذي ترجم الى اللاتينية والعبرية، اما الثاني فقد انتقد المفاهيم النظرية لبطليموس، وكان اكثر علماء الفلك اصالة

ونفوذاً في الاندلس، الطليطلي ابن اسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بالزرقالي (ت: ٤٩٣هـ/١٠٠٠م) الذي سيطرت افكاره الفلكية ومسالكه البحثية على تطور الفلك لمدة تزيد على قرون ثلاثة حيث اسهم في تطوير نوع جديد من الفلك الاندلسي يتميز بمزيج من العناصر الهندية (السند هند) والعناصر اليونانية (بطليموس) والعناصر الاسلامية (البتاني) فاضاف الافكار الجديدة (الارتعاش، حركة الاوج الشمسي، النموذج الشمسي باختلاف مركزي متغير، وتصحيح النموذج القمري البطليموسي) التي كان لها لها تأثير كبير للغاية في كل من المغرب واوروبا اللاتينية، وحياناً حتى المشرق .

وقد قام مجموعة من المترجمين الاوروبيين بترجمة كتب علم الفلك العربية الى اللاتينية، ومن اشهرهم الانكليزي (ادلار الباثي) و(افلاطون التيفولي) و(جيرار الكريموني)، وقد ترجمت قوائم الزيج والاعمال الفلكية الى غير اللاتينية احياناً كترجمة زيج البتاني (ت: ٣١٧هـ/٩٢٩م) الى الاسبانية بناءً على رغبة الملك الفونسو العاشر ملك قشتالة (١٢٥٢-١٢٨٤م) وسمي هذا الزيج (بالجداول الافنسية) الذي شاع استعماله في اوروبا لعدة قرون .

كما ان فكرة المراصد الفلكية اخذتها اوربا عن العرب ، فاول من عرف الات " طبق المناطق" لتعيين مواقع الكواكب في القبة السماوية ، والاسطرلابات الكونية ، هم الاندلسيون ، ويظهر ان اطباق المناطق وجدت لأول مرة في الاندلس في بداية القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي ، اما الرسائل الاندلسية الاولى حول هذه الالة فقد كتبها ابن السمع والزرقالي وابن الصلت ، ولربما كان ابو الصلت هو المسؤول عن انتشار هذه الالة في المشرق في اثناء اقامته الطويلة في مصر ، ذلك ان الرسالة المشرقية الوحيدة المنشورة حول (طبق المناطق) كتبها في القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي ، الفلكي جمشيد غياث الدين الكاشي ، وتوجد فيها تفصيلات تذكر بعمل الزرقالي وابن الصلت ، وقد ادخلت هذه الالة الى اوربا في وقت ابكر من ادخالها الى المشرق .

وفي مجال علم الطب فقد سيطرت المؤلفات العربية طوال القرون الوسطى لكون الطب العربي كان متفوقاً على الطب الاوربي الذي كان قائماً على السحر والشعوذة، فقد غدت بعض الاسماء العربية معروفة بصيغتها اللاتينية في هذا المجال مثل "ابن سينا" صاحب كتاب "القانون في الطب"، والرازي، وابن ماسويه، وموسى، واسحاق بن حنين، وابو القاسم الزهراوي وابن الرشد وابن زهر الاشبيلي(ت:٤٧٠هـ/١٠٧٨م) وولده ابو العلاء (ت: ٥٢٥هـ/١١٣١م)، وحفيده ابو مروان (ت:

٥٥٧هـ/١١٦١م)، وقد تمت ترجمة معظم أعمال هؤلاء الاطباء الى اللاتينية وفي اسبانيا، واصبحت كتبهم مشهورة في اوربا لتدريس الطب، فقد ظلت المدارس في اوربا تعتمد على كتب الرازي زمنياً طويلاً، كما كان قانون ابن سينا في الطب، موضع اهتمام الغرب ودراستهم منذ القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر وكان كتاب الحاوي للرازي احد الكتب التسعة التي تتكون منها مكتبة الكلية الطبية في باريس عام ١٣٩٥م، وقد بلغت الجراحة ذروتها في تاريخ الحضارة العربية على يد ابي القاسم الزهراوي في كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" وقد ترجم الفصل الخاص بالجراحة الى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي.

ويرتبط علم الطب بعلم الصيدلة ذلك العلم الذي طرأ عليه في الاندلس تطوراً كبيراً بفضل النص العربي لكتاب ديوسقوريدس "Matevia Medica" الذي اعده اطباء قرطبة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، في حين ترجم كتابا ابن وافد في العلاج بالحمامات والينابيع الطبية والعقاقير النباتية المفردة الى لغات نصرانية: الاول الى اللاتينية بعنوان "De Batneis" والثاني الى لغة القطلونية بعنوان كتاب العقاقير المفردة "Libre dw les medicines particulars".

ومن أشهر الجراحين: أبو القاسم القرطبي خلف بن العباس الزهراوي (ت ٤٠٤هـ/١٠١٣م) الذي جعله كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) من اكبر جراحي العرب واستاذ علم الجراحة في أوربا، في العصور الوسطى وعصر النهضة الاوربية حتى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، واشتهر ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) بكتاب (المغني في الادوية المفردة) الذي صنّفه بناءً على الاختبارات التي اجراها على النباتات التي جمعها من اسبانيا وبلاد الشام، ولهذا عرف ابن البيطار في أوربا بلقب (أبو علم النبات).

وأخذ العرب بنظام البيمارستانات (المستشفيات) فعني البوابات وملوك الغرب بإقامة المستشفيات على النظام العربي(١).

اما في الكيمياء فقد كانت مؤلفات جابر بن حيان اشهر ما تداوله الاوربيون في علم الكيمياء حتى القرن الثامن عشر الميلادي، ومن خلال هذه المؤلفات عرفت اوربا عمليات التكليس والتبخير، والتقطير والتبلور وتحضير الكثير من المواد الكيماوية مثل الشب واوكسيد الزرنيخ وغيرها، كما كانت لمؤلفات الرازي شهرتها مثل "سر الاسرار" الذي نقله (جيرار الكريموني) الى اللاتينية، وكان لنقل كتب احمد بن مسلمة المجريطي، صاحب كتاب (غاية الحكيم) في الكيمياء الذي ترجم الى

(١) الخطيب، تاريخ الحضارة، ص ٢٣٥. كامل، في الطب والاقربازين، ص ٥٤-٥٥.

اللاتينية في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي الى اللغات الاوربية. ان تلقى الاوربيون عن العرب تقسيم المواد الكيماوية الى نباتية وحيوانية ومعنوية، وما زالت المعدات العربية في مجال الكيمياء، والتي انتقلت الى الكيمياء الحديثة، تحت اسماءها العربية الاصلية.

اما في مجال الفلسفة فقد اهتم الغرب الاوربي كثيراً بالفكر الفلسفي، فقد شهد القرن السادس والسابع الهجري الثاني والثالث عشر الميلادي، ازدهار الفلسفة في الاندلس من خلال مولد مدرسة مهمة من الفلاسفة تشمل شخصيات كأبن باجه، ابن طفيل، وابن رشد وهو اعظم فيلسوف اندلسي ترك اثراً واضحاً في الغرب، وقد ادى العرب المسلمين دور مزدوج، فعن طريقهم عرفت اوربا في القرنين السادس والسابع الهجري الثاني عشر والثالث عشر، مؤلفات ارسطو، واجزاء من فلسفة افلوطين وايرقلس، ومعالم عن فلسفة افلاطون، اذ قام المترجمون في طليطلة بترجمة كتب هؤلاء الفلاسفة، وهذا ما ادى الى خضوع الفكر الاوربي لفلسفة ارسطو خضوعاً تاماً .

وأثر العرب المسلمين بطريق ثاني على الفكر الفلسفي الاوربي عندما ترجمت مؤلفاتهم الى اللاتينية، وبعض اللغات الاوربية الحديثة الناشئة وكان في مقدمة المترجمين (جيرار الكريموني) الذي قام بترجمة بعض رسائل الكندي فيلسوف العرب منها (رسالة في العقل) و(رسالة الجواهر الخمسة)، كما ترجم (رسالة في العقل) للفارابي، وترجم (يوحنا الاسباني) منطق ابن سينا، وترجم (هرمانوس المانوس) (شرح ابن رشد) على (كتاب الاخلاق) لأرسطو عام ١٢٤٠م وترجم شيخ المترجمين (غنصالفة) بمساعدة يوحنا الاسباني قسم (الطبيعيات) من كتاب (الشفاء)، وقسم (النفس) و(الالهيات) من الشفاء لابن سينا، وكتاب (مقاصد الفلاسفة) للغزالي، وكتاب (ينبوع الحياة) لابن جبرول.

وقد تأثر شيخ المترجمين الاوربيين (غنصالفة) بأراء فلاسفة الاسلام، وقد بدت واضحة في كتبه فقد تأثر بابن سينا، وابن جبرول في كتابه (صدر العالم) و(في خلود النفس) و(تقسيم الفلسفة) وفي (التوحيد) .

وتأثر مجموعة من الفلاسفة الاوربيين، بالفلاسفة المسلمين في القرنين الثالث عشر، والرابع عشر الميلادي، منهم البرتس الكبير (١٢٠٧-١٢٨٠م) الذي تأثر بأراء ابن سينا، وفهم فلسفة ارسطو من خلال مؤلفات الفارابي وابن رشد وابن سينا، والفيلسوف القديس توما الاكويني (١٢٢٥-١٢٧٤) الذي تأثر بالفارابي وابن سينا ، وبدا هذا التأثير واضحاً في (البراهين) التي اوردها ثبات وجود الله بطريقة العقل ، كما اخذ من ابن رشد فكرة ضرورة الوحي الالهي التي وردت

في كتابه (فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) و (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة) ، كما اخذ عن ابن رشد ايضاً مذهباً في النقل والعقل ، أي الصلة بين العقل والوحي ، فكلاهما يعترف بعجز العقل امام بعض الحقائق الالهية وبهذا فقد دشنت اعمال ابن رشد تيار الموازنة في جدلية الايمان والعقل مؤسساً بذلك ضرباً من ضروب الفكر الوسيطى واول من ادخل فلسفة ابن رشد الى اوربا (ميخائيل سكوت) ولم يأت منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي حتى كانت جميع كتب ابن رشد قد ترجمت الى اللغة اللاتينية ، ولم ينتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي حتى صار ابن رشد صاحب السلطان المطلق في كلية (بادوا) بايطاليا ، والمعلم الاكبر دون منازع .

اما اثر التصوف الاسلامي :

وكان لمحي الدين بن عربي اثر كبير على عقول النساك والمتصوفة من النصارى ، فقد دعى الى وحدة الاديان ، ووحدة حقائق الوجود ، وكان من بين تأثر به ، الفيلسوف الصوفي الالماني (جوهان اكهارث) الذي نشأ في القرن التالي لعصر ابن عربي (القرن الثالث عشر الميلادي) ، واثـر ابن عربي على الشاعر الايطالي (دانتي) الذي استمد مادة غزيرة لكتابه (الكوميديا الالهية) من التصورات الاخروية الاسلامية ، وبخاصة ما ورد منها عند ابن عربي..

وبدأ واضحاً اثر التصوف الإسلامي في نشأة التصوف الاوربي من خلال دراسات العلامة الاسباني (ميجيل اسين بلاثيوس) الذي وضح تاثير الصوفي الاندلسي ابن عباد الرندي (ت: ٧٩٢ هـ / ١٣٩٠م) على اراء الصوفي الاسباني (يوحنا الصليبي) ، وكان الرندي صوفياً على الطريقة الشاذلية ، ومشهوراً بشرحه لكتاب (الحكم) لابن عطاء الله الاسكندري المسمى " غيث المواهب العلمية في شرح الحكم العطائية" ، وهو كتاب يتضمن جملاً قصيرة فيها خلاصة التصوف .

وكان الادب الاندلسي ، لاسيما الشعر ، اثر كبير في نشأة الشعر الاوربي الحديث في اسبانيا وجنوب فرنسا ويأتي تاثير الزجل والموشح بالدرجة الاولى ، واول من ابتكر الموشح هو مقدم بن معافي القبري (ت : ٢٩٩ هـ / ٩١٢م) ثم تلاه شعراء اخرون امثال الاعمى التطيلي وابو بكر بن اللبانة ، ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم ، حيث وجدوا هؤلاء الشعراء انفسهم مضطرين الى نظم هذه الموشحات لانهم كانوا يعيشون في مجتمع يميل الى ما هو شعبي وادى ذلك الى ظهور الزجل الذي اشتهر به محمد بن عبد الله بن قزمان (ت: ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م) وهذان النوعان من الشعر هما اللذان اثراً في نشأة الشعر الاوربي ، كما يروي المستشرق الاسباني (خليان ريبيريا)

وحيثما نقلت أوروبا العلوم الإسلامية، ودرستها في جامعاتها التي لم تظهر إلى مؤخرًا كجامعات باريس وموتيليه لم تظهر قبل القرن الحادي عشر الميلادي، وجامعات فينا وبيزا ظهرت في القرن الرابع عشر الميلادي، فإنه بلا شك قد تأثرت هذه الجامعات ببعض تقاليد الجامعات العربية، وبخاصة الأندلسية، فقد قلدها في لبس الأدرية الخاصة بالأساتذة، وقلدها في منح الإجازات الجامعية (إجازة تدريس كما أن نظام المعيد، ووجود أساتذة مشهورين يدرس الطلبة على أيديهم هو نظام إسلامي، ويقول البعض أن لفظة بكالوريوس إلا تحريفًا للعبارة العربية، حق الرواية، أي حق التعليم بتحويل من الغير).

يقول مونتيكري واط: (لولا العرب وفكرهم وكتاباتهم ما كانت العلوم والفلسفة الأوروبية قد تطورت إلى ما وصلت إليه، فلم يكن العرب مجرد موصولين للفكر الإغريقي، بل كانوا ناقلين عباقرة لها، حفظوا المعارف التي تعلموها حية، ووسعوا في ميادينها، وكانت هذه العلوم قد وصلت قمتها عندما بدأ اهتمام الأوروبيين جدياً بحدود 1100م بتعليم فلسفة وعلوم أديانهم العرب، كما كان على الأوروبيين أن يتعلموا جميع ما يتمكنوا عليه من العرب قبل أن يحققوا تقدماً أكبر بأنفسهم).

وانتقلت الأساليب المعمارية والزخرفة ومعظم الفنون إلى بلاد الغرب حيث تشير عدد من الحقائق إلى المصدر الإسلامي لكل من الفكرة والشكل في كثير من الفنون التشكيلية الأوروبية.

وفي قصر بيدرو القاسي في اشبيلية يتكون من أشكال معمارية ترتبط بعامة الفن الإسلامي وفي الأشكال المعمارية الزخرفة المصنوعة من الجهد ويظهر اسمه وخدها بالأحرف العربية. واستخدمت الكنائس في طليطلة وسرقسطة أروقة مزخرفة مقصلة ومفتوحة مأخوذة من واجهات ومآذن ذات طراز إسلامي موغل في القدم بل إن هناك بناء عميق الأثر في مسيحية مثل النمبيتو في دير غواد يلوي يحمل في ثناياه آثار لا يتطرق الشك إلى أنها تمثل ملامح تم اعتبارها من أنماط إسلامية وهي برغش وهي واحدة من مراكز الحياة الإسبانية الرئيسية التي لم يصل إليها الحكم الإسلامي والتي كانت من مراكز حروب الاسترداد. وهم ديرلاش هو بلغاس في أوائل القرن الثالث عشر ليكون معلم تذكاريًا لألفونسو السابع وهو من قادة القشتاليين المعاون للنفوذ الإسلامي في الجنوب ولكن زخارف هذا البناء الصحيحة ليست مأخوذة بالكامل من نماذج إسلامية بل أن معظم أجزاءه الحقيقية صنع بأيدٍ إسلامية أو تقليد النماذج الإسلامية ويقتضي إنتاج الزخرف لعدة قرون متأثر بأساليب صناعة الحرف الإسلامي.

كذلك يوجد معبدان لليهود تم إنشائهم في طليطلة أثناء الحكم المسيحي لها قد زين بأساليب الزينة الإسلامية الصرعة ويعود هذا المعبدان إلي القرن ١٢ م ويعرف اليوم بكنسية سانتا ماريا لابلاذكا .

ومما يزيد الحيرة هو ان الحفاظ علي النماذج الإسلامية في وقت حدوث قمع للمسلمين المهم في وقت كان الفن القوطي القادم من الشمال يقتحم الساحة لم تأخذ الأشكال الإسلامية بالاضمحلال إلا مع ظهور عصر النهضة المصبوغ بالصبغة الايطالية .

وكانت المواقف المسيحية من الفنون الإسلامية مختلفة تتناسب والجو السياسي والاجتماعي حيث كان الاعتقاد ان فن المستعربين هو فن المسيحيين الذين كانوا يعيشون في ظل الحكم الإسلامي وتعد قضية حيث الفن مهمة لانها تمثل سيطرة فيها المسيحيين وذلك حيث أصبحت الثقافة الإسلامية لا تشكل تهديد لهم وتعني عبارة فن المدنيين : فن المسلمين التابعين لقد كان فن مرتبط بالمسلمين وقد علمت الزعامة الأوربية علي عودة انتشار الفنون الإسلامية ومن الامثلة علي ذلك هو مسجد في بأي المرجوم قرب أسوار طليطلة قد بني علي أنقاض كنيسة فتزقو طية .

لقد كان يشبه الانماط الأثرية في مسجد قرطبة الكبيرة وأبان سقوط والبطلة أواخر القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي بقيادة الفونسو الثامن أضيفت فيه ضحمة إلي خطة المسجد ذات المناظر التسع فتحول إلي كنيسة دائرية تضم في داخلها محرابا .

وحمل الاستخدام المبكر لأسلوب المدنيين في أنحاء أخرى من البلاد معني مشابهة ويعد تبني هذا الأسلوب في في قشتالة مرجعا لنجاح حروب الاسترداد وعند ارتفاع النمط الروماني في فن العمارة في الشمال المسيحي حيث كان في شقالاته جماعات مسلمة في قشتالة من النائيين وعمال الأجرة وجاء بعضهم مع ملوك اسبانيا المسيحية بوصفهم جزء من الثخوم وكان أجرهم اقل من اجر العاملين في إنشاءات النمط الروماني الذي كان سائد .

ويذكر في بناء كنيسة عند سان ثيرسو دي سهاغون بثلاث قباب من الحجر المنحوت يفترض أنها من النمط الروماني الذي يقام علي الطريق لأغراض الحج ونمط تم تشكيله في فرنسا وتصل الي اسبانيا لاستخدامه في المنشآت الدينية مثل كنيسة الأبرشية في فرومستا ثم أكمل البناء علي الطراز الأقوار الاجرية غير المفارقة وحواف الجدران التي تحاكي نمط طليطلة من الصعب رؤية التغير الكبير في البناء وأسلوبه التقني المهم أدي ذلك إلي اتخاذ النمط الروماني مرجعا للثقافة المسيحية الشمالية برمتها وليصبح ذا مغزى شرعي ووثيق الصلة يتدخين بناء الطوب وهو النمط الفني الغريب الذي اتبع لمحاكاة النمط الإسلامي في طليطلة المسلمة.

ونجد في كنيسة سان رومان في ظلطية أيضا صورة اخري من فن المبحثين ومن المعروف انه تم بنائها في سنة ١٢٢١ هـ / ١٢٢١ م علي الطراز نفسها لكنيسة سان رومان باستخدام رسوم تشكيلة غريبة في الداخل وكانت الرسومان دون إتقان في حيث كانت النقوش مطابقة للنصب التذكارية الإسلامية منها للمسيحية .

وتم استخدام نقوش وزخارف باللغة العربية وذلك قد يعود إلي الحكم الإسلامي القريب للمرتبة أو الاختلاط بين الرغبة إي سكان اسبانيا الإسلامي والمسيحي .

أدت هذه التصورات الي ذبوع نمط فن المدنين في عدد من المنشآت الملوكية اذ ليس من قبيل المصادفة ان تعطي راية الموحدين العسكرية المعروفة براية لاس نافا سدي تولوز الي دير لاس هويلغاس في يرعش فملاط الحصد الذي يضم اشكال طيور لطريقة غائرة واضافات تقليدية هي تضمنها التي وشي بها منبر مسجد الكتبية .

وقد أدمجت مبادئ الزخرفة التي دخلت فن المدجنين من خلال مصادر الموحدين أو التعريف في لغة قبة فنية عامة من الإشكال شارك فيها المسلمون والمسيحيون علي حد سواء .

اما عن فن التصفيح أو عقود فن العمارة الموجودة في سلمنقة تشبه زخارف الجهد الإسلامي ركن بمواد زخرفيه دخيلة وجديدة ويتضح ان عن المدخنين فن العمارة يحمل شواهد فنية علي حقبة غزيرة الإبداع في تشكيل الثقافة الاسبانية خاصة ويعكس الانحسار السياسي في الصبغة العرقية التي بدا في إسلامية وأضحت محلية وأصبحت تعني السيادة الأسبانية التي اختارت هذا الفن ممثلا لهذا الحضور لانتشاره الواسع زمانا ومكانا بوصفه تراثا فتبا بدأ بمجرد الحكم الإسلامي إلي اسبانيا .

وفي إطار الفنون يستشهد جوستاف لوريون بالحظ العربي فيقول (قد بلغ الخطر العربي من الصلاح للزينة ما كان رجال الفن من النصارى في القرون الوسطي في عصر النهضة كانوا يكثرون من استنساخ كل ما يقع من قطع الكتابات العربية علي المباني المسيحية تزيينا لها وقد شاهد مسيو لنجيرية ومسيو لافوا او غيرهما الشئ الكثير منها في ايطاليا حيث شاهد في مكان الأمتعة من كاتدرائية ميلانو بابيهيني علي طر ازوسم البيكارين بصيطرية اغريز حجري مؤلف من كلمة عربية مكررة عدة مرات وكتابة عربية حول رأس المسيح المصور فوق أبواب القديس بطرس والقديس بولس . التي أمر بانشائها البابا أوجيني الرابع وخطوط كوفية طويلة علي قميص القديس

بولس وبطري .. هذا وإذا كانت الزخارف العربية انتشرت كثيرا في منهج وروية العديد من الفنانين الأوربيين .

وكان الخطر العربي او هو احد أهم نتاجات الفن الغربي الإسلامي بما في إشكاله من تنوع وتعدد عني وقد ابرز كثيرا في رؤية وأعمال فناني أوربا حيث كان جيبوتيو من أوائل الفنانين الذين استخدموه في لوحاتهم وكذلك المصور الفلورانسي قليولبي الذي استخدم الكتابة العربية كزخرفة علي بيان الاستخدام كما استفاد الفلورانسي فيريكبو من الخطر العربي في زخرفة لوحة تبجيل الملوك المحفوظة في فلورانسا .

وكان الخط الكوفي بوجه عام ذا اثر قوي علي الفن المسيحي حيث جماليات الخطر وامكانياته استرعت اهتمام الفنانين الأوربيين منذ البداية وتظهر الكتابات الكوفية والنسخية في إشكاليات تعود للفن الزخرفي الأوربي في العصور الوسطي .

كما نقل احد يهود اسبانيا في القرن الثاني عشر وهو إبراهيم بن عزرا بعض المؤلفات العربية في مجال الرياضيات الي اللاتينية .

وقام اليهود والمستعمرين للأسبان بالعكوف علي ترجمة المؤلفات مثل دومونيقوس - جوند بيسالفي بطرس الفونسي - حنا الأستيلي . كما اقام البابا سلفستر الثاني الذي قضى سنوات في شمال اسبانيا بتشجيع الترجمة في المؤلفات العربية .

٢ - الحروب الصليبية

في خلال الحروب الصليبية^(١) أثبتت الحضارة الإسلامية أنها أرقى من الحضارة المسيحية في رقتها، وأسباب راحتها، وتعليمها وأساليبها الحربية^(٢)، وكان لإستيلاء الصليبيين على بيت المقدس وأنطاكية، وطرابلس، والرها، أثر واضح في اتصال شعوب أوروبا الذين حضروا إلى الشرق في الحملات الصليبية بالشعوب الإسلامية في الشرق على مدى ثلاثة قرون، فقد كانت الشام وأسيا الصغرى وما ارتبط بمسرحها من حروب صليبية ذات اثر فعال في ميدان فضل وتأثر الحضارات فالحروب الصليبية قد صاحبها فترات سلم كثيرة أملتتها الظروف فليس من المستغرب أن تزدهر العلاقات التجارية والثقافية والعلمية بين الصليبيين وبين المسلمين، فقد سمحت الحروب الصليبية طوال القرنين اللذين توصلت فيهما (١٠٩٦ - ١٢٩١م)، بأن يطلع الأوروبيون على الحضارة الإسلامية في نواحي الفنون العسكرية، والعمارة، والزراعة، والصناعة، والحياة الاجتماعية، ولذلك يؤكد لوبون أن "اتصال الغرب بالشرق مدة قرنين خلال الحروب الصليبية من أقوى العوامل على نمو الحضارة في أوروبا، ويرى تأثير الشرق في تمدن الغرب كان عظيمًا جدًا بفعل الحروب الصليبية، وأن ذلك التأثير كان في الفنون والصناعات والتجارة أشد منه في العلوم والآداب، ويذكر ول ديورنت أن حضارة جديدة عجيبة قد نشأت في سوريا وفلسطين المسيحيتين. ذلك أن الأوروبيين الذين استوطنوا هذين البلدين منذ عام ١٠٩٩ قد تزيوا شيئاً فشيئاً بالزي الشرقي، فلبسوا العمامة والفقطان اللذين يوائمان مناخ تلك البلاد ذات الشمس والرمال. وزاد اتصالهم بمن يعيشون في تلك المملكة من المسلمين، فقل بذلك ما بين الجنسين من تنافر وعداء، فأخذ التجار المسلمون يدخلون بكامل حريتهم البلدان المسيحية وبييعون أهلها بضاعتهم، وكان

(١) الحروب الصليبية : هي حرب دامت لحوالي مائتي عام (١٠٩٦ - ١٢٩١م) بين أوروبا المسيحية والشرق الإسلامي وتوعدت أسبابها من أسباب ظاهرية مفتراه مثل أن الحجاج المسيحيون يتحدثون عما يلقونه من ظلم وتحقير عند حجهم لبيت المقدس . وهناك قصة قديمة لا نجد ما يؤيدها، إن بطرس الناسك حمل رسالة إلى إربان الثاني Urban من سمعان بطريق أورشليم رسالة تصف بالتفصيل ما يعانيه المسيحيون فيها من اضطهاد وتستغيث به لينقذهم (١٠٨٨)، بالإضافة إلى استغاثة الإمبراطور ألكسيوس الأول (١٠٨١ - ١١١٨) الإمبراطور البيزنطي بإربان الثاني وإلى مجلس بياسنزا Piacenza يستحث أوروبا اللاتينية لتساعده على صد هجمات الترك؛ وكان من أقواله "إن من الحكمة أن يحارب الأتراك في أرض آسيا بدل أن ننتظرهم حتى يقتحموا بجحافلهم بلاد البلقان إلى عواصم أوروبا الغربية وهناك أسباب حقيقة للحروب الصليبية تجلت عن أحداثها وأظهرها التاريخ وهي في مجملها اقتصادية بحتة . لمزيد من التفاصيل عن الحروب الصليبية أسبابها وأحداثها ونتائجها أنظر : ول ديورانت : قصة الحضارة، ج ١٥، ص ١١ : ص ١٥.

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة، ج ١٥، ص ٦١.

المرضى من المسيحيين يفضلون الأطباء المسلمين واليهود على الأطباء المسيحيين^(١)، ويتعجب ابن جبير من استمرار الحركة التجارية بين المسلمين والصلبيين رغم الإقتتال بينهم فيذكر: " أعجب ما يحدث به ان نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى، وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم. شاهدنا في هذا الوقت، الذي هو شهر جمادى الأولى، من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنزلة حصن الكرك، واختلاف القوافل من مصر الى دمشق على بلاد الأفرنج غير منقطع. واختلاف المسلمين من دمشق الى عكا كذلك. وتجار النصارى ايضا لا يمنع أحد منهم ولا يعترض. وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم، وهي من الامنة على غاية. وتجار النصارى أيضا يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم، والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال. وأهل الحرب مشتغلون بحربهم، والناس في عافية، والدنيا لمن غلب، هذه سيرة أهل هذه البلاد في حربهم وفي الفتنة الواقعة بين أمراء المسلمين وملوكهم كذلك. ولا تعترض الرعايا ولا التجار، فالأمن لا يفارقهم في جميع الأحوال سلما أو حربا. وشأن هذه البلاد في ذلك أعجب من أن يستوفى الحديث عنه، والله يعلي كلمة الإسلام بمنه^(٢).

وبداية الالتقاء الحضاري بين الثقافتين : اللغة

بحكم التعايش بين الصليبيين بالمسلمين فقد كانت فترات السلم اطول بكثير من فترات الحرب هذا الأمر فرص للإتصال بين امراء المنطقة من عرب وفرنج حيث يخبرنا ابن شداد : (ان ارباط كان يستعين بأحد المسلمين لكي يقرأ له ويفهمه اللغة العربية فأتقنها) أنه دخل خيمة صلاح الدين وتحادثا دون وسيط^(٣) .

ويذكر وليم الصوري ان ريموند كونت طرابلس خلال سنوات أسره عند نور الدين محمود انكب علي تعلم اللغة العربية ودراسة سبل المسلمين واساليبهم كما ان همفري سيد ثبنتين قام بالترجمة بين ريتشارد قلب الاسد والملك العادل في المحادثات التي جرت بينهم وايضا بلدون الايليني الذي قام بالترجمة بين المصريين ولويس التاسع اثناء اسره في مصر ،ومن الذين اهتموا بأسرار اللغة العربية وتذوقوا أدبها المؤرخ الشهير " وليم الصوري William of Tyre "كبير مؤرخي

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة، ج ١٥، ص ٣٤، ص ٦١.

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت(د.ت)، ص ٢٣٥.

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤ م، ص ٩٧.

الحروب الصليبية اللاتين المعاصرين، وكان سليل أسرة من المستوطنين الغربيين، الذين استقروا في فلسطين بعد الغزو الصليبي لها. نشأ وليم في الشرق وتعلم اللغة العربية وأجاد القراءة والكتابة بها إجادته للاتينية^(١)

وقد تعلم كثير من الإفرنج القادمين اللغة العربية ليتمكنوا من التخاطب مع السكان في المتاجر والمناسبات المختلفة وقد رأى ابن جبير في عكا كتاب الديوان من النصارى " يتكلمون العربية ويكتبون بها ، بمحابر الآبنوس المذهبة الحلى^(٢) . .

وقد وصلت العلاقات الودية الي حد مشاركة المسلمون والصليبيون في رعي مواشيهم ويتقاسمون الغلة دون خوف ومن المظاهر ايضا ان بعض التجار المسلمين كانوا ينزلون في خانات الصليبيين وعند الاسر الصليبيين وقد كان طلاب العلم من الصليبيين القادمين والمقيمين في أوروبا يلتحقون بالمدارس العربية يتلقون علومهم بلغة العرب ولا ننسى دور القبائل العربية البصراية التي التي امتزجت بالصليبيين اخواتهم في الدين مما كان له الاشراف نشر اللغة العربية في أوساط الفرنج ولا بد ان تتصور ان الصليبيين الذين عرفوا اللغة العربية كانوا يتكلمون اللغة الدارجة اي لغة الحياة والمعاملات اليومية حيث في الجمارك والمصارف ومختلف الجهات وايضا بين عام الصليبيين الذين كانوا يختلطون بالمسلمين في المساكن والأماكن .

وكان من الطبيعي ان التجار الأوربيين الذين ياتو الي المواني الصليبية في الشام ومواني مع من كانوا يلتقطون بعض الألفاظ والمصطلحات العربية والدارجة التي كان الناس يتداولونها في المواني ، وقد ادت هذه المعاشة الي تشرب كثير من المفردات والمصطلحات العربية لا يمكن حصرها .

لقد حفزت الحروب الصليبية الفرنجة على التعلُّم من المسلمين، في مجالات الجغرافية والتاريخ، والعلوم وشتى أنواع المعارف؛ مما خلق عندهم نهضة في دراسة القانون، والطب، والمنطق، كذلك حتى المستوى العام للمعيشة في الغرب لم يرتفع إلا بفضل رغبة العساكر والحجاج العائدين في أن يلجؤوا في أوطانهم إلى محاكاة ما اشتهر به الشرق من مظاهر الحياة.

لقد اقتبس الأوربيون من الحضارة العربية الإسلامية نظمها فقد أخذوا نظام "الحسبة"؛ فقد وطبقوها في مملكتهم في بيت المقدس، وفي جزيرة قبرص ، وكذلك النظر في المظالم فيذكر فليب

(١) <https://cutt.ly/7NxWuQ00> .

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير، ص ٢٤٨.

حتى "أن عادة النظر في المظالم اتصلت بأوربا؛ فعمل بها روجار الثاني "١١٣٠ - ٥٤" في صقلية؛ حيث ضرب هذا النظام بجذوره في التربة الأوربية.

كان من أثر الحروب الصليبية معرفة الأوربيين بأساليب المسلمين التجارية والصناعية. فقد عرف التجار الإيطاليون كيف يرسمون خرائط للبحر المتوسط، وتلقى المؤرخون الإخباريون الرهبان الذين رافقوا الفرسان آراء جديدة عن اتساع بلاد آسيا واختلاف أصقاعها ونقلوا هذه الآراء إلى غيرهم من الناس، وبهذا تحركت في القلوب الرغبة في الكشف والارتداد، وظهرت كتب في وصف الأقاليم والبلدان ترشد الحجاج إلى البلاد المقدسة؛ وأخذ الأطباء المسيحيون العلم عن الأطباء اليهود والمسلمين، وتقدم علم الجراحة بفضل الحروب الصليبية، ونجد الأساطيل التجارية الإيطالية لم تنتزع السيطرة على البحر المتوسط من أيدي المسلمين وحدهم بل انتزعتها كذلك من أيدي البيزنطيين، فمدائن البندقية، وجنوى، وبيزا، وأمفي، ومرسيليا، وبرشلونة كانت قبل الحروب الصليبية تتجر مع بلاد الشرق الإسلامية، وتخرق مضيق البسفور والبحر الأسود، ولكن الحروب الصليبية قد وسعت نطاق هذه التجارة إلى أبعد حد، فجاءت إلى أوربا بكميات موفورة من الأقمشة الحريرية والسكر والتوابل كالفلفل، والزنجيل، والقرنفل، والقرفة، وكانت كلها من مواد الترف النادرة في أوربا في القرن الحادي عشر)، كذلك انتقلت من الشرق إلى الغرب كميات كبيرة من نباتات ومحاصيل وأشجار عرفت أوربا من قبل من بلاد الأندلس الإسلامية مثل الذرة، والأرز، والسهم، والخروب، والليمون، والبطيخ، والخوخ، والمشمش، والكرز، والبلج. وجاء من بلاد الإسلام الدمقس، والموصلين، والساتان، والمخمل، والأقمشة المزركشة، والطنافس، والأصباغ، والمساحيق، والعطور، والجواهر لتزدان بها بيوت أمراء الإقطاع وأهل الطبقات الوسطى ويتحلى بها رجالهم ونسأؤهم. وحلت المرايا الزجاجية المطلية بغشاء معدني محل المرايا المصنوعة من البرنز أو الصلب المصقول، وأخذت أوربا عن الشرق صناعة تكرير السكر والزجاج "البندقي". فنشأت الطبقة الوسطى، وأدخلت من بلاد بيزنطية والإسلام فنون للأعمال المصرفية أحسن مما كان موجوداً فيها قبل، فظهرت أشكال ووسائل جديدة للانتمان، ولقد بدأت الحروب الصليبية بنظام إقطاعي زراعي، نفخت فيه روح البربرية الألمانية الممتزجة بالعاطفة الدينية؛ واختتمت بقيام الصناعة، واتساع نطاق التجارة، في عهد ثورة اقتصادية مهدت السبيل لعصر النهضة وأمدته بالمال (١).

ووجد اللاتين الذين استقروا في الأراضي المقدسة من كتب في التاريخ مثل (وليم الصوري) أو في القادة مثل حنا الايليني وفيليب نافاري كما انتقلت بعض المصطلحات العربية الي

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة، ج ١٥، ص ٦٧ - ٦٩.

البلاد الغربية كذلك اثرت في تطور فن الحرب عند الغربيين ولاسيما فيما يتعلق ببناء القلاع ذات الحوائط المزدوجة هذا بالإضافة اليه الحروب من تقدم حركات الحضارة واستعمال المنجنيق واستخدام الدروع للفرسان وخيولهم والاستكشاف الحربي عن طريق الحمام الزاجل .

؛ حتى كانت بعض طبقات الصليبيين تفرض على نساءها وأبنائها إذا بلغن الحلم أن يضربن الخمار على وجوههن، ويأبون عليهن أن يخرجن إلى الأسواق سافرت، بل إنهم ما كانوا يسمحون لهن بالخروج إلا للضرورة القصوى، كالذهاب إلى الكنائس والحمامات؛ كما أطلق بعض الرجال الصليبيين اللحي، تشبهاً بالمسلمين.

. وإذا ما نظرنا إلى تقدم العلاقات التجارية باطراد بين الغرب والشرق، وإلى ما نشأ من تحاكَ الصليبيين والشرقيين من النمو في الفنون والصناعة؛ تجلّى لنا أن الشرقيين هم الذين أخرجوا الغرب من التوحش، وأعدوا النفوس إلى التقدم بفضل علوم العرب وآدابهم التي أخذت جامعات أوروبا تعول عليها؛ فانبثق عصر النهضة منها ذات يوم"

يتصور البعض الحركة الصليبية في سلسلة حروب دموية وقف فيها المسلمون والصليبيون وجها لوجه دون ان يعرفوا جميعاً لغة التفاهم والواقع ان الحركة الصليبية مهما تعددت اغراضها كانت مجال واسع التقى فيه الشرق الاسلامي والغرب المسيحي وان هذا اللقاء لم يكن سياسي حربي فقط بل كان حضاري ايضا .

الاثر الأدبي :

١- الشعر :

جاء الاثر الأدبي امتدادا الي الاثر اللغوي حيث رافق الحملات الصليبية عدد من الشعراء ومنهم الشاعر بيرفيدال - كونان دوبينتون - ابوفردو شابنتوي - كيبو دوشنا مباني - راؤول دويواسون - فيليب دوناباتنو ،حيث وجد هؤلاء في الشرق مجال واسع لتطوير خيالهم الشعري في البداية انشغلوا بوصف الحروب الدائرة ضد المسلمين والظروف الحياتية خلال فترات السلم ولكنه وصف يستخرج فيه الخيال بالواقع وبعد الاحتكاك تعرفوا علي فن الهجاء الذي لم يكن معروف في الشعر الأوربي في العصور الوسطي وان كان معروف لدي الرومان الا انه حل محله الشعر الديني الذي تباركه الكنيسة .

القصة :

تجاوز الاثر الأدبي الي القصة الأوربية حيث كان الادب الغربي يفتقر الي القصة الخيالية ذات المغزي الأخلاقي . وكانت القصة في الأدب اليوناني اسطورية تدور حول معبوداتهم ورغم ذلك لا تتضمن اخلاقيات بها ولم يعرف فن القصة الشعرية في أوربا الا في القرن الثاني عشر ويتأثر من القصة في الأدب الشرقي والعربي ومن القصص الشرقية التي انتقلت الي الغرب الأوربي قصة كليلة ودمنه التي كانت علي شكل حوار بين الحيوانات وعرف هذا النوع القصصي باسم (فابليو) وأول من كتب في هذا المجال رينار حوالي سنة ١١٥٠م وكان هناك بعض الصليبيين يعقدون مجالس انس يرون فيها قصصا عربية للقادمين من أوربا ومن هؤلاء جاك دي فيتري اسقف عكا ونشرت تلك القصص في أوربا مجموعة قصصية بعنوان اعمال الرومان في القرن الرابع عشر ومن خلالها ظهر في أوربا قصص مماثلة من اشهرها الديكاميروني اي قصص الأيام العشرة التي كتبها الاديب الايطالي جيوفاني بوكاشيو .

تدوين التاريخ :

رافق الحملات الصليبية مؤرخون من مختلف الغرب الأوربي كان معظمهم من الفرنجة الفوا كتبوا ومذكرات سجلوا فيها احداث هذه الحملات مع بعض المشاهدات والانطباعات الخاصة والمغامرات التي جمعت بين الواقع والخيال وتضمن بعضها كثيراً من القصص والأشعار وكانت هذه الكتب نمطا بارزا عليه المؤرخون الأوربيون الذين كتبوا عن الحروب الصليبية وغيرها من الوقائع التاريخية الأمر الذي أدى الي ظهور حركة في أوربا لتدوين التاريخ علي نحو لم يسبق له مثيل .

الفن الحربي :

وكذلك تأثير الفن الحربي وفن بناء القلاع عند الأوربيين بما شاهدوه من نظم ونماذج اسلامية زمن الحروب الصليبية حيث تمثلت حركات الحصار واستعمال المجانيق والكباش الهادمة واستخدام الدروع للفرسان وخيولهم وارسال الرسائل عن طريق الحمام الزاجل وكذلك عرف الفرنج كثيراً من فنون التحصين وعمل الاستحكامات عن طريق محاكاة القلاع الاسلامية ومن ذلك نظام المشربيات الذي عرفه العمارة الحربية ، وبرز التأثير الحربي الاسلامي علي الصليبيين علي في نماذج عربية اخري مثل القلعة المستديرة بدلا من البرج والفناء الذين جمعهما سور واحد فهذه القلعة تمت في الشرق والمدفع والبارود وكلاهما كان المماليك أول من أستعملها الرنوك فهي

علامات الفرسان التي تبدو ذات اصل شرقي كما ان الفرنج عرفوا في البحر عند المسلمين انواع جديدة من السفن كالشواني وهي مراكب حربية ذات قلاع عديدة وتستخدم للتجارة .

التشريعات والقوانين :

وهو من اهم المخرجات الاثر العقلي للفرنجة في بلاد الشام حيث حصيله المؤلفات الضخمة القانونية وهي مجموعة التشريعات والقوانين التي اهتم بها الصليبيون الأوائل ومن جاء بعدهم وقد جاءت هذه التشريعات بصورة مطابقة لمثيلتها في الغرب الأوربي ويحصد المؤرخون من تلك التشريعات ما وضعته مملكه بيت المقدس الصليبية فخلقت منها دولة ذات نظام سياسي وطيد الأركان وجدت الحقوق والواجبات لرعاياهم حيث حققن هه التشريعات الحياة اليومية للمسيحين علي اختلاف مزاجهم وللمسلمين واليهود والفرنجة في ظل ادارة ارستقراطية ذات اصل فرنسي حيث وضعت تلك التشريعات زمن يلدوين الأول ورغم صيانتها عام ١١٨٧ اخر وهو العام الذي احرز فيه صلاح الدين الايوبي انتصاره الباهر ضد الصليبيين .

وقد حل محلها في القرن الثالث عشر مجموعة اخري من القوانين ولم يعرف منها سوي أربعة كتب أولها كتاب فيليب دي نافار تناول فيه قانون الإقطاع وكتب عام ١٢٥٣م وثانياً كتاب حنا آيلين كونت بافا الذي يشبه الكتاب السابق وكتب عام ١٢٥٣م أيضاً وثالثها كتاب الملك الذي عالج فيه مؤلفه السلطة الملكية وسلطات بعض الامراء واخرها كتاب نشاه البورجوازية حيث يتناول القانون المدني ويبدو انه كتب بين عامي ١١٩٤ - ١٢٢٩م ونستنتج ان الكتب جمعت القوانين الإدارية والتشريعية للحياة السياسية في الشرق الفرنجي خلال القرن الثالث عشر وطباعتها بالقواعد الشرقية

التأثير العلمي :

أما عن التعليم في الشرق الفرنجي فالمعلومات عنه ضئيلة لعدم اهتمام الإمارات اللاتينية بإنشاء مراكز ثقافية لرعاياها ولان التعليم بها مثلما كان في الغرب لا يعدو ان يكون عبارة عن مدارس ملحقة بالكاتدرائية الكبيرة أو ببلاط الأمراء والملوك علي النمط الموجود في الغرب ولا ادل علي ذلك من قيام قادة الفكر والسياسية والدين مثل وليم الصوري وايمري بطريك إنطاكية وجيمس دي فيري اسقف عكا كانوا ممن ذهب إلي فرنسا لإكمال تعليمه وعلي إي حال لقد ظلت ثقافة الفرنجة في الشام مستوردة من الغرب ولم يحدث الا اتصال بسيط بالثقافة المحلية فيما عدا الفنون وخصوصا الحربية ويرجع ذلك إلي حاله الحرب والعداء والتي عاشها الصليبيين والمسلمين .

ونلاحظ ان علي أيام الحروب الصليبية الأول خلت من العلماء اي الشام بسبب التهديد الصليبي المستمر وعلي سبيل المثال ان القدس عندما سقطت في أيدي الفرنجة ١٠٩٩م-١٤٩٢هـ اقتضي صوت العلم فيها حتى فتحه صلاح الدين وإنها كانت طرابلس قبل مجيء الفرنجة من أعظم مواطن العلم في الشام ولكن مع دخول الفرنجة ذهب نور العلم عنها لهذا لم تكن بلاد الشام والحروب الصليبية الطريق الأكبر للتبادل الثقافي بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي فلم يكن في مملكة اللاتي ناي القدس مركز للمعارف الإسلامية وثمة فارق بين اسبانيا والشام . حيث في اسبانيا كان صاحب الغلبة العرم ام الشام الكبير

إن إقامة الصليبية لفترة تقارب مائتي سنة في بلاد الشام لا يمكن القول المطلق بقلة التبادل الثقافي والعلمي لكن أيضا لم يكن بصورة الأندلس المهم لقد استفادوا كثيراً من الطب العربي والواقع ان طبيعة الاتصال البشري أدت إلي تعرف الإفرنج إلي علوم العرب وتعرف العرب إلي العادات والتقاليد الطبيعية عند الإفرنج .

وقد تأثرت أوروبا بالعلوم الرياضية السائدة في المشرق وبالرغم من ان اقوي تاثر كان في اسبانيا حيث كان أول عالم مسيحي في الجبر وهو ليونار دو فيبو ناتشي الذكر ارتحل إلي بلاد الشام وبدأ في دراسة اللغات الشرقية لارتباطها بالبعثات التبشيرية في الشرق كما ان المبشر ريموند ل حث مجمع فيسينا ٨٣١١١ علي اتخاذ قرار إنشاء مدارس للغات الشرقية في أوروبا .

وشهدت الفترة الصليبية حضاري كبير حيث أقيمت المؤسسات العلمية لاسيما المدارس سواء الصليبية أو الإسلامية وشهدت نفس الفترة مدارس مختلطة ضمن المسلمين والفرنجة وكان هناك تنوع في المدارس في الإمارات الإسلامية حيث منها تدريس الفقه الإسلامي ومن بين المدارس المدرسة النورية التي أنشأها نور الدين محمود زنكي ويلاحظ ان بلاد الشام كانت متطورة من الناحية العلمية وكانت تتعدد بها المدارس حيث الصادرية والعزيرية والقلحية والعادلةية والصلاحية ومن مدارس الطب مدرسة النخوارية التي كانت دار للطب علي يد عبد الرحيم بن علي السخوار لتصبح وفقاً مدرسة لدراسة الطب والحقيقة ان الظروف العلمية في فترة السلام شهدت ولاه الكثير من العلماء في الميدان الديني والعقلي حيث مثلاً الف علي بن خليفة لصاحب بعلبك كتاب سماه الموجز المفيد وكتاب في المساحة في الرياضيات كما الف نجم الدين القليودي كتاب في الحساب سماه كافية الحساب وكتاب في الجبر والمقابلة سماه الرسالة الكاملة وفي مجال الكيمياء شهد دراسة كبيرة في سبيل التقدم الحربي حين توصل إلي اختراع ساعد في حرق ابراج الفرنجة في عكا

ومن الأطباء الذين توزعوا ما بين انطاكية وطرابلس والقدس ، ميخائيل اسقف حلب اليعقوبي وثيودور الانطاكي طبيب فريدريك الثاني وباسيل الحلبي ويعقوب النسطوري الطرابلسي .

وكان الطب الشرقي أو العربي الإسلامي قد بات طباً متطوراً أخذ الإفرنج عنه الكثير ومن الأطباء العرب المعروفين في تلك الفترة : مهذب الدين عبد الرحيم الذي طيب الملك العادلي من المرض وغيره من الأطباء علما ان المؤلفات الطبية كانت كثيرة وعديدة وقد بلغ الطب من التطور مما دعا للاهتمام بمساواة الحيوانات وهو ما يعرف بالطب البيطري وكانت قوانين المملكة اللاتينية تنظم حالة الأطباء في الممالك الإفرنجية في البلاد المقدسة من ذلك لم تكن لأي طبيب مزاوله المهنة قبل ان يؤدي امتحان تحت إشراف نقيب أطباء الممالك وفي مجلس يرأسه الأسقف وهو نظام إسلامي الأصل .

العلاقات التجارية أثناء الحروب الصليبية :

استمرت الحركة الصليبية سنوات طويلة ، وان اتساع دائرة الحروب الصليبية التي شملت نطاق واسع من العالم الإسلامي كان له أثره الواضح في ازدياد الصلات والروابط بين الشرق والغرب ، ولأنها فتحت الباب امام ألوف من الأوربيين الذين وفدوا من غرب أوربا ليستقروا في الشرق العربي فبدأت حركة ملاحية ضخمة في البحر المتوسط بين مواني الشرق وبلدان الغرب ، د اثرت في ازدياد النشاط التجاري وما ترتب علي ذلك من نشاط من ثروة تركت أثرها في أحوال البلاد والعباد ذلك ان التجار الأوربيين من ايطاليا ومرسليا واسبانيا استغلوا المراكز التي أقامها الفرنجة في بلاد الشام للقيام بنشاط تجاري واسع بين الشرق والغرب وهكذا أخذت حاصلات الشرق من توابل ومنسوجات واوان زجاجية وبخور وغيرها ، فمثلت مدن البندقية - جنوا - بيزا العنصر البورجوازي في الحروب الصليبية حيث مارست جنوا وبيزا بنوع خاص نشاطهما التجاري في القسم الغربي من البحر المتوسط اما البندقية فإنها كانت ترتاد البحر الادرياتي والبحار التي تحف بالإمبراطورية البيزنطية ولأول مرة تتلاقى المدن الثلاث علي إقليم مشترك وهو الشام حصلوا علي حق الحصول علي إرياح تتناسب لما قدموه من مجهودات بحرية .

وبالنظر الي المؤثرات الاسلامية في الحياه الاوربية تتجه للنمو التجاري الذي اثارته الحروب الصليبية نلاحظ انتقال النباتات وحاصلات واشجار جديدة من شرق البحر المتوسط الي غربه مثل (الثوم والبطيخ والأرز والليمون) ، كما انتشرت في الغرب العقاقير والاصباغ والتوابل الشرقية كما كثر استعمال وصناعة الأقمشة التي نسبت الي بلدان الشرق مثل (الموصليين) نسبة الي

الموصل والدامسكو نسبة الي دمشق وغيرها وكذلك الناعورة التي نقلت من حماه الي بلادهم فعندما شاهدوا النواعير ترفع المياه من العاصر اعجبوا بها فافتبسوا بأن نقلوا نماذج منها الي المانيا .

وكان التجار الغربيون يجدون في الشام منتجات الشرق كلها علي وجه التقريب فلم يكونوا مضطرين للقيام برحلات طويلة لقلب آسيا من اجل الحصول علي المنتجات إذ كانت العديد من الطرق التجارية التي تأتي من آسيا تصل لسواحل الشام لقد كانت التجارة في المحيط الهندي نشيطة وكان العرب ينافسون الصين في مجال التجارة ، وقد نقل العرب المنتجات من الصين والهند إلي الشام ومصر حيث شحن السفن بالمسك والصبر وخشب الصبر والفلفل والقافلة والقرفة وبذور الخولجان وباختصار التوابل التي كان الغربيون يعتبرون حيازتها أعظم نتيجة لصلاتهم بالشرق .

وكانت سوريا وفلسطين تتمتعان بخصوبة مدهشة حيث منشآت الري والعديد من المزارع والحقول المؤجرة بطريق المزارع والقرى التي وجدها الفرنج واستمروا في استغلالها وكانت طرابلس ومصر تشتهر بفواكه الجنوب من ليمون وبرتقال وتين ولوز وعلي سفوح لبنان من جهة البحر تزرع الكروم ويصنع منها النبيذ وأشهر أنواعه نبيذ نيفن في كوثية طرابلس وفي الأراضي المقدسة رأي الغربيون قصب السكب لأول مرة وتعلموا زراعة واستخلاص عصيره وكان من السلع التصديرية المهمة .

وكانت تنتج الإمارات الصليبية القطن والحريز وكانت مراكز صناعة الحريز في إنطاكية وطرابلس وصور كما كانت الأقمشة الحريزية الخارجة من مصانعها تصدر للغرب وكانت الأقمشة التي تصنعها الناسجون السوريون في حي البنادقة مطلوب جداً حيث كانت السفن تنقلها إلي أوروبا عن طريق البندقية .

كانت السفن التي تاتي من بلاد الإفرنج لم تأتي فارغة فكانت تجلب بضائع الغرب حيث كان الفرنج في الشرق بحاجة الي منتجات وصناعات غير موجودة إلي في بلادهم في غرب أوروبا، وكان الصناع ورجال الدين والفرسان يأتون في سفن وأساطيل تسمى قوافل وكانت تحمل معهم بضائع الغرب من سواحل أوروبا حتى فلسطين ، وكانت الرحلات تتسم علي فترتين فقط الأولى في أعياد الفصح والثاني في عيد القديس يوحنا المعمدان .

وكانت مدن ومواني الشام مراكز لتجمع السلع أقام فيها التجار للأشراف علي مصالحهم التجارية وفي خلال القرن الثاني عشر ازدهرت بعض المدن والواقعة تحت يد الإفرنج مثل عكا وصور وبيروت وطرابلس وإنطاكية والأذقية كذلك كانت حلب ودمشق وحماه ومحص اهم المراكز

التي كانت في أيدي المسلمين وتُعد عكا اهم المدن الساحلية ببلاد الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر وكان لها ميناء وتمتعت بنفوذ تجاري وكانت ملتقى تجار المسلمين والنصارى في جميع الأفاق واشتهرت بنجارة الرقيق التي تسببت في ثراء فاحش لتجار جوة والبندقية ، كما ازدهرت مدينة حلب دمشق التي اشتهرت بصناعة الورق، وانتقلت التجارة منها الي الإمارات الصليبية منتجات الشرق حيث العراق وفارس .

وقد اولع الغرب الأوربي بالسلع الشرقية واشتد اقبالة عليها خاصة التوابل التي تم جلبها من وسط آسيا والشرق الأقصى وصارت من ضروريات الغرب الأوربي ، وانتشرت كذلك حيث صناعة الزجاج والنجف الزجاجية في بلاد الشام ، وأحرزت مدينة بيت المقدس شهرة هائلة أيام الحروب لما لها من قداسة حيث أتى لها الحجاج والمسيحيين واشتهرت بالتحف المسيحية والمسابع والصلبان والمصابيح الدينية والإيقونات التي اشتراها الحجاج عند عودتهم إلي أوربا .

ومع استقرار الفرنج في إمارتهم شرعوا في ضرب الدنانير الذهبية التي عرفت بالدنانير الإسلامية وقد تم التعامل بها مع البلاد الإسلامية وكان علي هذه القطع نقوش عربية وبعض آيات القرآن وقد استمر التعامل بذلك العملة حتي عام ١٢٤٩م حينما احتج عليها البابا انوسنت الرابع حيث اصدر قرار الحرمان علي كل من يتعامل بها .

الفصل الثانى

(تاريخ صقلية الإسلامية)

- موقع وجغرافية جزيرة صقلية.
- محاولات المسلمين الأولى لفتح جزيرة صقلية.
- صقلية تحت الحكم الإسلامى (الأغالبة - الفاطميين - دول الطوائف)

موقع وجغرافية جزيرة صقلية :

كان لجغرافية جزيرة صقلية الأثر الواضح فى شخصيتها، ويظهر بجلاء على تاريخها، فموقعها فى البحر جعلها صعبة المنال إلا من امتلك القوة والقدرة على منازلة كل الطامعين فيها ، فتوسطها بين قارتى أوروبا وأفريقية جعلها محط النزاع بين القوى المتصارعة، فتاريخها إذن هو تاريخ الشعوب ذات الحضارات فى حوض البحر المتوسط فتاريخ جزيرة صقلية جزء من تاريخ اليونان والفينيقيين^(١) والرومان والقوط والبيزنطيين والعرب، فجزيرة صقلية تقع وسط البحر المتوسط والمسافة بينها وبين ساحل افريقية (مائة وأربعون ميلاً)، وأقرب المدن اليها اقلبيية، يفصلها عن إيطاليا (مضيق مسينى) والذي يسميه الجغرافيين العرب مضيق الغاز والذي يبلغ أقصى اتساع له ميلين، فبسيطرة المسلمين على جزيرة صقلية يسهل عليهم التحكم والسيطرة على موصلات البحر المتوسط، واتخاذ الجزيرة قاعدة انطلاق للفتوحات الإسلامية فى أوربا لاحقاً، وكذلك حماية بلاد المغرب الإسلامى^(٢) إضافة للأهمية الاقتصادية لجزيرة صقلية حيث فيها معادن الذهب موجودة فى كل مكان ومعادن الشبّ والكحل والفضة ومعادن الزاج والحديد والرصاص، وكثيراً ما يوجد النوشادر فى جبل النار ويحمل منه إلى الأندلس، وهى جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار، وبها عيون غزيرة وأنهار جارئة^(٣) .

(١) الفينيقيون : من القبائل العربية التى هاجرت إلى منطقة الهلال الخصيب فى الألف الثالث قبل الميلاد وتعد من القبائل السامية ، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد الموطن الأول لها هل هو نجد أو البحرين والسواحل المقابلة لها أو من الأجزاء الجنوبية أى من اليمن ، فهم من شبه الجزيرة العربية عموماً، وأن جزءاً منهم استقر فى الساحل السورى للبحر المتوسط ، وعرفوا باسم الفينيقيين ، وهم يمثلون امتداداً كنعانياً إلى لبنان، فينيقياً اسم مشتق من الكلمة اليونانية Phoinix ، أى الأحمر الأرجواني نسبة إلى صناعة الصباغ الغالبة عندهم ، اشتهر الفينيقيون فى العالم القديم فى مجال المالحة والكتابة، وأسسوا مستعمرات كانت بمثابة مراكز تجارية عظيمة وسط البحر المتوسط وغربه، وانتشروا فى شمال أفريقيا بدءاً من طرابلس فى ليبيا وانتهاء بطنجة فى المغرب ، وكانت قرطاجنة أكبر مستعمراتهم . لمزيد من التفاصيل أنظر : إبراهيم محمد بيومي مهران : المالحة الفينيقية فى جزر البحر المتوسط، حولية الإتحاد العام للأثريين العرب " دراسات فى آثار الوطن العربى" العدد ١٥، ص ١٠-١؛ ماجد على أحمد : الفينيقيون فى شرق وغرب البحر المتوسط ، مجلة العدد ٥٧، ص ٤٨٢-٤٨٣ .

(٢) المغرب الإسلامى : هو ما يقابل المشرق الإسلامى ، وجعل البعض لفظ بلاد المغرب يشتمل على بلاد شمال افريقيا، واختلف كذلك الجغرافيين والمؤرخون المسلمون فى تحديد بلاد المغرب، فجعل البعض لفظ بلاد المغرب يطلق على بلاد الشمال الإفريقى بالإضافة إلى الأندلس وجميع البلدان الإسلامية فى حوض البحر المتوسط الغربى مثل (صقلية، وجنوب إيطاليا ، وجزيرتى سرديانية وقورسيفيا، وجزر البليار أو الجزائر الشرقية (مبورقة، ومنورقة يابسة)، وكذلك الصحراء الكبرى ، والقلة منهم جعل مصر من ضمن تقسيم بلاد المغرب .ابن منظور : لسان العرب، ط٣، دار صادر - بيروت؛ ١٤١ هـ، ص ٦٣٧؛ عبد الرحمن العزاوى : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ص ١٥ .

(٣) الاصطخري : المسالك والممالك، ص ٥١؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٦، ٤١٨؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٦٧ .

الجزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين زاويته الحادة من غربيّ الجزيرة والغالب عليها الجبال والقلع والحصون وأكثر أرضها مسكونة ومزروعة طول الجزيرة مسيرة سبعة أيام وعرضها مسيرة أربعة أيام^(١) وتحيط بها ثلاثة بحار- البحر الأيوني شرقاً، والبحر التيواني شمالاً، والبحر المتوسط جنوباً، وأبعادها ٢٠٠ ميلاً من الناحية الشرقية و ٤٥٠ من الناحية الجنوبية، والضلع الثالث ٢٥٠ ميلاً^(٢) ، وعاصمتها مدينة بلرم. وصقلية أكبر جزر البحر المتوسط، ومن أشهر مدنها مدينة مازار Mazzr، ومدينة مسينا Masina ، ومودقة، ولثنى ، و قصرينانها Castragiounna. وبثيرة وقطانية وطبرمين ومدينة سرقوسة Siracousa ، تميز مناخ جزيرة صقلية بالاعتدال، وسمائها أميل إلى الصحو منها إلى الغيم أمطارها غالباً في فصلي الشتاء والخريف مع عدم اشتداد البرد، أما الثلوج فإنها لا ترى إلا على قمم الجبال الشاهقة مثل جبل اتنان^(٣) .

وصقلية ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع شبه الجزيرة الإيطالية ويفصلها عن جنوب إيطاليا عند قلورية (كلابريا) مضيق مسينا المائي ويطلق عليه اسم "المجاز" ويصل اتساعه ستة أميال ، ولقرب هذه المسافة تعاقبت على الجزيرة الحملات البيزنطية بصفة مستمرة ، وبالتالي عدم استقرار العرب في الجزيرة إلا بعد استسيلاء العرب على إقليم كلابريا الإيطالي وإقامة مراكز عسكري قوية على طول الساحل المقابل لجزيرة صقلية، ومن ثم شن الغارات على المدن الإيطالية، غير أن صقلية البحرية، القريبة من جنوبي إيطاليا، والتي اتصلت مع بلاد الإسلام بصلات ثقافية واجتماعية، برزت فيها السمة الحربية (البرية والبحرية) : وهي أول الصفات التي نشأت من موقع الجزيرة وقيام حياتها على الجهاد، لقربها ممن جنوبي إيطاليا واضطلاع أمرائها بالجهاد في ذلك الاتجاه، ويحكم هذا الموقع لعبت صقلية دوراً كبيراً في التاريخ الإنساني، فقد تعاقب على حكمها الكثير من الدول، فكان منهم الفينيقيون ثم القرطاجيون^(٤) ثم الرومان والقوط من يد القوط

(١) ابن حوقل : صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت ١٩٣٨ م، ج ١، ص ١١٨؛ ابن سعيد المغربي:

الألحان المسلية في حلى جزيرة صقلية، تحقيق : موريتز من كتاب Cenenario (بلرم: ١٩١٠)، ص ٣٤٠.

(٢) مارتينو مورينو : المسلمون في صقلية ، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت ١٩٥٧ م، ص ٢.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض ، ليدن: بريل ، ١٩٦٧ م، ص ١١٨؛ القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر - بيروت، (دب)، ص ٢١٦.

(٤) قرطاجنة : اسم قرطاجنة أو قرطاج مركب من كلمتين " قرط" ومعناها القرية أو المدينة ، و" حذشت " ومعناها الجديدة ، إذن قرطاج معناها المدينة الجديدة ، إبراهيم محمد بيومي مهران : المألحة الفينيقية ، ص ١٠ .

أخذها بلزاريوس^(١) قائد جستنيان^(٢)، ومن أيدي البيزنطيين انتزاعها قادة بني الأغلب بعد جهاد عنيف^(٣).

جزيرة صقلية تعتبر ملتقى لأجناس متعددة "لا وطن لشعب واحد" وأثر ذلك في تكوين الشخصية الصقلية، حيث أن صقلية جزيرة في البحر وأنها في ذلك الموقع المتوسط ملتقى يجتمع فيه المسافرون، ويقف عنده المتحاربون، يوم أن كان البحر المتوسط مسرحاً للحضارات وطريقاً للحركات التجارية. فهذا الموقع هو الذي منح صقلية هذا اللون من التاريخ (أي تاريخ جزيرة يتعاقب عليها الغالبون أصحاب السيادة في البحر المتوسط)، ولكنها لم تفقد أبداً الروح التي كانت تدفعها إلى الاستقلال حتى لاحظ أحد المؤرخين المسلمين أنها لم تزل في يد ممتلك لا يطيع من حوله من الملوك، ولكن الروح الوطنية في آخر العصر الإسلامي كانت قد نمت قليلاً، ولو استمر بها الحال لكان هنالك الشعب الصقلي الذي يشعر أنه ابن صقلية، ولكن الظروف لم تمهل هذه الروح طويلاً.

(١) بلزاريوس: ولد سنة (٥٠٥ م) وكان صديقاً للإمبراطور جستنيان، بدء اسمه يلمع في المعارك وهو في ٢٥ من عمره بعد أن أحرز الانتصار على الفرس في موقعه دارا سنة (٥٣٠ م)، وعينه الإمبراطور جستنيان قائداً للقوات في الشرق استنطاق القضاء على ثوره نيقيا سنة (٥٣٢ م) بالتعاون مع نارسيس أرسله الإمبراطور جستنيان إلى شمال إفريقيا سنة (٥٣٣ م) حيث نجح في القضاء على مملكة الوندال وأسر زعيمهم وعاد به إلى القسطنطينية سنة (٥٣٥ م) حارب القوط الشرقيين واستنطاق تحقيق كثير من الانتصارات عليهم إلى أن استدعاه الإمبراطور جستنيان بعد أن ساءت العلاقات بينهم بسبب محاوله القوط الشرقيين تتويجه ملك عليهم فاستدعاه الإمبراطور جستنيان بحجة انه يحاجه اليه في محاربه الفرس وفي سنة (٥٥٩ م) استنطاق هزيمة البلغار الذين حاصروا القسطنطينية وابعدهم عنها، ختلفت الآراء حول نهاية بلزاريوس، فالبعض يذكر أن لامبراطور جستنيان اتهمه بالتآمر ضده وتم القبض عليه وسجنه في عام ٥٦٢ م ويقال ان بلزاريوس قضى اخر فترات حياته في فقر وبؤس حتى اضطر للتسول بعد ان فقد بصره ويقال ايضا ان الامبراطور جستنيان عفى عنه سنة ٥٦٣ م وقربه اليه حتى توفي الامبراطور جستنيان سنة ٥٦٥ م.

(٢) الإمبراطور جستنيان: ولد الإمبراطور الإمبراطور جستنيان سنة (٤٨٢ م) من أبوين مزارعين من أصل إيرى - أو لعله صقلبي، جاء به عمه جستين إلى القسطنطينية، ولما أصبح جستنيان ضابطاً أظهر في عمله براعة عظيمة. ولما مات عمه (٥٢٧ م) خلفه على عرش الإمبراطورية، وكان وقتئذ في الخامسة والأربعين من عمره، تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية سنة (٥٢٧ م)، اشتهر بإصلاحه القانوني خلال لجنة (تريبونيان)، والتوسع العسكري لأرض الإمبراطورية أثناء عهده في ايطاليا وشمال افريقيا وبلاد الغال، ومعاركه مع الفرس، زوجته ثيودورا لعبت دوراً مهماً في حياته، مات سنة (٥٦٥ م) عن عمر (ثلاثة وثمانين عاماً)، جلس منها على العرش (ثمانية وثلاثين سنة). بعد أن بذل كل ما وسعه من جهد ليصد عن الإمبراطورية البيزنطية البرابرة. واسترد أفريقيا، ودلماشيا، وإيطاليا، وقورسقة، وسردينيا، وصقلية، وبعض أسبانيا، وطرد الفرس من سوريا، وتضاعفت رقعة الإمبراطورية في عهده ضعفين. ومثلت شريعته بما فيها من وحدة، ووضوح، واتساع في الأفق، ذروة في تاريخ القانون. لمزيد من التفاصيل عن جستنيان أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا في العصور الوسطى، ط٩، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٧ م، ج١، ص ١١٣-١٢٢؛ أحمد صالح عبوش: قادة الإصلاح والتشريع في العالم عبر التاريخ، دار الكتب العلمية، لبنان ٢٠١٨ م ص ٨٨-٩٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٤٨٩؛ عصام عبد الرؤوف الفقى: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة المشرق القاهرة، ص ١٢٤؛ مارتينو مورينو: المسلمون في صقلية ص ٧.

صقلية في العهد البيزنطي :

لم يلق بلزاريوس قائد جستينيان عناء في الاستيلاء على صقلية من يد القوط حينما دخلها بجيشه سنة (٥٣٥م)، إذ وجد الجزيرة تكاد تكون خالية من الحاميات القوطية، وتلقاه السكان فرحين مرحبين يريدون التخلص من حكم القوط، ولم يلق مقاومة إلا في بلرم وذلك لمناعة أسوارها وقوة الحامية القوطية فيها، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أصبحت كل جزيرة في قبضته، وأظهر أهل صقلية الولاء بلزاريوس ، ولكن لم تطل الفرحة بالصقليين فسرعان ما وجدوا أنفسهم يدفعون الضرائب الفادحة لخزينة الامبراطور، وعين جستينيان للجزيرة بريتورا *praetor* من الدرجة الثانية، وجعل منها ومن دلماتيا ولاية واحدة ، وخضعت صقلية للأنظمة التي فرضها جستينيان تلك الأنظمة التي جرت ألوان التعاسة على أفريقية وإيطالية. فأصبحت صقلية تحت عبء الضرائب المتنوعة مثل (ضريبة على الأملاك، وضريبة الرؤس، وإتاوات على التجارة والصناعة، وزيادات إضافية على الضريبة الأولى، وضرائب للجند، وأخرى للملاحين وأموالا يبتزها الموظفون، وإجبار الرعايا العاجزين عن دفع المال على تقديم أبنائهم ، وقام الجباة بمصادرة الممتلكات بالقوة) بالإضافة إلى الاضطهاد الديني والثورات العسكرية^(١) .

ولم تكن الدولة هي المستغل الوحيد لصقلية بل كانت الكنيسة تشاركها النفوذ والسلطان لكثرة أملاكها فيها، فكان لكنيسة روما وميلان ورافنا اقطاعات كثيرة (*patrimori*) وكانت أملاك كنيسة روما موزعة في أنحاء الجزيرة حول سرقوسة وقطانية وميلاص وبلرم وجرجنت، وكان يديرها رئيسان أحدهما في سرقوسة والثاني في بلرم ، وكان في الأراضي الكنسية فلاحون يسمون الكولونيين *coloni* وهم طبقة من الناس تشبه العبيد في ارتباطها بالأرض وتدفع الضرائب نقداً أو محصولات، وظلت صقلية؟ كما كانت من قبل؟ " اهراء روما " يسافر منها كل عام أسطولان محملان بالقمح، مرة في الربيع وأخرى في الخريف، وإذا غرقت المون في البحر أو نهبت قبل وصولها، طوب الكولونيون بالتعويض، هذا بالإضافة إلى أن جامعي المحصول كانوا يتلاعبون بالمكيال ويزيدون في نسبة الضريبة المقررة. فلما اعتلى (جرجوريو الأول) كرسي الباباوية سنة (٥٩٠م) ورأى سوء الحال حاول أن يصلحها، وفي الثمانية عشر شهراً الأولى من رئاسته كتب أربع عشرة رسالة إلى وكيل له بصقلية اسمه (بطرس) يحاول أن يذكره بضرورة النظر في ظلمات الناس

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر : سعيد عمران : الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها ، دار النهضة العربية ، بيروت - لبنان ٢٠٠٢م ، ص ٥٨؛ احسان عباس : العرب في صقلية دراسة في التاريخ والآداب، دار المعرف ، مصر ١٩٠٩م، ص ٢٦- ٢٧.

وإنصافهم وتحقيق العدالة فيهم ، ورغم ذلك نجد أن صقلية أضحت بين أطماع الحكومة والكنيسة وفساد الجيش، ومن ثم لم يكن المجتمع الصقلي في ظل الدولة البيزنطية مجتمعاً سعيداً ناهضاً مكفول الحرية ، وخصوصاً وأن الجزيرة تضم خليطاً من لأجناس مثل (الإغريق والطلينان، وجماعات من اليهود تميزوا منذ البدء بانكماشهم على أنفسهم، وبكره الأجناس الأخرى لهم، ولكنهم لم يكونوا كثيري العدد). وقد حاول جرجوريو أن يغريهم بالتنصر وأضافت الحكومة إلى هذه الأجناس بعض المنفيين من المجرمين المتمردين ، وأعداد كبيرة من العبيد).

وجملة القول أن صقلية البيزنطية فقدت؟ كما يرى الأستاذ أماري؟ شخصيتها ومقومات الحياة العمرانية فيها، واختنق فيها كل شعور بالرفعة الإنسانية، وبلغت من الانحطاط درجة ليس ثمة ما هو أدنى منها^(١).

(١) احسان عباس : العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب، دار المعرف ، مصر ١٩٠٩م، ص ٢٥ - ٣١.

تاريخ صقلية الإسلامية

أولاً : محاولات المسلمين الأولى لفتح صقلية:

كانت فكرة فتح صقلية تراود المسلمين كثيراً منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٤م) ، إلا أن فكرة ركوب البحر وإنشاء الأساطيل كانت أمراً غير محبب للخليفة عمر بن الخطاب لخوفه على المسلمين من مخاطر البحر وعدم درايتهم بأهواله، وذلك عندما عرض عليه والي الشام (معاوية بن أبي سفيان)^(١) الأمر طالبا الإذن منه في إنشاء قوة بحرية إسلامية تدافع عن سواحل المسلمين في الشام ومصر ضد هجمات الأسطول البيزنطي، خاصة من قاعدته القريبة من شواطئ الشام في (جزيرة قبرص) التي قال عنها معاوية: إن الناس في حمص يسمعون نباح كلابها وصياح دجاجها، فلما ولي الخلافة سيدنا عثمان بن عفان^(٢) كتب إليه يستأذنه في غزوة قبرص ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها، فكتب إليه أن قد شهدت مراراً عليك غمراً - رحمه الله - حين استأمرته في غزو البحر. فلما دخلت سنة سبع وعشرين كتب إليه يهون عليه ركوب البحر إلى قبرص فأذن له^(٣)، وذلك لأن الدوافع الأولى للفتوحات الإسلامية عموماً هو نشر الدين الإسلامي، والجهاد في سبيل الله، بالإضافة لرغبة المسلمين في تأمين الممتلكات الإسلامية من غدر البيزنطيين والذين كانوا يتخذون جزيرة صقلية قاعدة عسكرية للإمداد والتموين للهجوم على الممتلكات الإسلامية لذلك سعت الخلافة الإسلامية منذ عهد الخليفة الراشد عثمان بن

(١) معاوية بن أبي سفيان : هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية ، وأمه هند بنت عتبة، وُلد قبل الهجرة بنحو خمسة عشر عاماً، أسلم عام الفتح، سنة (٨هـ)، وأصبح منذ أن أسلم كاتباً من كتّاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشارك في حروب الردة وفي فتوح الشام، عينه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واليا علي الشام كله سنة (١٨هـ) ، وأفره سيدنا عثمان (٢٣ - ٣٦هـ) علي الشام، وبويع بالخلافة لما تنازل سيدنا الحسن رضي الله عنه عن الخلافة له، ومات معاوية رضي الله عنه بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ويقال ثمانين ويقال ست وثمانين وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً . خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط، ٢، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت ١٣٩٧ هـ، ص ٢٢٦؛ أبو الفداء عماد الدين : المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (د.ت) ج ١، ص ١٨٤.

(٢) عثمان بن عفان رضي الله عنه : هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ينتسب إلي بني أمية؛ ولد في مكة، بعد عام الفيل بست سنوات علي الصحيح، أحبته قريش حبا شديدا لأنه شديد الحياء، عفيف النفس، واللسان، أسلم علي يد سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، هاجر الهجرتين ،لقب بذي النورين لزوجاه بنتي النبي صلى الله عليه وسلم ، أنفق مالا عظيما في سبيل نصرة لنبي صلى الله عليه وسلم والإسلام ، تولى الخلافة سنة ٢٣هـ ، وقتل سنة ٣٥هـ رضي الله عنه .ابن سعد : الطبقات ج٣، ص ٣٩- ٤٧؛ خليفة بن خياط : طبقات خليفة بن خياط، ص ٣٩.

(٣) ابن البلاذري : فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال- بيروت ١٩٨٨ م، ص ١٥٣؛ عبد الشافي محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام، القاهرة ١٤٢٨ هـ ، ص ٢٠٧..

عنان إلى بناء اسطول بحري ، ونجحوا في تحقيق انتصار ضخم على البيزنطيين في موقعة ذات الصواري سنة (٥٣٤هـ/٦٥٤م)^(١) .

من أسباب الفتوحات الإسلامية رغبة المسلمين توسيع مساحة الدولة العربية الإسلامية من جهة، ومحاصرة القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية التي امتنعت عن الجيوش الإسلامية من جهة أخرى ووضعوا استراتيجية تقوم على غزو ممتلكات الامبراطورية البيزنطية من الشمال الأفريقي وغرب البحر المتوسط وذلك بالسيطرة على أهم الجزر وسط البحر المتوسط ، وأهمها صقلية وجنوب ايطاليا وسواحل البحر الأدرياتيكي، ويؤكد تلك الرغبة عزم القائد موسى ابن نصير غازياً بعد أن استكمل فتح الأندلس أن " يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروب الأندلس ويخوض إليه ما بينهما من بلاد الأعاجم وأمم النصرانية مجاهداً فيهم ومستصحماً لهم إلى أن يلحق بدار الخلافة في دمشق ، فيذكر الذهبي " إِنَّ مُوسَى تَمَادَى فِي سَيْرِهِ بِأَرْضِ الْأَنْدَلُسِ مُجَاهِداً حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَرْضِ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا، فَقَالَ لَهُ جُنْدُهُ: إِلَى أَيِّنْ تُرِيدُ أَنْ تَذْهَبَ بِنَا، حَسْبُنَا مَا بِأَيْدِينَا! فَرَجَعَ وَقَالَ: لَوْ أَطَعْتُمُونِي لَوَصَلْتُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ" ^(٢) .

ويبدو أن أباطرة الروم البيزنطيين قد أدركوا هدف العرب المسلمين ، بدليل انهم بذلوا جهوداً كبيرة لحماية أجزاء امبراطوريتهم الغربية، لدرجة أن الإمبراطور قسطنطين الثاني خليفة هرقل، اضطر إلى اتخاذ خطوة جريئة لم تتخذ من قبل وهي ترك عاصمة القسطنطينية سنة ٤٢هـ/٦٦٢م والإقامة في روما وصقلية، وذلك لكي يعمل على تقوية وسائل الدفاع في تلك الأجزاء الغربية من الإمبراطورية في حوض البحر المتوسط، لمقاومة التوسع الإسلامي في شمال أفريقيا فقد نقل عنه أن يعمل على " حماية الام قبل حماية البنت" ، فيقصد بذلك حماية روما" أم الملك ومركزه" قبل القسطنطينية، وذلك لحماية تراثهم الروحي^(٣) .

ويبدو أن أباطرة الروم البيزنطيين قد أدركوا هدف العرب المسلمين ، بدليل انهم بذلوا جهوداً كبيرة لحماية أجزاء امبراطوريتهم الغربية ، لدرجة أن الإمبراطور قسطنطين الثاني خليفة هرقل، اضطر إلى اتخاذ خطوة جريئة لم تتخذ من قبل وهي ترك عاصمة القسطنطينية سنة ٤٢هـ/٦٦٢م والإقامة في روما وصقلية، وذلك لكي يعمل على تقوية وسائل الدفاع في تلك

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢٥٦.

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط٢، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣ هـ ، ج٦، ص ٤٨٧؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج ١، ص ٥٣ .

(٣) العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٥- ٣٦؛ صابر محمد دياب : بلاد المغرب في القرن الأول الهجري.

الأجزاء الغربية من الإمبراطورية في حوض البحر المتوسط، لمقاومة التوسع الإسلامي في شمال أفريقيا فقد نقل عنه أن يعمل على " حماية الام قبل حماية البنت " ، فيقصد بذلك حماية روما" أم الملك ومركزه" قبل القسطنطينية، وذلك لحماية تراثهم الروحي^(١) .

فتذكر كتب التاريخ أن أولى الحملات لغزو جزيرة صقلية كانت بقيادة معاوية بن حديج^(٢) سنة (٤٦-٤٧هـ/٦٦٦م) حيث أرسل عبد الله بن قيس بن مخلد الفزاري الذي غنم العديد من التماثيل المرصعة بالجواهر وأرسلها إلى معاوية بن أبي سفيان الذي أمر ببيعها في أسواق الهند بثمن مرتفع، وقاد معاوية بن حديج حملة بحرية ضد جزيرة صقلية سنة (٤٩هـ/٦٦٩م) في مائتي راكب ونجح في النزول على أرضها . وفوّت على البيزنطيين فرصة استخدامها كقاعدة انطلاق ومركز إمداد لأساطيلهم الحربية المتجهة نحو سواحل مصر أو الشام^(٣) .

وفي عام (٨٦هـ/٧٠٥م) بعث موسى بن نصير المُغيرة بن أبي بردة العبدي في مراكب فأفتتح أولية وهي أول مدائن صقلية من أرض المغرب^(٤)، وفي عام (٨٩هـ/٧٠٨م) بعث موسى بن نصير أسطولا صغيراً بقيادة ابنه عبد الله لغزو جزر البليار أو الجزائر الشرقية (ميورقة، ومنورقة يابسة)^(٥)، وصقلية وسردينية^(٦) وتسمى هذه الحملة "بغزوة الأشراف" ، وكانت من أهم نتائج هذه

(١) العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٥-٣٦؛ صابر محمد دياب : بلاد المغرب في القرن الأول الهجري.
(٢) معاوية بن حديج : ابن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد بن أشرس بن شبيب بن السكون السكوني.. وقد قيل: الكندي. وقد قيل الخولاني وقيل التجيبي. والصواب السكوني ، يكنى أبا عبد الرحمن. و غزا إفريقية ثلاث مرات مقترقات، وذهبت إحدى عينيه في غزوة النوبة، وولي على برقة سنة (٤٧هـ/٦٦٧م) ومات سنة (٥٢هـ/٦٧٢م) في مصر . ابن عبد البر : الإستيعاب، ج ٣، ص ١٤١٤؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج ٥، ص ١٩٨؛ ابن حجر : الإصابة، ج ٦، ص ١١٦ .

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٧؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٤، ص ١١٨-١١٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١، ص ١٦-١٨ .

(٤) خليفه بن خياط : تاريخه، ط ٢، تحقيق أكرم ضياء العمري، ص ٢٩٢ .

(٥) الجزائر الشرقية : هي عدة جزر تقع أمام الساحل الشرقي لأسبانيا وأهمها ثلاثة جزر هي : ميورقة majorca ومنورقة minorca ويابسة ibiza وتسمى في المصادر العربية بالجزر الشرقية، خضعت لنفوذ قرطبة سنة (٢٣٤هـ/٨٤٨م) في عهد الأمير عبدالرحمن الثاني الأوسط الأموي غير أنها لم تضم نهائياً بواسطة عمال الدولة الأموية بالأندلس إلا منذ سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م) حينما أرسل إليها الأمير عبدالله بن محمد قائده عصام الخولاني حاكماً عليها وظلت في يد المسلمين إلى أن احتلها ملك أراجون خايمي الأول (٦٢٨-٦٨٦هـ/١٢٣٠-١٢٨٧م) . الحميري : الروض المعطار، ص ٥٤٩، ٥٧٦؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج ٦، ص ٤٣٨؛ عصام سالم : جزر الأندلس المنسية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤، ص ١٥-١٨ .

(٦) جزيرة سرديانية : بفتح أوله وسكون ثانيه ثم دال مهملة وبعد الألف نون مكسورة وياء آخر الحروف، جزيرة على طرف من البحر الشامي، وهي كبيرة النظر كثيرة الجبال قليلة المياه، طولها مائتان وثلاثون ميلاً وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلاً، وهم في الأصل روم ، وجزيرة سرديانية؛ ثاني أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط من حيث الحجم بعد جزيرة صقلية، وتقع بين إيطاليا، وإسبانيا، وتونس، وجنوب جزيرة كورسيكا، وقد غزاها المسلمون =

الحملة هو الاستيلاء مؤقتاً على إحدى المدن والظفر بغنائم وفيرة حيث تسلم كل جندي مائة دينار ذهبياً^(١)، وفي عام ٩٢هـ/٧١٠م أرسل موسى بن نصير حملة أخرى ضد جزيرة سرادينية^(٢)، وفي سنة (١٠٢هـ/٧٢١م) أغزى يزيد بن أبي مسلم (١٠١هـ/٧٢٠م)^(٣) الوالى على إفريقية قائده مُحَمَّدُ بْنُ أَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى صَقْلِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَأَغْزَى مَعَهُ النَّاسَ فَعَنِمَ وَسَلِمَ^(٤)، وفي سنة (١٠٩هـ/٧٢٧م) أرسل بشر بن صفوان الكلبي (١٠٢-١٠٩هـ/٧٢٠-٧٢٨م)^(٥) والى إفريقية آنذاك حملة كبيرة على صقلية غنم المسلمين فيها العديد من الأسرى^(٦)، ونتيجة لذلك أرسل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى^(٧) الذى خلف بشر بن صفوان فى ولاية إفريقية، حملة على الجزيرة سنة (١١٠هـ/٧٢٩م) بقيادة عثمان بن أبي عبيدة، وحملة أخرى فى سنة ١١١هـ/٢٧٩م بقيادة المستنير بن الحباب الحرشى، إلا أن الحملتين لم تسفر عن نتائج ذات أهمية^(٨).

= عِدَّةُ غزوات، فقد ذكر الذهبي في العبر أنها فُتِحَتْ سنة سبع وثمانين، وأرسل إليها موسى بن نصير جيشاً في سنة اثنتين وتسعين، و غزاها أسد بن الفرات رحمه الله تعالى، وكاد أن يفتحها، وفي سنة (٣٢٣هـ) غزاها يعقوب بن إسحاق بأمر من المنصور بن القائم العبَّيْدِيِّ. ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٩؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٣١٤، ٣١٥.

(١) خليفة بن خياط : تاريخه، ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمرى، ص ٣٠٢؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد المريني، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٩٦٧م، ج٢، ص ٢٨.

(٢) القيروانى: تاريخ إفريقية، تحقيق: عبد الله العلى وآخرون، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٠م، ص ٦٤ - ٦٥.

(٣) يزيد بن أبي مسلم : استعمله الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان على إفريقية سنة (١٠١هـ / ٧٢٠م)، فلما ولي يزيد على إفريقية عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج، فوضع الجزية على رقاب سواد إفريقية، فقتله أهلها؛ ابن الأثير : الكامل، ج٤، ص ٣٣٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١، ص ٢٣٥؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٠٤.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٣٢٦.

(٥) بشر بن صفوان الكلبي : بشر بن صفوان بن تويل بفتح التاء المثناة بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل بن عرين بن أبي جابر بن زهير الكلبي أمير المغرب، وأحد الشجعان ذوي الرأي والحزم؛ ولي مصر أولاً سنة (١٠١هـ/ ٧١٩م)، من قبل يزيد بن عبد الملك، ثم جاءه كتاب يزيد بتأميره على إفريقية سنة (١٠٣هـ/ ٧٢١م)، فخرج إليها وأقام في القيروان، فأستصفى بقايا آل موسى بن نصير وغزا صقلية؛ ومات بالقيروان سنة (١٠٩هـ/ ٧٢٧م)؛ ابن الحكم : فتوح مصر، ص ٢١٥، ٢١٦؛ ابن الأثير : الكامل، ج٤، ص ٣٨٣؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ٤٩؛ السلاوى : الاستقصا، ج١، ص ١٦٠.

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٤، ص ١٨٧؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ٤٩؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ٢٤٠؛ أرشيبالد. ر لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، مكتبة النهضة : القاهرة، ص ١٠٧.

(٧) عبيدة بن عبد الرحمن السلمى : ولاء الخليفة هشام بن عبد الملك على المغرب بعد وفاة بشر بن صفوان، فقدم القيروان سنة (١١٠هـ / ٧٢٨م)، ونظر في أمر المغرب والأندلس معاً، وكان عبيدة بن عبد الرحمن قد أخذ عمال بشر بن صفوان قبله وعذبهم فكتب بعضهم بذلك إلى الخليفة هشام فعزله لأربع سنين وستة أشهر من ولايته؛ ابن الأثير : الكامل، ج٤، ص ٤٠٤، ٤٠٣؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ٥٠؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ١٥٢؛ السلاوى : الإستقصا، ج١، ص ١٦٠.

(٨) ابن الحكم : فتوح مصر والمغرب، ص ٢٤٤؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ١٥؛ السلاوى: الاستقصا، ج١، ص ص ٩٦-٩٧.

وفي عام (١١٥هـ/٧٣٣م) أرسل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي والى إفريقية حملة بحرية بقيادة أبى بكر بن سعيد إلا إن هذا الأسطول فقد جزء منه بسبب نيران النفط التى قذفها الأسطول البيزنطى، وتوالت الحملات فى السنوات التالية ففي سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م) نزل حبيب بن أبى عبيدة، حفيد عقبة فاتح أفريقية، أرض صقلية ومعه ابنه عبد الرحمن، وفي نيته أن يمضى فى الفتح حتى يستولي على الجزيرة كلها، غير أن حملته توقفت بسبب سوء الأحوال فى إفريقية بسبب ثورات البربر الذين أعلنوا الثورة فى المغرب الأقصى سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م) (١).

فهذه الغزوات نهبت الروم إلى مدى الأطماع فى نفوس العرب الفاتحين، وجعلتهم يتخذون من صقلية قاعدة لحماية الإمبراطورية عند حدودها الجنوبية، فعمروا فيها الحصون والمعازل، حتى لم يتركوا جبلا إلا وبنوا عليه حصناً وصاروا يخرجون فى كل عام مراكب تطوف بالجزيرة وتدافع عنها، وربما صادفوا تجاراً من المسلمين فأخذهم أسرى.

ثانياً : الفتح الإسلامى لجزيرة صقلية فى عصر الأغالبة

كان الروم يُغيرون على سواحل تونس من قواعدهم فى جزيرة صقلية، وسبب هذا الأمر خسائر كبيرة فى صفوف المسلمين، وكان المسلمون يردون عليهم بغارات مماثلة، واستمرت محاولات المسلمين للإستيلاء على جزيرة صقلية حتى تم عقد هدنة مع بنى الأغلب (٢) فى عهد إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٧٩٩-٨١١م) (٣)، وترجع أسباب الفتح نتيجة لقيام رجلا اسمه Euphemius (٤) بثورة على قسطنطين بطريق صقلية وأخفق فيها، فأراد البطريق أن يقبض

(١) لمزيد من التفاصيل عن محاولات المسلمين لفتح صقلية أنظر : ابن الأثير : الكامل، ج ٤، ص ٤٠٤-٤١٦؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج ١، ص ٥٢؛ ابن خلدون : تاريخه، ج ٤، ص ٢٤١؛ إيمان فؤاد على أحمد الجولى : صقلية فى عهد الأسرة الكلبية (٣٣٦-٤٤٤هـ/٩٤٨-١٠٥٢م رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادى، ٢٠٠٤، ص ١٢-٢٣..

(٢) تمت هذه الهدنة ومعاهدة صلح فى عهد إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٧٩٩-٨١١م) وأبرمها مع البيزنطيين بقيادة قسطنطين البطريق سنة (١٩٠هـ/٨٠٥م)، فى صقلية ومدتها عشر سنوات، ثم جددت المعاهدة فى سنة (١٩٨هـ/٨١٣م) فى عهد أبو العباس عبد الله بن إبراهيم الأغلب (١٩٦-٢٠١هـ/٨١١-٨١٦م) والى إفريقية وكانت مع جريجورى البطريق وانتهت فى ٢٠٤هـ/٨١٩م. المالكي : رياض النفوس، دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٤م، ج ١، ص ١٨٦؛ فازيليف : العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادى شعيره، دار الفكر العربى، القاهرة، ص ٧٥.

(٣) إبراهيم بن الأغلب : هو إبراهيم بن سالم بن عقال أبو اسحاق اليمنى، تولى أفريقية من قبل هارون الرشيد الخليفة الأموى، وكان عالماً وابتنى مدينة العباسة واستطاع القضاء على الفتن الداخلية فى أفريقية، توفى سنة (١٩٦هـ/٨١٢م). ابن وردان : تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق : محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولى، القاهرة: ١٩٨٨م، ص ٤٥-٥٠؛ القيروانى : تاريخ أفريقية، ص ٢٦-٣١.

(٤) يوفيموس : قائد الاسطول البيزنطى فى صقلية، لديه نزعة استقلالية عن البيزنطيين، وخطف راهبة تدعى مونوتيرا Monowtire من الدير، فأمر الإمبراطور بإعتقاله، وجدع أنفه، فقام بمؤامرة وفكر فى اللجوء للمسلمين،

عليه ويعذبه بأمر من حكومة القسطنطينية ، فلجأ فيمي إلى بني الأغلِب، يطلب منهم المعونة رغم وجود الهدنة بين الجانبين ، لذلك جمع زيادة الله بن الأغلِب (٢٠١-٢٢٣هـ / ٨١٦-٨٣٨م) (١)، وجوه أهل القيروان وفقهائها، وفيهم أسد بن فرات^(٢) وسحنون الفقيه، واستشارهم في الأمر فانقسم الناس فريقين: أقلية معتدلة متربثة لا ترى الغزو ولا تشير به، فيها سحنون الذي سأل المجتمعين كم بينها وبين بلاد الروم، قالوا: يروح الإنسان مرتين وثلاثة في النهار ويرجع قال: ومن ناحية إفريقية؟ قالوا يوم وليلة قال لو كنت طائراً ما طرت عليها .

وأم الفريق الآخر فكان متحمساً للغزو ، ويعدون القيام به جهاداً في سبيل الله، وإعزازاً لدينه، وغلب سحنون على رأيه، وبقي أمر الهدنة ، فوجد أسد بن الفرات المخرج منها حيث رأى أن يسأل رسل الصقليين ليعرف هل لديهم في صقلية أسرى من المسلمين، وحلت العقدة حين أقر الرسل بوجود الأسرى من المسلمين في صقلية، فقرر زيادة الله وقواده فتح صقلية^(٣)، وكان على رأس جيش الفتح القاضي الفقيه أسد بن الفرات، وتم تجهيز الجيش من سبعين مركبا تحمل عشرة آلاف مقاتل منهم سبعمائة فارس، وكان الجيش مزيجاً من العرب والبربر ، ومعهم مراكب فيمي، وفي يوم السبت منتصف (ربيع الأول ٢١٢هـ يونيو ٨٢٧م)، ألقع الأسطول الإسلامي من مدينة سوسة بقيادة أسد بن الفرات وكان عمره سبعون عاماً قاصداً صقلية، فدخل جيش أسد بن الفرات صقلية من الجهة التي دخلها منها الفينيقيون (مدينة مازار Mazzr) يوم الثلاثاء بعد ثلاثة أيام من الإبحار وهي أقرب المدن إلى ساحل أفريقية استولى أسد على العديد من القلاع أثناء سيره؛ مثل: قلعة بلوط والذب والطواويس، حتى وصل إلى أرض المعركة فواجه حاكم صقلية (بلاطريوس وتسمّيه المصادر الإسلامية بلاطه)، الذي أقبل في جيشٍ عدته مائة ألف مقاتل ، فقام أسد بن الفرات

لدخولهم صقلية وانتزاعها من البيزنطيين * مارتينو مورينو : المسلمون في صقلية ص ٧؛ فازيليف : العرب والروم ، ص ٦٧-٦٨ .

(١) زيادة الله الأغلِب : ولاءه على أفريقية الخليفة المأمون وكثرت الثورات في بداية عصره ، ثم استتب الأمن فكان فتح صقلية الحقيقي في عهده . ابن الأبار: الحلة السيرة ، ج ٢، ص ٧٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب ، ج ١، ص ٦٥؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ، مكتبة النهضة ، القاهرة: ١٩٨٦م ، ج ٢، ص ٢١٦-٢٢٠؛ محمد الرفاعي ، وهاشم عبد الراضى: تاريخ المغرب، ص ص ١٣٦-١٤١ ؛ محمود إسماعيل: الأغلبة وسياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة: ٢٠٠٠م، ص ١٢٠-١٢٢م.

(٢) أسد بن الفرات: هو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان مولى بنى سليم، ولد بجران سنة ١٤٢هـ / ٧٥٩م ، أصله من نيسابور ، وقدم مع والده إلى إفريقية ، ثم غادرها إلى المدينة المنورة ودرس الفقه على يد الإمام مالك ، وتلمذ على يد أصحاب أبي حنيفة في الكوفة وبغداد ، وأخذ عن علماء المدرسة الفقهية في مصر ، ثم عاد للقيروان وتولى القضاء بها سنة ٢٠٣هـ / ٨١٨م ، ويشاركة القاضي أبي محرز، ومن مؤلفاته الفقهية الأُسدية . المالكي: رياض النفوس ، ج ١، ص ١٨٧؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، تحقيق محمد سالم ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م . (٣) ابن الأثير: الكامل ، ج ٦، ص ص ٣٣٤-٣٣٥؛ عصام عبد الرؤوف الفقى : تاريخ المغرب والأندلس ، (القاهرة: مكتبة النهضة المشرق) ص ١٢٤ .

خطيباً وهو يحمل اللواء في يده لرفع حماسة المسلمين ، ثم أخذ يتلو آيات من القرآن، ثم اندفع للقتال ، فدارت معركة طاحنة لا يُسمع منها سوى صوت قعقة السيوف وصهيل الخيول، والتكبير الذي يخترق عنان السماء، ونجح المسلمين في هزيمة الجيش الصقلي شرَّ هزيمة، وفرَّ بلاطه من أرض المعركة، وانسحب إلى مدينة قَصْرِيَانِه، ثم غلبه الخوف من لقاء المسلمين ففرَّ إلى إيطاليا فقتلوه بسبب جُبْنِه وإحجامه عن قتال المسلمين، وجعل اسد ابن الفرات مدينة (مدينة مازار Mazza) قاعدته التي ينطلق منها الجيش إلى باقى الجزيرة، فغنم مغنم كثيرة، وكان أسد قد يترك في كل حصن استولى عليه حامية تضبطه فقل عدد جيشه ،وحاول فتح سرقوسة. واستطاع أن يضيق عليها ويحرق مراكبها، مستعينا بأمداد من أفريقية والأندلس، ولكن اسطولا من القسطنطينية وصل لنجدتها، فحدث ما لم يكن فى الحسبان فقد تفشى الوباء في المسلمين وهلك من جرائه كثيرون فيهم أسد بن الفرات نفسه، وذلك في شعبان سنة (٢١٣هـ = ٨٢٨م)، وَوَلِيَ الْأَمْرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْجَوَارِي، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ شِدَّةَ الْوَبَاءِ وَوُضُولَ الرُّومِ، تَحَمَّلُوا فِي مَرَاجِبِهِمْ لِيَسِيرُوا، فَوَقَفَ الرُّومُ فِي مَرَاجِبِهِمْ عَلَى بَابِ الْمَرْسَى، فَمَنَعُوا الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخُرُوجِ فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ أَحْرَقُوا مَرَاجِبَهُمْ وَعَادُوا، وَرَحَلُوا إِلَى مَدِينَةِ مِينَاوِ، (فَحَصَرُوهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) ، وَتَسَلَّمُوا الْحِصْنَ، فَسَارَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى حِصْنِ جَرْجَنْتَ، فَقَاتَلُوا أَهْلَهُ وَمَلَكُوهُ، وَسَكَنُوا فِيهِ، وَاشْتَدَّتْ نَفُوسُ الْمُسْلِمِينَ بِهَذَا الْفَتْحِ وَفَرَحُوا، ثُمَّ سَارُوا إِلَى مَدِينَةِ قَصْرِيَانَةَ وَمَعَهُمْ فِيمِي، فَخَرَجَ أَهْلُهَا إِلَيْهِ، فَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجَابُوا إِلَى أَنْ يُمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ، وَخَدَعُوهُ، ثُمَّ قَتَلُوهُ" وتواصلت الأمداد من القسطنطينية التي استطاع المسلمين صدها ودخلوا مدينة قصر يانة ، وتوفى محمد بن الجورى أمير المسلمين ، وولى من بعده زهير بن غوث ، وبدأت الأمور تصعب على المسلمين بتفشى الوباء وانشغال زيادة الله بفتنة في الداخل وغزاة من الخارج، ونجح الروم بمحاصرة المسلمين فى مدينة مِينَاوِ، وَدَامَ الْحِصَارُ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَكَلُوا الدَّوَابَّ وَالْكَلَابَ، فَلَمَّا سَمِعَ مَنْ فِي مَدِينَةِ جَرْجَنْتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا هُمْ عَلَيْهِ هَدَمُوا الْمَدِينَةَ، وَسَارُوا إِلَى مَازَرَ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى نُصْرَةِ إِخْوَانِهِمْ، وَدَامَ الْحَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سَنَةٌ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَقَدْ أَشْرَفَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْهَلَاكِ، وَإِذْ قَدْ أَقْبَلَ أَسْطُولٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، خَرَجُوا غُرَاةً، وَوَصَلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَرَاجِبُ كَثِيرَةٍ مِنَ إِفْرِيقِيَّةَ مَدَدًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَبَلَغَتْ عِدَّةَ الْجَمِيعِ ثَلَاثِمِائَةَ مَرْكَبٍ ، فَنَزَلُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ، فَأَنْهَزَمَ الرُّومُ عَنْ حِصَارِ الْمُسْلِمِينَ وَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَسَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَدِينَةِ بَلْرَمِ، فَحَصَرُوهَا، وَضَيَّقُوا عَلَى مَنْ بِهَا، فَطَلَبَ صَاحِبُهَا الْأَمَانَ لِنَفْسِهِ وَلِأَهْلِهِ وَلِمَالِهِ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ، وَسَارَ فِي الْبَحْرِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ الْبَلَدَ فِي رَجَبِ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. فتحوا بلرم سنة (٢١٦هـ / ٨٣١م) وكان فتح بلرم خطوة كبيرة أدت إلى استيلاء على سائر الجزيرة، وكانت بلرم مدينة بحرية جيدة الميناء،

واتصالها بأفريقية سهل، ولذلك أصبح في استطاعتهم وأن يحصلوا على المؤن باستمرار من أفريقيا. ثم إن المنطقة حول بلرم خصبة يمكنها أن تزود عساكرهم بمؤن كثيرة، ولذلك اتخذها المسلمون قاعدة لهم ، فنجح المسلمون في الإستيلاء على مدينة مسينا Masina في سنة (٢٢٨هـ/٨٤٢م) ،وهي قاعدة بحرية لها أهمية كبرى ، وفي سنة (٢٣١هـ / ٨٤٥م) ، زادت هجمات العرب على إقليم نوطس فاحتلت مودقة، وفي السنة التالية فتحت لثنى وفي عام (٢٣٥هـ/٨٤٩م) دخل العرب قصر ياناه Castragiounna (١)

ونجح أبو العباس بن الفضل(٢٣٦-٢٤٧هـ/٨٥١-٨٦١م) في ولايته بفتح الكثير من مدن صقلية وقلاعها ،وأخذت السرايا تخرج كل يوم فتغير في انحاء الجزيرة، وترجع محملة بالبريق والغنائم ،و أهم ما فتحه أبو العباس بثيرة وقطانية وطبرمين، وفي رمضان سنة (٢٤٤هـ/يناير ٨٥٨م) فتح العباس قصر ياناه بخيانة أهلها ،وهي المدينة التي بها دار الملك بصقلية، وكان الملك قبلها يسكن سرقوسة، فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة تم نقل دار الملك إلى قصر ياناه ؛ لحصانتها. حيث أقام العباس ثلاثة أشهر حول قصر ياناه، يقتل ويصيب ويغنم، ونجح المسلمون في أسر رجل كان له عند الروم قدر ومنزلة فلما رأى هذا الرجل أنه مقتول، طلب إلى العباس أن يستبقه ووعده بأن يسهل للمسلمين فتح قصر ياناه؟ كان الوقت شتاء والثلج قد غطى البقاع، وأهل قصر ياناه آمنون من قصد المسلمين وغير مستعدين للقاء، فأرسل العباس مع الرومي نحو ألفي فارس من عسكره، فدلهم على المدخل إلى المدينة، فدخلوا ووضعوا السيف في الروم وفتحوا الأبواب، ولما دخلها العباس بني فيها مسجداً ونصب فيه منبراً وخطب فيه الجمعة، وقتل من فيها من المقاتلة وأسر من فيها من بنات البطارقة بحليهن، وأصابوا فيها ما يعجز الوصف عنه، واهترت لسقوط المدينة القسطنطينية، فأرسلوا أسطولاً ليثار لها ففجأه المسلمون وقضوا عليه، والقسم الشرقي من صقلية قريب من القسطنطينية فنجد أن كثيراً من القلاع التي استسلمت للمسلمين انتقضت عليهم سنة ٢٤٦ هـ، مثل مدن (سطر، وإبلا، وابلاتنوا، وقلة عبد المؤمن، وقلة البلوط، وقلة أبي ثور، وغيرها من القلاع) وسار إلى قلة عبد المؤمن وقلة ابلاتنوا، فحصرها، فاتاه الخبر (بأن كثيراً من عساكر الروم قد وصلت) ، فرحل إليهم، فالتقوا بجفلودي، وجرى بينهم قتال شديد، فانهزمت الروم، وعادوا إلى سرقوسة، وعاد العباس إلى المدينة، وعمّر قصر ياناه، وحصنها، وشحنها بالعساكر.وقام أبو العباس بن الفضل بمحاولة غزو على سرقوسة Siracousa ، وتوفى عندها فدفنه المسلمون هناك وجاء الروم فنبشوا القبر وأحرقوا جثته، وتولى صقلية خفاجة بن

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٥، ص٤٩١؛ ابن خلدون : العبر، ج٤، ص٢٥٤ .

سفيان الذي قام بدوره في استكمال الجهاد ففي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م فتح نوطس Notes وفي سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م وهزم البيزنطيين في معركة بينهما قرب سرقوسة إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء على المدينة^(١).

وفي ١٤ رمضان سنة ٢٦٤هـ/ ٢١ مايو ٨٧٨م فتح العرب سرقوسة بعد سلسلة من المحاولات والمعارك والتي دارت في الأعوام السابقة ، وواجهت الفتوحات العربية لمدن صقلية الكثيرة من العقبات منها الفتن التي نشبت بين المسلمين على صقلية ، واستمرت محاولات الأمراء الأغلبية في فتح صقلية أكثر من سبعين عاماً من الحروب شبه المتصلة وذلك بسبب المقاومة المزودجة التي يلقاها المسلمون ، فهم يواجهون القوات المحلية التي يقودها بطريق صقلية، ويواجهون الجيوش والأساطيل التي ترسلها حكومة القسطنطينية لتدافع عن الجزيرة. وكانت أعنف مراكز المقاومة ثباتاً هي قصر يانة وسرقوسة وطبرمين ومنطقة دمنش، واستولى المسلمون على مسينة فانفتحت أمامهم الطريق إلى جنوبي إيطاليا، استطاع فيها المسلمون أن يقضوا على حكم البيزنطيين في هذه المنطقة، ويحكموا هم قبضتهم على جزيرة صقلية^(٢).

ثالثاً : التقسيم الإداري لجزيرة صقلية بعد الفتح الإسلامي :

كانت جزيرة صقلية تنقسم إلى ولايتين منذ عصر الفينيقيين ثم البيزنطيين، وهما بلرم وسرقوسة وكانت مدينة سرقوسة عاصمة للجزيرة، ومنذ الفتح الإسلامي للجزيرة سنة (٢١٢هـ/ ٨٢٧م) تغير التقسيم الإداري إلى ثلاثة أقسام أو ولايات بما يتلاءم مع موقع الجزيرة ومساحتها، فأتخذ المسلمون مدينة (بلرم Palermo) عاصمة للجزيرة لأنها محصنة طبيعياً والجبال تحيط بها من شرقها وغربها فاتخذت مقراً للوالي^(٣).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٣٦-١٣٨ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ص ١١٩-١٢٠ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٣، ص ١١٥-١١٦ .

(٢) القيرواني : تاريخ إفريقية ، ص ٥٨ ؛ سعد زغول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٩م ، ص ٢٣٧-٢٤٣ ؛ إحسان عباس : العرب في صقلية ، ص ٢٩ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض، ج١، ص ١١٨ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٣، ص ٤١٨ ؛ غوستاف لوبون : حضارة العرب، ص ٣٠٨ ؛ حامد زيان غانم : الحضارة اسلامية في صقلية، ص ٤٥ ؛ أمين توفيق الطيبي : دراسات في تاريخ صقلية، ص ١٤٦ .

وظلت بلرم عاصمة للمسلمين ومركزاً للإدارة طوال فترة حكم الأغالبة وحتى فى العصر الفاطمى، إلا أن والى الجزيرة (الخليل بن إسحق) قام بتشييد مدينة خارج بلرم لتكون عاصمة جديدة، أخذ خليل يهدم أسوار بلرم، ويبنى عند المرسي مدينة ويحصنها، وهى التى سماها " الخالصة " وأرهب الناس فى أعمال البناء (٣٢٩هـ/٩٤٠م) ، فأصبحت المدينة الجديدة مركزاً للإدارة، ومقرراً للوالى والدواوين، وبها مخازن السلاح، وكافة أجهزة الدولة الأخرى، أحاط الولاية الخالصة بسور من حجارة وبه أربعة أبواب تشرف على جهاتها الأربعة (وهى باب كتامة، وباب الفتوح، وباب البنود، وباب الصناعة) ، وفى سنة (٤٣١هـ/١٠٣٩م) عادت بلرم عاصمة للجزيرة مرة أخرى ومقرراً للحكم ودواوين الإدارة، واستمرت حتى دخول النورمان، الذين اتخذوها عاصمة لهم وأحيطت بلرم والخالصة سور واحد (١) .

ثم تأتى مازر لتكون ثانى هذه الولايات، وكان بها أكبر عدد من المسلمين ولعل هذا يرجع إلى قربها من إفريقية، أما عن ثالث هذه الولايات فهى ولاية نوطس فى الوسط، وقد ظل هذا التقسيم الإدارى للجزيرة حتى إرتقاء الكلبيين لعرشها وكان على رأس كل ولاية من هذه الولايات الثلاث عامل يعينه الوالى، كما كان لكل مدينة جاب يشرف على إدارة أمورها المالية، والمحاسبية، بالإضافة إلى عدد من الموظفين فى المجالات المختلفة (٢).

رابعاً : الفاطميون وحكم صقلية:

قضى عبيد الله المهدي (٢٩٨-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م)، على حكم الأغالبة فى إفريقية سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م، واستولى على ممتلكاتهم، بما فيها صقلية (٣)، ومنذ ذلك الحين نجد صقلية وشمالى أفريقية مسرحاً للتنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية، وأصبح أهلها يستغيثون بالعدو الخارجى طوال تاريخها وذلك بحكم موقعها، وسيكون هذا الأمر سبباً فى القضاء على السيادة الإسلامية فى أرجائها.

أقر عبيد الله المهدي (على بن ابى الفوارس ٢٩٦-٢٩٧هـ/٩٠٨-٩٠٩م) والياً على صقلية ثم ولي الحسن بن أبى خنزير الكتامى (٢٩٧-٢٩٩هـ/٩٠٩-٩١١م) من قبيلة كتامة

(١) النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ١٦٨؛ ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٢٦٦؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٣٤؛ عبد المنعم رسلان، الحضارة الإسلامية، ص ١٩٣.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ١٧٦؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل: ج ٧، ص ٧١-٧٢؛ ابن خلدون، العبر، ج ٣، ص ٧٦٩.

البربرية، وكان يميل للبربر على حساب العرب مما أدى إلى اندلاع الثورة في عهده ، فعزلة المهدي وولى بدلا منه على بن عمر البلوي (٢٩٩-٣٠٠م/٩١٠-٩١١م)، وكان شيخاً كبيراً ، فقامت ضده ثورة كبرى عام ٣٠٠هـ/٩١١م، أطاحت بحكمه ، واختار أهل صقلية ابن فرهب (٣٠٠-٣٠٤م/٩١٢-٩١٦م) فرفض المذهب الشيعي ونادى بالمذهب السني وخرج عن الفاطميين، فإذا به يستميل أهل صقلية، ويقتنعهم بالثورة على المهدي والدعوة لبني العباس، ودعوة الناس إلى طاعة المقتدر فخطب له بصقلية وقطع خطبة المهدي . وكتب إلى المقتدر ببغداد أن يكون داعياً له وقائماً بأمره بجزيرة صقلية، فأنفذ المقتدر ذلك له، وبعث إليه بألوية سود ، ولما وصل إليه ذلك سر به، وأظهر الحزم والجد في أمره وهاجم الأسطول الفاطمي في مرسى رمطة ، وصفاقس ، وطرابلس وأسر من الفاطميين نحو ستمائة رجل، وبلغ الأمر عبيد الله فأرسل جيشاً يدافع عن الأسطول، فظفر ابن هرهب به وغنم ما معهم. واران ابن هرهب أن يغزو المهدي في عقر داره فبعث بأسطول إلى أفريقية، ولكن أسطول المهدي انقض عليه، وأخذ مراكبه، وطارت أحلام ابن قرهب ، فأعلن أهل صقلية العصيان وتأروا على ابن قرهب ودعوته العباسية ، وكتبوا إلى الخليفة المهدي، وحاول بن قرهب الهروب إلى الأندلس واكترى مراكب وشحنها متاعاً، فحال أهل صقلية بينه وبين ما أراد، وانتهبوا ما كان له وأسرده هو وابنه وقاضيه ابن الخامي، وبعثوا بهم إلى المهدي الذي وأمر بقتله (١). ثم أرسل الخليفة (أبو سعيد مرسى المعروف بالضيف) للقضاء على ثورات أهل صقلية ، الذين أرادوا ان تكون الإمارة في أيديهم وأن لا يكون المهدي إلا اسم، فأرسلوا يطلبون منه واليا وقاضياً، ويشترطون شروطاً خاصة، وأن يتحكموا في الوالي كيفما طاب لهم، فجهز المهدي إليهم جيشاً من أهل كتامة ، وحاصروا العاصمة بلرم وقتلوا جملة من أهلها، عندئذ طلب أهل صقلية الأمان ودفخوا المحرضين على الفتنة، ثم ولى الخليفة الفاطمي (سالم بن راشد) وجعل له حراساً من كتامة ، وكان سالم مثال الوالي الظالم العسوف، فعهد بحكم المدن إلى ولاية غلاظ قساة، فثار الناس وخرج عليه أهل صقلية لظلمه وإساءته معاملتهم مما دفع الخليفة القائم بأمر الله (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٥م) ، لإرسال قوة عسكرية بقيادة خليل بن اسحق فاستقبله الناس بالشكوى، وظنوا أن الخلاص سيكون على يدي خليل ، ولكن سالم بن راشد خلا بهم وأفهمهم أن خليلاً جاء لينتقم منهم بمن قتلوا من عسكره، وتحقق لديهم صدقه حينما أخذ خليل يهدم أسوار بلرم، ويبني عند المرسي مدينة سماها " الخالصة " وأرهب الناس في أعمال البناء، فثار أهل مدينة جرجنت، وحصنوا مدينتهم واستعدوا للحرب، فسار إليهم خليل سنة ٣٢٦هـ/ وحاصرهم ثمانية أشهر ولم يخل يوم واحد فيه من

(١) ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص٧٢، النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٦٥؛ المقرئزي: اتعاض، ج١، ص١٦٨؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ، ص٥٨.

القتال، وسعى أهل جرجنت فألبوا عليه المدن الأخرى، و ثارت جميع القلاع وأهل مازر. وكاتب الجرجنتيون ملك القسطنطينية يستجدونه فأمدهم بالمرائب فيها الرجال والطعام. وفتح خليل فاستجد بالخليفة القائم فأمده بجيش كبير، فأخذ يحاصر القلاع، حتى سنة ٣٢٩، فسار كثير من أهلها إلى بلاد الروم، وتنصر أكثرهم، وطلب الباقون الأمان فأمنهم على أن ينزلوا من القلعة، فلما نزلوا غدر بهم وحملهم إلى المدينة، ولما عاد خليل إلى إفريقية أخذ معه وجوه أهل جرجنت وفي عرض البحر خرق بهم السفينة فغرقوا، ثم تولى بعدها عطايف الأزدي الذي استضعفه أهل الجزيرة وثاروا عليه في ٣٢٥هـ/٩٤٧م بقيادة بنى الطبرى^(١)، وهذا ما دعى الخليفة المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)^(٢)، إلى توليت الحسن الكلبى أمر صقلية.

خامساً : - صقلية تحت حكم بنى أبي الحسين الكلبين

في سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) تولى الحسن بن على الكلبى حكم صقلية^(٣)، وهو من أسرة الكلبين^(٤)، صاحبة المكانة البارزة فى أعين الخلفاء الفاطميين، وخاصة بعد أن أخلصوا للخلافة الفاطمية وأظهروا تفانيهم فى خدمتها وخصوصا عندما قامت هذه الأسرة بالدور المؤثر بزعامة الحسن بن على الكلبى وأخيه عمار من أجل القضاء على ثورة ابن كيداد حتى أن الخليفة الفاطمى المنصور كافأهم بمنحهم حكم صقلية وجعلها ملكاً وميراثاً يتبادلونها خلفاً عن سلف .

أ- الحسن بن على الكلبى والقضاء على بنى الطبرى

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج ١، ص ٣٠٢؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨، على ١٥٨؛ ابن عذارى : البيان ، ج ١، ص ١٧٤؛ مجهول: تاريخ صقلية حين دخلها المسلمون ، أمارى المكتبة الصقلية(بغداد : ليبسك ١٨٥٧م) ص ١٩٥ .
(٢) الخليفة المنصور: تولى أمور الخلافة بعد وفاة والده فى ٣٣٤هـ/٩٤٥م، وكان عمره قد تجاوز الثلاثين ، حيث كان مولده فى العشر الأوائل من شهر رمضان سنة ٣٠١هـ/٩١٣م، أبريل ٩١٤ بالقبروان،؛المقرئزى : الاتعاض، ج ١، ص ٩٣-٢٣٥؛ إدريس : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار (بيروت: دار الغرب الإسلامى) ص ص ٣٣٨-٣٣٩. سعد زغلول ، تاريخ المغرب ، ج ٢، ص ١٨٥.

(٣) ابن الأثير : الكامل ؛ ج ٧، ص ٢٢٦-٢٢٧، النوبرى: نهاية الأرب ، ج ٢٤، ص ١٦؛ عبد المنعم ماجد: العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، (بيروت: الجامعة العربية، ١٩٦٦م)، ص ٨١.
(٤) الكلبين : سطع نجم الكلبين على يد على بن أبى الحسين الكلبى والذى يعد من المع محاربى الجيش الفاطمى فى صقلية ، وممن استشهدوا فى جرجنت عام ٣٢٦هـ/٩٣٧م ، ثم جاء أبناؤه من بعده وعلى راسهم الحسن ابن على وأخيه عمار، ليؤسسا لهما وللأسرة الكلبية مكانة بارزة فى أعين الخلفاء الفاطميين خاصة بعد النجاح الذى حققه الأخوان الحسن وعمار فى القضاء على فتنة للبربر بتونس عام ٣٣٣هـ/٩٤٤م ، وكذلك القضاء على ثورة أبى يزيد مخلد ابن كيدار التى شهدتها بلاد المغرب ضد الحكم الفاطمى عام ٣٣٣هـ/٩٤٤-٤٣م.المقرئزى : اتعاض ، ج ١، ص ٧٥ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف الفقى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ،دار الفكر العربى ،القاهرة ١٩٩٩م، ص ١٨٠.

وفور وصول الحسن الكلبى إلى مدينة مازر سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) واجه أطماع السادة المحليين وعلى رأسهم آل الطبرى وهم قبيلة تنحدر من أصل فارس^(١). فأستطاع الحسن بدهائه فذ أن يفسد خططهم وذلك بإستقطابه وكل من يريد العافية و كل منحرف عن بني الطبرى، وبدأ ال الطبرى مخططهم فى حكم صقلية ، بتوجه جماعة منهم على رأسهم محمد بن عبد ربه ، ومحمد بن الطبرى، إلى إفريقية لمقابلة الخليفة الفاطمى المنصور^(٢). متوددين إليه ليمنحهم حكم صقلية ، وعندما فشل بنوا الطبرى فى الحصول على حكم صقلية من قبل الخليفة الفاطمىدبروا مؤامرة لقتل الحسن الكلبى ، حيث أرسلوا إليه وفداً من قبلهم يحمل فى ظاهره الترحيب وفى باطنه الغدر ، حيث كان هدفهم من هذه الزيارة معرفة عدد جند الحسن وعتاده. وعندما علموا بقلته جنوده أخبروه بأنهم سيقدمون عليه فى صباح اليوم التالى، مصطحبين معهم باقى وفود أعيان المدينة لتقديم فروض الولاء والطاعة ، ولكن الحسن بن على الكلبى فطن لما يدبرونه وأنهم يريدون بقاءه لقتله، ولذا سارع الحسن بالخروج من مدينة مازر متجها صوب قرية البيضاء، فى مدخل بلرم التى استقبله بها حاكمها وأهلها أحسن استقبال ، أدرك عندئذ بنو الطبرى ضعف موقفهم بعد محاولاتهم البائسة فى القضاء على الحسن الكلبى ، فلم يجدوا بدا من إرسال وفد على رأسه إسماعيل الطبرى زعيمهم لاستقبال الحسن^(٣). ولكن لا يعنى أن بنى الطبرى قبلوا الحسن الكلبى حاكماً عليهم ، وليس أول على ذلك من محاولتهم اغتيال الحسن وإثارة أهالى الجزيرة عليه ، ولكن الحسن بذكائه السياسى المعهود أستطاع القضاء على هذه الفتنة ونجح فى تجميع الناس حوله، وأرسل إلى الخليفة المنصور يعلمه بسوء مسلك آل الطبرى ومؤامراتهم فرد عليه الخليفة مطمئناً إياه بأنه ألقى القبض على من بإفريقية من بنى الطبرى، وأوصى الحسن بن على الكلبى بأن يقضى عليهم بالجزيرة وعلى رأسهم زعيمهم إسماعيل الطبرى ، وقد تم للحسن هذا بالفعل حيث دعا إليه إسماعيل الطبرى وجماعته لقضاء يوم فى بستانه الخاص، وهناك تم القبض عليهم حيث وجه إليهم تهمة إثارة الفتن والثوات ضد الحكم الفاطمى ، وقام بقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، كما صُدرت أموالهم وممتلكاتهم^(٤) وبالقضاء على فتنة إسماعيل الطبرى واتباعه استقرت أوضاع الجزيرة الداخلية ثبتت الحسن قدمه فى المدينة، و قبض على أهل الفتنة وصادر أموالهم .و أجرى الله على يديه من العدل

(١) عزيز أحمد :تاريخ صقلية الإسلامية،ص١٧.

(٢) ابن الأثير :الكامل، ج٧، ص٢٢٣؛ الصيرفى: تريخ دولة الإسلام ، ج٢، ص٤٢٧.

(٣) ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص٢٢٣؛ ابن خلدون : العبر ، ج٤٠، ص٢٩٧؛ إحسان عباس، العرب فى صقلية ، ص٢٤٤. سعد زغول ، تاريخ المغرب العربى، ج٣، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٤) ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص٢٢٣، ابن خلدون : العبر ، ج٤٠، ص٢٩٧، إحسان عباس: العرب فى صقلية ، ص٤٥...

وظهور الخير ومن ثم فقد توجه الحسن بن علي لمهمة أكثر خطورة والتي تجلت في الجهاد ضد البيزنطيين^(١).

ب - دور الكلبين في الصراع البيزنطي الفاطمي

كان لموقع جزيرة صقلية في البحر المتوسط أثر فعال في مجال العلاقات السياسية بين الجانب الإسلامي والجانب الغربي متمثلاً في (الدولة البيزنطية من ناحية والقوى الأوربية) في الغرب الأوربي من ناحية أخرى، فقد حرص الفاطميون منذ بداية حكمهم لصقلية على سياسة الهجوم والمستمر على المدن والقلاع الواقعة تحت السيطرة البيزنطية في إيطاليا، حيث كلف الوالي يعقوب ابن اسحق بمواصلة النشاط الحربي ضد البيزنطيين حيث نجح في فتح مدينة جنوة كبرى مدن جنوب إيطاليا ثم توقف النشاط الفاطمي الصقلي في إيطاليا مدة خمس عشرة عام (٣٢٥-٣٤٠هـ/٩٣٦-٩٥١م)، نتيجة الاضطرابات التي سادت صقلية والثورات التي قام بها أهلها على الولاة الفاطميين، حتى جاء الحسن بن علي الكلبى ليعتلى حكم صقلية فعاد الأمن والهدوء إلى الجزيرة. وأعاد النشاط العسكري ضد البيزنطيين، حيث تصاعد النزاع بني الحسن الكلبى ومسيحي صقلية الذين طلبوا النجدة من الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع بورفير جينتوس (٣٠١-٣٤٨هـ/٩١٣-٩٥٩م) بعدما قيامهم بدفع جزية متأخرة قدرت بثلاث سنوات، فما كان إلا أن لبي ندائهم إذ وجد في ذلك فرصة ذهبية لإعادة السيطرة البيزنطية على الجزيرة، فأرسل الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع على الفور جيشاً بيزنطياً وضع قيادته تحت أحد البطارقة وهو السردغوس باسكاليوس قائد قلورية (كلابريا)^(٢)

فأدرك الحسن بن علي خطورة مقدم الجيش البيزنطي نحو الجزيرة، فطلب النجدة العاجلة من الخليفة الفاطمي المنصور فأمدّه الأخير بجيش مكون من سبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف وخمسمائة راجل، تقابله على الجانب الآخر أسطولاً بحرياً، ووضعت كل هذه القوات تحت إمرة القائد الفتى (فرج الصقلي مولى المنصور)، واتجهت القوات صوب مدينة مسينا Massana فاستولى عليها ثم سار الحسن بعد ذلك متقدماً نحو (قلورية وريور) وحاصر جراحه حصاراً شديداً حتى

(١) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص٢٦٧؛ صابر محمد دياب: المرجع السابق، ص ص ١٤٩-١٥٠، عبد المنعم ماجد ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م، ص ٢٨١.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٤، حسن إبراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١٠٥؛ أرشيبالد لويس، مرجع سابق، ص ١٣٩.

أشرف أهلها على الهلاك، ولم ينقذهم من هذا الحصار سوى تقدم القوات البيزنطية، مما دفع بالحسن بن علي إلى مصالحة أهل جراجة مقابل دفعهم الجزية ولكي يتفرغ لقتال الجيش البيزنطي الذي أنسحب أمام القوات الإسلامية متقهقراً نحو مدينة بارة Bara طالبا الصلح فعقدت الهدنة بين الجانبين^(١).

وفي سنة ٩٥٢/هـ٣٤٠م نفذت بيزنطة الهدنة مع المسلمين وذلك عندما قام أهل قلورية يطلب النجدة من الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع للتخلص من النفوذ الإسلامي، والذي قام بتسيير حملة بحرية بقيادة مكر وجاها رنس Mcrogaharns وحملة أخرى برية وضع قيادتها تحت يد ملجان مالكينوس Malgan malkinos بالإضافة إلى قوات قلورية تحت قيادة باسكاليوس Paskalios، والتقى بجيوش المسلمين عند مدينة جراجة، ودارت معركة عنيفة أسفرت عن تفوق القوات الإسلامية على الجيش البيزنطي، وتحقيق انتصارا ساحقا حيث قتل البطريك ملجان مالكينوس، وهروب قائد قلورية باسكاليوس، بصعوبة بالغة كما غنم المسلمون من هذه المعركة مغنم كبيرة، من الأسلحة والعتاد وغيرها، كما استطاع الجيش الإسلامي فتح (رسته ولطره) وهما من أهم الحصون التي كانت واقعة تحت السيادة البيزنطية، إلى جانب وقوع العديد من الأسرى الذين تم إرسالهم إلى إفريقية وجاء على رأسهم القائد البيزنطي مكروجوهارنس Mcrojahrns قائد القوات البرية والذي تم صلبة^(٢).

وخرج الحسن بن علي بحملة عسكرية سنة ٩٥٢/هـ٣٤١م استطاع خلالها من فرض الحصار حول مدينة جراجة، وأمام ذلك أضطر الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع عقد معاهدة صلح مع القائد الحسن بن علي، وبناء على ذلك أرسل الإمبراطور البيزنطي أحد سفرائه وهو جان بلاطوس Jean Plates إلى الحسن بن علي وذلك لعقد معاهدة بين الطرفين، ولعل أهم ما جاء فيها هو أن يقوم الحسن بن علي ببناء مسجد كبير وسط ريو في إيطاليا يقيم فيه المسلمون الصلاة ولا يمنعون من عمارته، ولا يدخله نصراني ومن دخله من أسرى المسلمين فهو آمن وإن خربوا فيه هدمت كنائسهم جميعاً في كل من صقلية وإفريقية، ومن شروط هذه المعاهدة يتضح لنا مدى قوة مركز الحسن بن علي، ونجاح سياسته الخارجية مع البيزنطيين بحيث أنهم وافقوا على مطالبته دون قيد أو شرط^(٣).

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٤، ؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص٢٦٦.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٧، ص٢٢٤، سعد زغلول: المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٤-٢٢٥؛ ابن خلدون العبر: ج٤، ص٢٦٧؛ حسن إبراهيم: حسن تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٠٠؛ تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص٢٦٧-٢٦٨.

ورغم ذلك لم تخرج جزيرة صقلية عن دائرة اهتمام الدولة البيزنطية، فكانت تتحين الفرص لاستردادها ، ومن أجل ذلك فقد أرسل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع سفارة بيزنطية إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، قد جاء هذا التحالف البيزنطي الأموي لتوحيد جهود الدولتين لوقف النشاط الفاطمي، وخاصة في البحر المتوسط ، كما يهدف الاتفاق كذلك إلى قيام الأسطول البيزنطي بمهاجمة المناطق الخاضعة لسيطرة الفاطميين على السواحل الإفريقية ، وفي الوقت ذاته تتقدم البحرية الأندلسية بمهاجمة الممتلكات الفاطمية الواقعة غرب البحر المتوسط، ولعل هذا التحالف البيزنطي الأموي يعد نقضاً صريحاً للهدنة التي سبق أن أبرمها البيزنطيون مع الدولة الفاطمية ، مما دفع بالأخيرة لرفع أقصى درجات الاستعداد لمواجهة هذا التحالف^(١).

وعاد الاحتكاك العسكري بين البيزنطيين والمسلمين في سنة (٣٤٧هـ / ٩٥٨م) ، وكان ذلك عندما قام باسيل Basil أحد القواد البيزنطيين بهدم مسجد مدينة ريو، واستولى على مدينة ترميني Tarmini، مما أدى لتحرك الأسطول الإسلامي الذي نجح في مهمته ، ولكنه دمر أثناء عودته في ٣٤٨هـ/٩٥٩م، لتعرضه لرياح عاصفة، وفي عام ٣٥١هـ/٩٦٢م استطاع أحمد الكلبى من إعادة فتح طبرمين Tarmina ، وحاصر مدينة رمطة في سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م فاستجد أهلها بالإمبراطور البيزنطي نففور فوقاس Nicphocos (٣٥٢ - ٣٥٩هـ/٩٦٣ - ٩٦٩م) ، الذي أرسل لصقلية جيشاً عظيماً بلغ عدده أربعين ألفاً وضع قيادتها تحت يد القائد البطريرك نيقتاس Nicetas ومعه مانويل Manuol ابن أخ الإمبراطور قائد لفرقة الفرسان كما انضمت إلى هذه القوات أيضاً أعداداً كبيرة من السفن الحربية^(٢).

وعندما علم أحمد بن الحسن الكلبى والى صقلية بكل هذه الأعداد الغفيرة للقوات البيزنطية أسرع في طلب العون من الخليفة المعز لدين الله ، الذي أرسل إليه على الفور جيشاً فاطمياً بقيادة

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ١، ص ٢٤٧؛ السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادى: تاريخ البحرية في حوض البحر المتوسط في المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٩٣م، ج ٢، ص ١٤٠؛ صابر محمد دياب: سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر المتوسط، ص ١٥٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٢٨٤؛ النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٣٧٠؛ المقرئ: المقفى، ج ٣، ص ٤٣٥-٤٣٦؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١١-١٣؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٢٨-٢٣٠.

الحسن الكلبى عام ٣٥٢هـ/٩٦٣ ، وكان البيزنطيون فى هذه الأثناء قد وصلوا إلى مسينا ومنها توجهوا نحو رمطة. فبدأ المسلمون فى تنظيم صفوف قواتهم حيث قام الحسن بن عمار الكلبى ابن عم أمير صقلية ، بتقسيم الجيش الإسلامى إلى قسمين الأول: خصص مهمته فى حصار رمطة ولا يتركها وألا يسمح لأهلها بالاتصال بالبيزنطيين . أما القسم الثانى فیتجه تحت قيادته لملاقاة الجيش البيزنطى قبل وصوله رمطة وقد وصلت المعلومات بكثافة الجيش البيزنطى وحسن تسليحه ، اشتبك الجيشان الإسلامى والبيزنطى فى معركة حاسمة استبسال المقاتلين المسلمين فحلت الهزيمة بالبيزنطيين وقتل قائدهم مانويل Manuel وسقط المنهزمون فى حفرة، فقتل بعضهم البعض وبذلك كان الفتح لرمطة سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م بعدما هلك من البيزنطيين أعداد كبيرة، وأسر منهم ألف أسير فيهم مائة بطريك وكان منهم البرطريك نيقتاس ، وحيث حصد المسلمون أموالهم وسلاحهم ما لا يحصى عدده ، وترك حاكم صقلية عدد من المسلمين لنشر الدين الإسلامى على المذهب الشيعى بين أهل رمطة كما فعل من قبل فى طبرمين^(١).

ورغم هزيمة البيزنطيين إلا أن فلولهم تجمعت لتلتقى فى معركة بحرية عنيفة مع المسلمين بقيادة أحمد بن الحسن الكلبى ، الذى استطاع أن يوقع بالبحرية البيزنطية هزيمة قاسية عام (٣٥٤/٩٦٥) بموقعة المجاز نسبة لخليج المجاز الذى يفصل بين صقلية و إيطاليا ،قتل فيها عددا كبيرا من القوات البيزنطية. ،وبتفوق الولاة الكلبيين العسكرى فى طبرمين ورمطة والمجاز أخذت المدن الثائرة فى صقلية تستلم الواحدة تلو الأخرى ، ولم يقف أثر هذه المعارك عند هذا الحد ، بل أننا نجد أن أهل كلابريا يعقدون هدنة مع أحمد الكلبى يتعهدون بمقتضاها بدفع الجزية للفاطميين، كما استغل المسلمون كذلك هذا النصر فهاجموا المدن الإيطالية وغنموا فيها مغانم كثيرة، فاضطر الإمبراطور البيزنطى نقفورفوكاس لعقد صلحاً مع الخليفة المعز لدين الله عام ٣٥٦هـ/٩٦٦م ، خاصة بعد ظهور الملك الألماني أوتو الأول Otto I (٣٢٤-٣٦٢هـ/٩٣٦-٩٧٣م) فى إيطاليا ، الذى وضع نصب عينيه منذ توليته عرش الإمبراطورية الرومانية المقدمة هدفاً واحداً وهو إحياء إمبراطورية

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٨٤؛ النوبرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٠٢، محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربى القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٣٥؛ محمد مرسى، الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٣٨؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب، ج٣، ص٢٧٣.

شارلمان على حساب الدولة البيزنطية ، هذا مما دفع بالإمبراطور البيزنطي نقفور إلى طلب الصلح مع المسلمين ، فأرسل الإمبراطور البيزنطي نقفور سفيرا من قبله يدعى نيقولا Nicola لعقد هدنة مع الخليفة المعز لدين الله في ٣٥٧هـ/٩٦٧م ، ووافق المعز على هذا الصلح ، لأنه أراد أن يأمن جانب البيزنطيين حتى يتفرغ ويلقى ثقله كله في الاستعداد لتجهيز جيش إلى مصر وأخذها من الإخشيديين بموجب هذا الصلح تقرر تنازل المعز عن كل من مدينتي طيرمين ورمطة في صقلية للبيزنطيين ، وكان لهذا التنازل أثر كبير في سخط مسلمي صقلية ، ويبدو أن والي صقلية أحمد بن الحسن الكلبى كان غير راضى عن ذلك ، لأنه والمسلمين بذلوا جهداً عظيماً في فتحها فلم يكن من السهل على أحمد بن الحسن ، وأهل صقلية المسلمين التفريط فيها بهذه السهولة ولكنه كان مضطراً لتنفيذ أوامر المعز لدين الله، عندما أقدم على إحراق كل عمره المسلمون في المدينتين قبل تسليمها للبيزنطيين كي لا يستخدمها الأخيرين في مهاجمة المسلمين بصقلية^(١).

امر المعز بتولية الأمير أحمد بن الحسن الكلبى قيادة الأسطول الفاطمى المتجه إلى مصر ، كما أنه أبقى محمد بن الحسن بن الكلبى فى البلاط الفاطمى فى القاهرة ، مثلما كان فى المنصورية وعين جعفر الكلبى وزيراً له أيضاً ، فى الوقت الذى قام فيه بتولية يعيش موالى الحسن الكلبى على صقلية ، فى هذه الأثناء ثارت فتنة كبيرة بالجزيرة بين قبيلة كتامة وبعض القبائل الأخرى بسبب تنظيم العمل بدار صناعة السفن فى بلرم ، استطاع أبا القاسم على بن الحسن الكلبى ، القضاء على هذه الثورة عام ٣٥٩هـ/٩٦٩م^(٢).

ج - محاولات البيزنطيين استرداد صقلية بعد وفاة الإمبراطور البيزنطي (نقفور) :

تعددت محاولات البيزنطيين لإسترداد جزيرة صقلية وخاصة بعد وفاة الإمبراطور البيزنطي (نقفور فوقاس Nicphore phace) ، وتولية (يوحنا تزييميسكس (٣٥٩-٣٦٦هـ/٩٦٩-٩٧٦م) الذى أخذ على عاتقه إعلان الحرب ضد الفاطميين وباتوا يشكلون خطراً كبيراً على أملاك

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، ص٢٨٤ ؛ النويرى : نهاية الأرب ، ج٢ ، ص٢٧٤ ، السيد عبد العزيز سالم ، أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية فى حوض البحر المتوسط ، ج٢ ، ص ١٤٠ - ١٤١ ؛ أحمد توفيق المدنى : المسلمون فى جنوب إيطاليا وصقلية ، ص ١٥١ . سعد زغول : تاريخ المغرب ، ج٣ ، ص ٢٧٤ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٠٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، ص٣٩٧ ؛ إحسان عباس : العرب فى صقلية ، ص ٤٧ ، عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ص ٣٨ ؛ سعد زغول : تاريخ المغرب ، ج٣ ، ص ٢٧٥ .

الإمبراطورية البيزنطية في الشرق^(١). وأصبح الصراع برا وبحرا بعد أن كان في معظمه بحرياً، ولقد انعكست آثار هذا الصراع أيضاً على صقلية، حيث تحرك البيزنطيون عند كلابريا وبالقرب من مضيق مسينا، فأصبحوا يهددون جزيرة صقلية، فتحرك الأمير أبو القاسم علي بن الحسن على رأس جيش من صقلية و التقى بالبيزنطيين في معركة حاسمة ، مما دفع بالجيش البيزنطي للانسحاب نحو المجازلي كلابريا، فتقدم عندئذ أبا القاسم متعباً أياه ، ولم يلبث أن اتجه شمالاً نحو مسنته casanta في وادي كراتي Carti ، وأقام حولها الحصار عدة أيام حتى اضطر أهلها إلى طلب الأمان، مقابل دفعهم الجزية ، ثم اتجه أبو القاسم بعد هذا إلى قلعة جالو Galo ، وفي ذات الوقت : كان قد أرسل أسطولاً نحو أبوليا Apulua ناحية بطنطة Bitanta فغنم المسلمون ، وأسر الكثير من البيزنطيين ، ثم عاد الأسطول وعلى رأسه أبو القاسم إلى بلرم للإستعداد لهجمة أخرى^(٢) .

شنت القوات العربية الإسلامية هجماتها في عام ٣٦٦هـ/٩٧٧م على جنوب إيطاليا، فهاجمت طارنت Taranto فأحتمى أهلها داخل أسوار ، التي تسلفها جيش المسلمين و استطاعوا فتح أبوابها ودخلها أبو القاسم في النهاية و اتخن فيها، كما استولى أيضاً على سانت أجائه Sant Agatho بالقرب من ريو وتكررت غزوات المسلمين فيما بين (٣٦٨-٣٧١هـ/٩٧٨-٩٨١م) على مقاطعتي كلابريا وبوليا Babalia حيث كانت دائما هدفا لحكام صقلية المسلمين ، واتجهت جماعات من المتطوعين المسلمين إلى كل من وادي البراندا Baranda وهاجموا جرافينا Gravina جنوب غرب باري وعاد المسلمون بالغنائم والأسرى فتحرك الإمبراطور باسيل الثاني (٣٦٦-٤١٦هـ/٩٧٦-١٠٢٥) (٣) لطرده المسلمين من صقلية وجنوب إيطاليا وقد فشلت مخططاته وذلك لحروبه في الغرب ضد البلغار والأرمن وفي الشرق ضد الحمدانيين والفاطميين^(٤) .

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٢٩؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص ص ٥١٠-٥١٤؛ المقرئ: اتعاض، ج١، ص١٢٨؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٠٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص ٣٩٠-٣٩٩؛ عزيز أحمد: صقلية الإسلامية، ص ٤١؛ سعد زغول: تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص٣٧٨؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية، ص٢٠٧؛ محمد مرسى الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٦٦..

(٣) باسيل الثاني Basile II: بدأ تولية عرش الإمبراطورية البيزنطية كشريك لأخيه قسطنطين الثامن، و تفرد بالحكم سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، و قضى على الثورات والفتن الداخلية في بلاده، وقام بسلسلة حروب طويلة في أوربا أشهرها حربه ضد البلغار. والتي استخدم فيها العنف والأضطهاد حتى أطلق عليه لقب (سفاح البلغار)، وتوفى عام ١٠٥٥هـ/١٠٢٥ عن عمر يناهز الثامنة والستين عاماً. محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢١٥-٢٢٧.

(٤) وسام عبد العزيز فرج: الإمبراطور باسيل الثاني، ص١٦٩ وما بعدها.

أما الخطر الأكبر الذي واجه المسلمين فى صقلية تمثل فى الإمبراطور الألماني أوتو الثانى II otto (٣٦٣-٣٧٣هـ/٩٧٣-٩٨٣م). الذى ، فقام عام ٣٧١هـ/٩٨٢ بحصار قلعة إسلامية فى جنوب إيطاليا، وهزم المسلمين فى معركتين عسكريتين مما دفع بالوالى الصقلى أبو القاسم على بن الحسن الكلبى إلى التقدم فى قوة من جنده عابراً مضيق مسينا للقاء الألمان ، وعندما علم أبو القاسم بكثرة جند خصمه الألمان فإنه تراجع ليعيد تنظيم صفوف قواته، ولكن الألمان لم يتركوا له تلك الفرصة. حيث تتبع الألمان الجيش الإسلامى ونجحوا فى عام ٣٧٢هـ/٩٨٢ فى اختراق قلب صفوف القوات الإسلامية ، وقتلوا أبا القاسم الذى شهيداً فى ساحة المعركة ، مما أثار غضب المسلمين، فقاموا بالهجوم على الجيش الألمانى، فقتلوا منهم أربعة آلاف ، وأسروا عدداً كبيراً من قوادهم وغنموا مغنم كثيرة وفر الألمان أمام المسلمين فى دهشة من أمرهم وكان على رأسهم الملك أوتو الثانى Otto II الذى هرب إلى ريسان Rassane ومنها اتجه إلى روما فى مركب بيزنطى^(١)، وباستشهاد أبى القاسم، اختار الجند ابنه جابر الكلبى (٣٧٢-٣٧٣هـ/٩٨٢-٩٨٣م). ليتولى شئون الحرب والحكم فى صقلية ، بعد أن أقره عليها الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) ، فظل على ولايتها لمدة عام واحد، ثم عزله الخليفة العزيز، لأنه ولم يكن ذا حزم، فاختلف عليه الجند، وكرهوا ولايته، لعدم قدرته على الإدارة شئون البلاد^(٢) .

وفى سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م) ، أرسل الخليفة الفاطمى بمصر العزيز بالله واليا جديداً على صقلية هو (جعفر بن محمد بن الحسن بن على الكلبى (٣٧٣-٣٧٥هـ/٩٨٣-٩٨٥م) وقد استمر جعفر فى ولايته على صقلية إلى أن توفى فى عام (٣٧٥هـ/٩٨٥م) بعد أن نشر الرخاء فى صقلية^(٣) خلف جعفر فى حكم صقلية أخاه عبد الله بن محمد الكلبى (٣٧٥-٣٧٩هـ/٩٨٥-٩٨٩م) ، فأقام الجهاد ضد البيزنطيين فى الجنوب الإيطالى، حيث هاجم كالايريا وبعض المناطق القريبة منها الواقعة تحت حكم البيزنطيين وكذلك هاجمت السفن الإسلامية الصقلية مدينة كورنز Cornz فى جنوب إيطاليا ، وعاد عبد الله محملاً بالأسلاب والغنائم ، لذلك قام الإمبراطور البيزنطى

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٣٩٧؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ص ٢١٣-٢١٥. رأفت عبد الحميد: المشكلة الإيطالية فى السياسة الألمانية: الفكر السياسى الأوروبى فى العصور الوسطى. ص ١٥٦.

(٢) أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص٩٧؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧٦ الزركلى: قاموس الأعلام، ج٢، ص ١٠٤.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٣، ص ص ١٢٥-١٢٦؛ ابن أبى دينار: المؤنس، ص ١٨٦؛ الزركلى: قاموس الأعلام، ج٣، ص ١٢٨.

باسيل الثانى إلى طلب الهدنة فأرسل إلى الخليفة الفاطمى العزيز بالله بذلك فوافق الأخير على طلبه ولكن الصلح لم يدم طويلاً، حيث استنجد الحمدانيون فى الشرق بالبيزنطى باسيل ضد الفاطميين مما دفع بباسيل إلى تلبية استغاثتهم ، ولعل هذا ما وتر العلاقات بين الدولة الفاطمية والبيزنطيين ، وعلى أثر ذلك توجه الكلبيون عام ٣٧٨هـ/٩٨٨م بالإغارة على مدينة بارى وعادوا منها محملين بالغنائم^(١).

وفى تلك الأثناء توفى الوالى الصقلى عبد الله بن محمد فولى الخليفة الفاطمى ابنه أبا الفتوح يوسف بن عبد الله محمد الكلبى (٣٧٩-٣٨٨هـ/٩٨٩-٩٩٨م، و أنعم عليه الخليفة العزيز لقب " ثقة الدولة"، فضبط الجزيرة ، وأحسن إلى الرعية وذن له البيزنطيون بعد أن كبدهم خسائر فادحة نتيجة لهجومه على بلدة ماتيرا Matera واستيلائه عليها عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م ، برغم مقاومة أهلها الشديدة؛ لقد ظلت البلاد فى عهده تنعم بالعدل والرخاء والأمان حتى أصابه الفالج (الشلل) فى جانبه الأيسر ، فألت الولاية إلى ابنه جعفر بن يوسف الكلبى(٣٨٨-٤١٠هـ/٩٩٨-١٠١٩م)^(٢)

ولقد وتعاقب على صقلية من الكلبيين عشرة ولاة فى مدة خمس وتسعين سنة شهدت فى أثنائها تقدماً فى الحياة العمرانية وفى العلوم والأداب، كما شهدت جهادهم المستمر فى جنوب إيطاليا وفى مقاومة أطماع الروم فى الجزيرة. وأخذت صقلية إلى الهدوء وجنت من ذلك خير الثمار. وكان من أسباب هذا الهدوء انشغال الجند فى اكثر الأوقات بالحروب فى جنوبي إيطاليا، وإخلاص الكلبيين فى الدفاع عن صقلية، واعتبار أنفسهم مستقلين استقلالاً داخلياً فى شؤون الجزيرة.

أوضاع السياسية لجزيرة صقلية فى عهد الأمير جعفر بن يوسف الكلبى

يعد عهد جعفر بن يوسف الكلبى (٣٨٨-٤١٠هـ/٩٩٨-١٠١٩م) من الأهمية بمكان بحيث أنه كان بداية النهاية لحكم الكلبيين فى صقلية، وذلك لما شهدته أرض الجزيرة على يديه من اضطرابات وثورات داخلية وحروب خارجية ضد البيزنطيين، منذ أن ولى أميراً عليها من قبل

(١) المقرئى :اتعاط ، ج١، ص٨٥؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٢٥٨؛ محمد جمال سرور : مصر فى عهد الدولة الفاطمية ، ص ١٦٧ عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ص٣٩-٤٠ .
(٢) أبو الفدا : المختصر ، ج٢، ص٩٧، النوبرى: نهاية الأرب ، ج٢٤، ص٣٧٦ ، ابن الخطيب : الأعلام ، ج٣، ص١٢٩؛ عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية ، ص٢٨٥

ال خليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)^(١) الذي أنعم عليه بلقبى "تاج الدولة" و "سيف الملة" وأحاط الأمير جعفر الكلبى نفسه بكثير من الشعراء وقام بتشجيع العلماء والأدباء ، مما كان له أثر فى إعلاء شأن الأدب والفن بها وعلى الرغم من كل هذا فإن ثقافة الأمير جعفر، وتقدم شئون بلاطه، لم تحد من تصرفاته وسوء تدبيره؛ ضد أسرته الكلبية ، وليس أدل على هذا من الثورة التى قامت ضد الأمير جعفر بن يوسف الكلبى فى أول شعبان ٤٠٨هـ/٢٥ فبراير ١٠١٨م من قبل أخيه على بن يوسف، لسوء معاملته لأفراد أسرته ، فتجمع حول على بن يوسف الكلبى جماعة من العبيد والبربر المناصرين له، وحاولوا الإطاحة بحكم الأمير جعفر إلا أنه استطاع بمعونة رجاله وخاصته القضاء على هؤلاء الثوار وقتل زعيمهم على بن يوسف الكلبى ، وقام بإتباع سياسة تعسفية متطرفة ضد أخوته وأهل بيته مما أضعف مركزه السياسى بالجزيرة بعد أن أمر بقتل العديد من جنوده لشكبه فى ولائهم له، وقام بطرد البربر المشاركين فى هذه الثورة ومعهم أولادهم إلى إفريقية، فضعف بذلك شأنه وقل جنده^(٢).

انفجرت ثورة عارمة فى المحرم ٤١٠هـ / ١٠١٩م شارك فيها هذه المرة أهل صقلية عامة كبارهم وصغارهم وحاصروا قصر الأمير جعفر فى الخالصة (بلرم) مع أن أسباب تلك الثورة هذه المرة إنما ترجع إلى طغيان واستبداد محمد البغانى وزير الأمير جعفر بن يوسف ففى الوقت الذى كان فيه الأخير مهتماً بإحكام سيطرته على دواوين الحكم والإدارة فقد ترك الشئون المالية لوزيره محمد البغانى الذى استخدم ونفوذه منتهجاً سياسة قاسية فى جباية الضرائب ، ونتيجة لذلك اندلعت ثورة أخرى ضد الأمير جعفر بن يوسف الكلبى وبلاطه، وكاد الثوار أن يقبضوا عليه ويفتكوا به لولا خروج والده ثقة الدولة يوسف المفلوج إلى الثوار، وأخذ بلباقته ولطف حديثه أن يخلى بين الثوار وابنه جعفر، واعدأ إياهم بالتصرف فى الأمر، فخلع الأمير جعفر وولى بدلاً منه أخاه الأمير أحمد بن يوسف المعروف بالأكحل، فوافق الثوار على ذلك، بعد أن أجمعوا عليه، أما جعفر فقد

(١) الحاكم بأمر الله : ولد بالقاهرة فى عام ٣٧٥هـ / ٩٨٥م، وتولى الخلافة بعد وفاة والده الخليفة العزيز بالله فى ٣٨٦هـ ، ٩٩٦م، وكان عمره آنذاك إحدى عشر عاماً، وخطب له فى مصر والشام وإفريقية والحجاز وصقلية، وقد أهتم الحاكم بعلوم الفلسفة والفلك وبنى مرصداً فلكياً. المقريزى: اتعاظ الحنفا، ٢، ص ٤٣٣-٤٣٤ ؛ عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ط٢ مؤسسة الخانجى ، القاهرة، ١٩٥٩م ، ص ١٧٢-١٧٤..

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ١٢٠؛ ابن عذارى: البيان، ج١، ص ٢٦٨-٢٦٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٢٦٨؛ الزركلى: قاموس الإعلام، ج٢، ص ٢٣٩؛ السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م ، ص ٧١٢.

أرسله والده يوسف إلى مصر خوفاً عليه من الثوار خاصة بعد أن قاموا بقتل وزيره محمد البغاني. ثم أتجه الأب بعد ذلك مسافراً إلى مصر (١)

ومن الملاحظ أن الأوضاع الخارجية في عهده لم تكن أقل شأنًا من السياسة الداخلية التي شهدتها أرض الجزيرة حيث عمت هي الأخرى بالأحداث الهامة.

كانت سياسة الأمير جعفر بن يوسف الكلبى الخارجية متجهة دائما للجهاد ضد العدو التقليدى البيزنطيين، حيث واصل الأمير جعفر جهاد أسلافه ضد البيزنطيين فأرسل جيشاً كبيراً لمهاجمة مدينة بارى، مستغلا ما حدث بالأخيرة من ثورة للومبارديين بزعامة سمار أجدوس Smaragdus ضد الحكم البيزنطى، تلك الثورة التى استمرت نحو أربع سنوات (٣٩١-٣٩٥هـ/١٠٠٠-١٠٠٤م)، فحاصرتها القوات الإسلامية سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م بجيش ضخم بقيادة "صافى" غلام الأمير جعفر، من البر والبحر، وظل الحصار مضروباً على المدينة حتى ذو الحجة الموافق مايو حتى ديسمبر عام ٣٩٤/١٠٠٤م عانى فيها سكان المدينة بارى مرارة الجوع فيها جراء شدة الحصار نظراً لنفاذ الأقوات، وكادت المدينة أن تستسلم لولا أن قدم لإنقاذها أسطول البنادقة بقيادة الدوق بطرس أوسولو Pater orseol ووفقاً لمرسوم عام ٣٨٢هـ/٩٩٢م الذى يحدد العلاقة بين البنادقة والبيزنطيين، تحتم على البنادقة المبادرة إلى تقديم المساعدة للبيزنطيين فى إيطاليا، التى تعرضت لهجوم المسلمين فتولى الدوق قيادة الحملة البحرية فى أغسطس عام ٣٩٤هـ/١٠٠٤م، غير أنها لم تصل إلى بارى إلا فى سبتمبر، فلقى الأسطول استقبلاً حافلاً، ولم يجد البنادقة مقاومة تمنعهم من شق طريقهم إلى الميناء، لإنزال المون والجنود حيث دارت معركة عنيفة فى بارى أشترك فيها المسيحيين المتحالفين من البنادقة والومبارديين والبيزنطيين والروس فضلاً عن جنود من أصل أسبوى استمر القتال براً وبحراً ثلاثة أيام متتالية وأنتهى بإرتداد المسلمين عن بارى فى أواخر عام ٣٩٤هـ/١٠٠٤م، وقد أحرز البنادقة من الانتصار ما كفل لسكان أبوليا الهدوء والسلام سنوات عديدة غير أن مدن كالأبريا، تعرضت كثيراً لهجمات المسلمين. ففى عام ٣٩٥هـ/١٠٠٥م دارت معركة بحرية شديدة قرب ريو Regye بين الأسطولين الإسلامى

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ١٥١؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص ٢٩٨؛ النويرى: المصدر السابق، ج٢٤، ص ٢٧٧؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٢٦٨؛ أحمد توفيق المدنى: المسلمون: ص ١٦٣..

والبيزنطي، وانتفض البيازنة لمساعدة البيزنطيين، فرجع المسلمون إلى قواعدهم بصقلية على أنهم لم يلبثوا أن هاجموا كسنته Casenta واستولوا عليها عام ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م^(١)

صقلية في عهد الأمير الأكل بين بنى زيرى والبيزنطيين

جاءت إمارة أحمد بن يوسف المعروف بالأكل على جزيرة صقلية- بعد خلع أخيه جعفر بن يوسف الكلبى، ، وبعد وصول خطاب الولاية من قبل الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله، الذى (لقبه بتأييد الدولة)، حيث نجح فى إعادة الهدوء والسلام إلى صقلية ، وبدأ الأكل القتال ضد البيزنطيين وتوجه بحملة عسكرية نحو الجنوب الإيطالى مستغلا إنشغال الإمبراطور البيزنطى باسيل الثانى بحروبه فى شبه الجزيرة البلقانية التى خرج منها منتصراً ، فوجه الإمبراطور باسيل الثانى فى عام ١٠٢٥هـ / ١٠٢٥م إلى صقلية جيشاً ضخماً بقيادة (أورستس Orestes)، فنزل بإيطاليا وأنحاز إلى القوات المحلية التى يقودها (القطبان بويانس Bayans) فأسترد القطبان مدينة ريو Reygo وعمر أسوارها. ثم نزل بمسينا على شاطئ صقلية وأحتلها. فتوجه الأمير الأكل أمير صقلية إلى طلب العون والمساعدة العسكرية من المعز بن باديس أمير إفريقية(٢) وفى الوقت نفسه اتجهت القوات الإسلامية للإلتقاء مع الجيوش البيزنطية-حتى تأتيمهم الإمدادات من إفريقية- فى ملحمة عسكرية رائعة ذاق بعدها البيزنطيون هزيمة ساحقة، برغم ما جاءتهم من أمدادات من بلاد اليونان ومقدونيا وفى هذه الأثناء مات باسيل الثانى، وخلفه على الحكم أخوه قسطنطين الثامن Canstantin VIII (٤١٦-٤١٩هـ / ١٠٢٥-١٠٢٨م) فتقرر استدعاء أورستس إلى القسطنطينية^(٣).

نهاية حكم الكلبين بصقلية:

اضطربت العلاقات الطيبة بين الكلبين وبنى زيرى والتى لم تستمر طويلاً، فقد أنهار التحالف بينهما على أثر الفتنة التى يعد المسئول الأول عن أشغالها هو (جعفر بن الأمير الأكل)، حيث أستغل جعفر غياب والده عن الجزيرة لجهاده ضد البيزنطيين عام ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م وقام بفرض نفوذه ، وقام بمحاولة إغواء أهل صقلية وضمهم إليه ضد البربر و العرب باعتبارهم

(١) السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية، ص ٧٠٦؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٤٢-٤٣؛ صابر محمد دياب: دراسات فى التاريخ الإسلامى ، دار النهضة، القاهرة ١٩٧٧م، ص ٩١.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص ١٠٢ ؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧٨-٣٧٩؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٤٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ١٥٠-١٥٢، السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية ص ٧١٣؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٣٧-٣٨؛ محمد محمد مرسى الشيخ: تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٨٣؛ إبراهيم طرخان: المسلمون فى فرنسا، ص ١١٤-١١٧.

دخلاء، ولكن أهل صقلية رفضوا الانصياع له، والوقوف ضد إخوانهم المسلمين من العرب والبربر، مؤكدين لجعفر بن الأكل الكلبى أنهم تصاهروا وتناسبوا اختلطت دماؤهم بدماء العرب، لكن الأخير استطاع بحيلة ماهرة أن يضم العرب والبربر إليه بعد ما عرض عليهم ما سبق أن عرضه على الصقليين، فقبلوا ذلك فجعل منهم الفريق صاحب الامتياز فى الجزيرة على حساب أهلها الأصليين، فأعفاهم من الضرائب فى حين فرضها على أهل الجزيرة فقط، فشرع الصقليون بالفارق الهائل فى المعاملة كما آلمهم قبول الفريق الآخر امتياز عليهم رفضوه هم أنفسهم من قبل، وهكذا أشار الأمير جعفر الانقسام بين المسلمين من أهل الجزيرة بسبب التفرقة فى معاملتهم. وهنا اشتعلت ثورة المضطهدين تحت قيادة رجل يدعى (أبو حفص) والذي توجه إلى إفريقية مصطحباً معه مجموعة من أعيانها مستغثين بحليف الكلبيين المعز بن باديس أمير أفريقية عام ٢٧٤هـ/١٠٣٥م مستجدين به من الأكل وولده طالبين يد العون والمساعدة فقالوا له: نحب أن تكون فى طاعتك وإلا سلمنا للبلاد للروم. (١)

فى نفس الوقت استغل الإمبراطور البيزنطى فرصة الاضطرابات التى حاقت بأهل صقلية، فأرسل الإمبراطور ميخائيل الرابع Micheal IV (٤٢٦-٤٣٣هـ/١٠٣٤-١٠٤١م) سفيراً من قبله للتفاوض مع الأكل أمير صقلية، وكان ذلك عام ٢٧٤هـ/١٠٣٥م، ولما كان الأكل يتفاوض مع الإمبراطور البيزنطى فى مركز قوة فقد منحه الإمبراطور ميخائيل الرابع لقب القائد (Magestrats) بعد عودة سفيره إلى القسطنطينية وبرفقته ابن الأكل لزيارة الإمبراطور، وإبلاغه بما تم من اتفاق، أما ما كان من موقف المعز بن باديس من أحداث هذه الثورة فقد استجاب لنداء الصقليين، فجهز جيشاً بقيادة ابنه عبد الله بن المعز، أخذوا طريقهم متجهين نحو صقلية، وبالفعل نجحوا فى دخول بلرم بمساعدة الثوار الذين حاصروا قصر الأمير الأكل، وقتلوه بداخله أثناء الحصار، وولى الأمير عبد الله بن المعز بن باديس أمر جزيرة صقلية (٤٢٧-٤٣١هـ/١٣٥-١٠٣٩م) وبتولية الأمير عبد الله بن المعز على صقلية تكون صقلية بذلك قد خرجت من يد الكلبيين وعادت إلى إفريقية مرة أخرى (٢).

ولكن أهل صقلية شعرو بالندم، وأصابهم الشعور بالإثم الكبير الذى اقترفوه ضد أميرهم الأكل والأسرة الكلبية، لذلك لم يستمر حكم الأمير عبد الله كثيراً فى صقلية، حيث اتفق أهلها على

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ١٥٧؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧٨-٣٧٩؛ محمد جمال سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٣٦-٢٣٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٢٦١؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص ٣٧٩؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧؛ سعد زغول: تاريخ المغرب، ج٣، ص ٤٩٠.

شق عصا الطاعة على أميرهم الجديد الرجوع عن قرارهم السابق بتولية فثاروا عليه، وقتلوا حوالى ثلاثمائة من اتباعه مما أضطر بالأمير عبد الله بن المعز إلى العودة إلى إفريقية ومغادرة الجزيرة^(١)

أما عن البيزنطيين وموقفهم تجاه مقتل الأكلح أمير صقلية، وتولية عبد الله بن المعز باديس أمر الجزيرة، ثم خروجه منها بعد الثورة التي قامت ضده، فإنهم استغلوا وفاة الأكلح، والانقسام الذى طرأ على مسلمى صقلية وأنفذوا حملتين لغزوا الجزيرة كانت الأولى عام ٢٩ هـ/ ١٠٣٧م وهذه لم تحرز أى نصر أو نجاح، أما الثانية فكانت فى العام التالى، وقد استطاعت هذه الحملة أن تستولى على مسينا ومعظم البلاد الواقعة على الساحل الشرقى من الجزيرة بفضل قواتهم الكبيرة وانضمام خمسة عشر ألفاً من مسيحي صقلية إليهم تحت قيادة القائد البيزنطى جورج ميناكس **George Miniakes** والذى لمع اسمه من قبل فى حروب البيزنطيين فى الشام فى ما بين (٤٢١-٤٢٦ هـ/ ١٠٣٠-١٠٣٥م).

وهكذا احتل البيزنطيون مسينا، وأمضوا فيها عامين، لكنهم فى خلال هذه الفترة لم يستطيعوا تأسيس قاعدة لهم فى صقلية لأن المسلمين سرعان ما تمكنوا من استعادة أكثر البلاد التى أستول عليها البيزنطيون، رغم المساعدات التى جاءت للبيزنطيين من قبل الروس، وبعض النورمان كجنود مرتزقة. بل إن البيزنطيين استطاعوا عام ٣٣ هـ/ ١٠٤١م من تحقيق بعض الانتصارات فيما بين منطقة رمطة و ترمينى ، حتى سقطت فى أيديهم معظم المدن ناحية أتنا (جبل النار) على أن هذا الزحف البيزنطى فى صقلية قد توقف نتيجة استدعاء القائد البيزنطى ميناكس قائد الجيش البيزنطى فى صقلية إلى القسطنطينية، نتيجة لدسائس بعض كبار البلاط البيزنطى ضده عند الإمبراطور البيزنطى حيث زج به فى السجن، وهذا سهل مهمة المسلمين فى صقلية من استعادة الأقاليم التى فقدوها فى ٣٤ هـ/ ١٠٤٢م خاصة وأن القائد ميناكس ترك وراءه قادة أقل منه مهارة فى إدارة المعارك الحربية^(٢)

وفى تلك الأثناء ظهر على مسرح الأحداث من يقود المسلمين لوقف هذا الهجوم البيزنطى الجارف على صقلية ذاك هو (الأمير حسن بن يوسف الكلبى) أخو الأمير الأكلح الملقب بصمصام الدولة (٤٣١-٤٤٤ هـ/ ١٠٣٩-١٠٥٢م) والذى أختاره أهل صقلية للولاية عليهم بعد خروج عبد الله بن المعز منها، وقد وصل للأمير الحسن مرسوم الولاية من الوزير اليازورى بتكليف من الخليفة المستنصر بالله فى القاهرة، فور تنصيب أهل صقلية له عام ٣١ هـ/ ١٠٣٩م، وحاول الأمير الصمصام أن يبذل جهداً كبيراً فى إعادة تقويم الموقف فى صقلية داخلياً بين الأطراف المتناحرة، وخارجياً برد العدوان البيزنطى عنها ولكن محاولته هذه ذهبت هباء بسبب تدخل

^(١) ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص ٢٦٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٧٩؛ حسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٤٨،

^(٢) عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٤٠؛ عبد المنعم ماجد: العلاقات، ص ١١٨.

عبد الله بن المعز من جانب ، والبيزنطيين من جانب آخر حيث تدخلهم فى شئون صقلية وقاموا بتأليب أهل بلرم على الأمير الصمصام وثاروا عليه، وتم عزله حيث تطلب الأمر أن استدعاه الوزير الفاطمى اليازورى ومعه أفراد أسرته من الكلبيين وذلك بأمر من الخليفة الفاطمى المستنصر بالله، وخرج الأمير حسن بن يوسف الكلبى المعروف بالصمصام إلى القاهرة، وبخروجه انتهى حكم الكلبيين وهو ودورهم فى صقلية. (١)

حكام الطوائف وضياع صقلية الإسلامية:

انتقلت الأسرة الكلبية إلى مصر، وبانتقالهم أنتهى دورهم السياسى فى صقلية، وفتطلع الكثيرون - من غير المؤهلين لهذا الدور الكبير - لارتقاء سدة الحكم فيها، فظهرت الصراعات، وانقسمت الجزيرة إلى إمارات صغيرة تزعم كل إمارة منها أحد الثائرين فيها على الحكم السابق-وقد جاء تقسيمها كالتالى:

-القائد عبد الله بن منكود (منكوت) وكان نصيبه من الجزيرة طرابش Trapni أو مرسى على Marsala وما زر Mazara، والشاقة sciarca والسهول الغربية للجزيرة.

-القائد ابن نعمة المعروف بابن الحواس، وكان من نصيبه قصر يانه Castrgiovanni، وجرجت Girgenti والقصر الجديد castronavo وبذلك شمل نفوذه منطقة الساحل الجنوبي الغربى للجزيرة.

-القائد بن مكلاتى وكان من نصيبه قطانيه Catania وهكذا وبخرج الصمصام من بلرم حكمها جماعة من أعيان وشيوخ المدينة أما باقى الجزيرة فقامت على نظام الإمارات الصغيرة حيث كان من الصعب فى ظل هذه الظروف الاتفاق على شخص واحد، وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك أن ابن الحواس من أقوى هؤلاء الحكام الصغار، كما ظهر فى الفترة (٤٤٥-٤٥٢هـ/١٠٥٣-١٠٦٠م) قائد يدعى محمد بن إبراهيم بن الثمنة، استطاع أن يجعل لنفسه وضعا قويا بين هؤلاء القادة حيث بسط سيطرته على سرقوسة، كما قتل ابن المكلاتى واستولى على قطانية، وتمكن كذلك من هزيمة بن منكود وضم إليه كل الأماكن والمدن التى كانت خاضعة له، ونظراً لما أظهره ابن

(١)المزيد من التفاصيل عن انتهاء الأسرة الكلبية أنظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٢٦٣؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب، ج٣، ص ٤٩١؛ عبد المنعم ماجد: العلاقات، ص ٢٨٧؛ إيمان فؤاد على أحمد الجويلى: صقلية فى عهد الأسرة الكلبية (٣٣٦-٤٤٤هـ/١٠٥٢-٩٤٨م، ص ٣١-٦٠.

الثمنة من قوة ضد خصومه، فقد أعترف به أهل بلرم، ونصبوه حاكماً عليهم، ولهذا فلقد لقب نفسه "بالقادر بالله"، وجعل الخطبة بإسمه في مساجد بلرم^(١).

وهنا صارت صقلية مقسمة فعلياً بين زعيمين هما ابن الثمنة وابن الحواس. غير أن موقف الأول ومركزه على الواقع السياسي والجغرافي كان أقوم من ابن الحواس؛ ونتيجة لتعارض طموحات كل منهما، فقد نشبت الصراعات والحروب بينهما؛ حيث قام ابن الثمنة بحصار مدينة قصريناه، ولكنه فشل في إخضاعها، مما دعى بابن الحواس إلى تتبعه حتى قطنانية، وعندما شعر ابن الثمنة بضعف موقفه، فإنه اضطر إلى الاتصال بالنورمان لنجدته، على الرغم من علمه بمطامعهم في أرض الجزيرة وإذا كانت خيانة قائد بيزنطي من قبل هو "فيمي" أدخلت المسلمين إلى الجزيرة فإن خيانة قائد مسلم أخرجتهم منها^(٢).

دخول النورمان صقلية ومحاولة بنى زيري الدفاع عنها:

كانت دوافع النورمان لدخول صقلية واحتلالها، ليست وليدة طلب ابن الثمنة، لكنه سهل لهم دخولها والسيطرة عليها. فقد استهوتهم صقلية بثرائها الواسع وموقعها الجغرافي القريب من ممتلكاتهم في إيطاليا، بالإضافة إلى تشجيع البابوية في روما لزحفهم واحتلالهم صقلية وطرد المسلمين منها^(٣).

وشجع الباب نيقولا الثاني النورمان وبارك زحفهم على صقلية وأعتبر هذا الزحف هو بداية الحروب المقدسة ضد المسلمين حيث اتجه النورمان بقيادة روجر Roger - آخو روبرت جيسكارد الأصغر - بجيوشه مع ابن الثمنة إلى صقلية عن طريق مسينا، فسقط في أيديهم الكثير من المدن، بعدما تركها سكانها فراراً من النورمان، وكان من المدن التي تم حصارها مدينة قصريناه التي خرج منها لجهادهم ابن الحواس في رجاله، ولكنه هزم وعاد إليها مرة أخرى متحصناً بأسوارها، فتركه النورمان؛ واستكملوا زحفهم إلى باقي المدن حيث تمكنوا من الاستيلاء عليها، وكان من نتيجة ذلك أن هاجر الكثر من العلماء والأعيان والصالحون من صقلية في جماعات إلى إفريقية ومصر والاندلس ناجين بأنفسهم، بينما اتجهت جماعات أخرى إلى المعز بن باديس طالبين

(١) ابن الأثير الكامل، ج ٨، ص ٣٩٠؛ النويري؛ نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٣٧٩-٣٨٠؛ ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٢٩؛ الحميري: الروض العطار، ص ١٧٧؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٤٣-٤٤.

(٢) الكامل، ج ٨، ص ٣٩١ - ٤٠١؛ ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٥؛ حامد زيان غانم. العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام، ص ٦٨؛ آرشيبيالد. رلوس: القوى البحرية، ص ٣٧٣.

(٣) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٤٤؛ أمين توفيق الطيبي: دراسات في تاريخ صقلية، ص ٩٩؛ أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في المغرب والأندلس، ص ٤٣-٤٤.

منه المساعدة العسكرية لطرد النورمان من الجزيرة، بعد أن احتلوها مستغلين ما نشب بها من صراعات وحروب أهلية، وعلى الفور استجاب المعز بن باديس لإستغاثة مسلمي صقلية، حيث أرسل أسطولاً كبيراً يتألف من أربع مائة قطعة بحرية، كما فتح باباً للتطوع للجهاد في عام ٤٤٤هـ/١٠٥٢م^(١)، ودفع بالأسطول دفعاً إلى صقلية مما يعتبر مغامرة كبيرة بسبب دخول فصل الشتاء، فلما قرب الأسطول من جزيرة قوصرة المجاورة لتونس، هبت عليها ريح شديدة، وغرق الأسطول، ولم ينج منه إلا القليل، وبذلك لم يجد النورمان أمامهم أي قوة تمنعهم من التقدم في صقلية والسيطرة على المدن والمعازل والحصون الإسلامية^(٢)

وقد ترك غرق الأسطول أثراً سيئاً على بني زيري في إفريقيا، حيث أضعف هذا الحادث قوتهم العسكرية، هذا في الوقت الذي كان فيه المعز بن باديس قد قطع علاقته مع الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وانفصل نهائياً عن الفاطميين/ وأقام الدعوة للقائم أبي جعفر بن عبد القادر الخليفة العباسي (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م)، وكان من الممكن تدارك الأمر والعمل على بناء أسطول جديد والاستعداد من أجل الدفاع عن الجزيرة ضد غزو النورمانيين لولا موقف الفاطميين من بني زيري في المغرب والسعي نحو القضاء عليهم في ذلك الوقت فدفع المستنصر بتحريض من وزيره اليازوري بالقبائل الهلالية وأحلافهم من بني سليم وربيعة وعدى في صعيد مصر للقيام بغزو شمال إفريقية والعمل على القضاء على ابن باديس الصنهاجي، والتخلص من عرب بني هلال وبني سليم، وبما يثيرونه من متاعب ضد الخلافة الفاطمية في مصر^(٣) وهكذا اتجهت قبائل بني هلال وبني سليم لعبور النيل إلى البر المغربي باتجاه بلاد المغرب بعد أن أعانهم الوزير الفاطمي اليازوري بناء على موافقة الخليفة المستنصر بالله بالمال والعتاد وحيث أطلق لهم العنان قائلاً: "قد أعطيتكم المغرب وملك ابن باديس بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقروا"^(٤).

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٤٦٠؛ النويري: المصدر السابق، ج٢٤، ص ٣٨١؛ ابن دينار: المؤنس، ص ٧٨؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب، ج٣، ص.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٤٦٠-٤٦٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٤٥؛ حامد زيان غانم: الإسلام والمسلمون، ص ٢٢١؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب، ج٣، ص ٤٩١؛ آرشيبلد. ر. لويس: القوى البحرية، ص ٣٧٤.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٦، ص ١٣؛ السيد طه أبو سديرة: الهلالية في صعيد مصر، ص ٥٥-٦٢.

(٤) ابن حماد: أخبار ملوك بن عبيد، ص ٥٦؛ المقرئزي أتعاض، ج٢، ص ٢١٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص ١٤؛ السجلات المستنصرية، تحقيق عبد المنعم ماجد (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٤م)؛ السيد عبد العزيز سالم: المغرب، ص ٥٧١-٥٧٩؛ عفيفي محمود: بنو زيري، ص ١٣٤.

وقد نجحت هذه القبائل من الاستيلاء على برقة وطرابلس الغرب، فدخل المعز بن باديس معهم فى حروب قاسية هزم فيها، وغنم العرب الخيل الكثيرة والخيام وما فيها من مال ومتاع وتابعوا زحفهم نحو القيروان فضربوا الحصار حولها نحو ثلاث سنوات حتى هلكت الضواحي والقرى وتمكن بنو هلال وسليم من الاستيلاء على سائر بلاد إفريقية وتقسيمها فيما بينهم، ودخلوا القيرون عام ١٠٥٧/هـ٤٤٩م واستباحوها كما عملوا على تخريب مبانيها حيث تفرق أهلها فى البلاد الأخرى (١)

وأرسل الخليفة المستنصر إلى شيوخ الهلالية، حيث عهد إليهم بولاية إفريقية فجعل المونس بن يحيى المرادسى على ولاية القيروان وباجة، كما أعطى لزغبة كل من طرابلس وقابس وعهد إلى الحسن بن مرة ولاية قسنطينية ولم يلبث المعز بن باديس بضع سنين على ضياع ملكه حتى توفى وذلك فى عام ١٠٦٢/هـ٤٥٤م، وبذلك فقد المعز بن باديس قدراته العسكرية، مما أثر بشكل واضح على موقف بنى زيرى من صقلية وعجزهم عن الدفاع عنها. (٢)

ولما تولى تميم بن المعز (٤٥٤-٥٠١/هـ١٠٦٢-١٠٧٠م) (٣) بعد وفاة والده بادر تميم بإرسال أسطول بقيادة أبناه أيوب وعلى لينقذا الجزيرة من أيدي النورمان، حيث اتجه أيوب بجيشه إلى بلرم، فى الوقت الذى أتجه فيه على بن تميم بالأسطول البحرى إلى جراجنت، كما سعى أيوب بقواته نحو جرجنت لينضم إلى قوات أخيه على، و سر مسلموا صقلية بمقدمة، ونجح أيوب فى اكتساب حب أهل جرجنت له مما أثار عليه ابن الحواس، فلم يلبث أن ساءت العلاقة بينهما، ودخلت فى نطاق المعارك وساند أهل جرجنت أيوب باعتباره المخلص والمنقذ لهم وللجزيرة من النورمان، ونتيجة لذلك قتل ابن الحواس، حيث وقع اختيار الأهالى على أبواب بن تميم ليكون أميراً عليهم، ولكن الأميرين (على وأيوب) تلقوا هزيمة على أيدي النورمان فى موقعة ميسلمرى Miselmeri شرق بلرم فثار عليهم أهم صقلية لذلك قرر على وأيوب العودة مرة أخرى إلى إفريقية

(١) المقرئى: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢١٧؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص ١٨؛ السيد طه أبو سديره، الهلالية، ص ٦٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ص ٢٦٦-٢٦٧؛ المقرئى: اتعاظ، ج٢، ص ٢١٨؛ سعد زغول: تاريخ المغرب، ج٣، ص ٤٩٤.

(٣) تميم بن المعز بن باديس: هو أبو يحيى تميم بن المعز بن بايس ولد عام ٢٤٢هـ / ١٠٣٠م بمدينة المنصورية ، تولى بعد وفاة أبيه، وكان بطلاً، شجاعاً، مهيباً ، كما هوجم من قبل النورمان عام ٤٨٠هـ/١٠٩٢م وساءت أحوال دولته آخر أيامه وتوفى بالمهدية عام ٥٠١هـ/١١٠٧م ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ص ٣٠٤-٣٠٥؛ الزركلى: قاموس الإعلام، ج٢، ص ٨٨.

مصطحبين معهم أعيان الجزيرة سنة ٤٦١هـ/١٠٦٩م، وذلك بعدما تأكد لهم سقوط الجزيرة عاجلاً أم أجلاً في أيدي النورمان لسوء أحوالها^(١)

وهكذا توغل النورمان في الجزيرة فسقطت بلرم في ٤٧١هـ/١٠٧٨م وأستمر سقوط المدن تلو الأخرى حتى سقوط قصريانة آخر المدن في أيديهم عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م، وبذلك أمتلك روجر Roger قائد جيوش النورمان والذي منحه أخوه روبرت جيسكارد حكم صقلية، والتي تحولت من جزيرة إسلامية إلى مسيحية، وأصبحت منذ هذا التاريخ ضمن الممالك النورمانية، ويرجع ضياع حكم الجزيرة من أيدي المسلمين إلى ما وقع بين قواد المسلمين من عوامل الحقد وتغلب المصالح الذاتية على الروح الدينية والقومية بين حكامها حيث أضعف العرب الهلالية الدولة الزيرية في المغرب، مما أدى لسقوطها، وضعفت البحرية الإسلامية في غرب البحر المتوسط، وحلت محلها الأساطيل البيزنطية من جديد وأساطيل الجمهوريات الإيطالية (البندقية-جنوة-بيزا)الناهضة.^(٢)

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٤٨٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٨٢؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب؛ ج٣، ص ٤٩٤؛ إحسان عباس: العرب في صقلية، ص ١٣٠، عزيز أحمد: صقلية الإسلامية، ص ٤٤..
(٢) ابن أبي دینار: المؤنس، ص ٧٨؛ أمين الطيبي: دراسات في تاريخ صقلية، ص ٢٠٠؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية ص ٤٤؛ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج٣، ص ٤٩٥؛ حامد زيان غانم: الإسلام والمسلمون في صقلية في ظل الحكم النورمانى، ص ١٢١.

الفصل الثالث

النظم الإسلامية فى جزيرة صقلية

١- النظام السياسى

٢- النظام الإقتصادى

٣- النظام الإجتماعى

أولاً: النظام السياسي :

الوالي :

الولى فى صقلية منذ فتحها كان تابعا للأغلبية ، وكان حول والى صقلية مجلس استشاري من حوله، وهو الذي كان يسمى في القيروان "الجماعة"، ولذلك نسمع في تاريخ صقلية دائماً عن شيوخ المدينة بلرم (بالرمو Palermo عاصمة صقلية)، المعتقد أنهم كانوا يزولون بعض السلطان إلى جانب الوالى.

والوالى أيام الأغلبية لم يكن يزيد على قائد عارف بفنون القتال، و كان يخرج الجيوش والسرايا فتفتح وتغنم ، وفى هذه الفترة المبكرة كثيراً ما كان الجيش ينتخب الوالى دون أن ينتظر مجيء وال جديد من أفريقية. على أنه لا بد أن نلاحظ أنه ليس من الواضح لدينا إن كان الذي يولى الوالى هو الجيش أو شيوخ البلد أو الفريقان معاً.

وتحدثنا المصادر أن العباس بن الفضل لما وقع عليه الاختيار أخذ يبتث السرايا وهو مقيم في بلرم، فلما جاءه التصديق على ولايته من أفريقية قاد الجيش بنفسه. وربما أشار هذا إلى أن قيادة الجيش كانت هي الصفة الأولى التي تفترض حكومة القيروان توفرها في الوالى، وكان الوالى يسكن القصر في بلرم، ويودع فيه المال والسلاح والكساء، ومن قصره ذاك كان يشرف على نواحي المدينة، وكان له أن يعين من قبله ولاية على المدن، يخضعون له مباشرة.

الوالى في عهد الكليبيين

اتسع سلطان الوالى الإداري فى عهد الكليبيين منذ أن بنى خليل بن إسحاق الخالصة أصبحت هي مركز الوالى بدلا من القصر القديم، وأصبح كل وال بعد ثورة ابن قرهب يتمتع بحماية حرس غريب عن الجزيرة، فلم يعد في إمكان أهل صقلية أن يطردوه بسرعة، إذ صار في مكانه أن يتحصن منهم ويقاثلهم في مدينتهم.

وارتبطت صقلية في أيام الكليبيين بالدولة العبيدية الفاطمية في إفريقية وأصبح يدعى على منابرها للخليفة العبيدي الفاطمي وبذلك أصبح الوالي الصقلي ممثلاً للخليفة وبارتباط صقلية بمصر أصبحت تتأثر بها في أساليب الحياة، ويهاجر إليها طلاب العلم وتقوم فيها الأنظمة الحكومية على غرار ما هي في مصر، فكان الوالي في صقلية يدين بنوع من التبعية للقاهرة، ويستمد منها القوة الإدارية والحربية، ومن يتولى ولاية صقلية يجب أن يكون في يده سجل بولايته من الخليفة، وأن تصله منه الخلع والألقاب والتشريفات، وأصبحنا نسمع في صقلية ألقاباً مثل ثقة الدولة وتاج الدولة وتأييد الدولة ومصمام الدولة، ولم تنفك مصر عن هذه المراسيم بتقليد الولاية حتى كانت آخر خلع وصلت من مصر للمصمام، وكانت صقلية تدفع سنوياً مبلغاً من المال للدولة الفاطمية، وهذا واضح من قول ناصر خسرو: "وتغادرها كل سنة سفينة تحمل المال إلى مصر"، وكان الخليفة الفاطمي يتدخل في الشؤون الداخلية في صقلية معتبراً إياها جزءاً من مملكته، له حق التصرف فيه، فكان يعقد الصلح مع الروم على شروط نافذة في صقلية، دون أن يأخذ رأى واليها، ولم يكن للوالي إلا أن ينفذ ما يراه سيده مناسباً وإن كره ذلك والى صقلية (١).

الدواوين في صقلية :

ديوان بيت المال :

وطبق النظام المالي الإسلامي على صقلية الإسلامية، وكان من أهم موارد بيت المال الزكاة، والجزية، والغنائم والخراج، كما أورد ابن حوقل الأموال الأخرى التي ترد على الجزيرة بقول: "خمسةا ومستغلاتها، ومال اللطف، والجوالى المرسومة على الجماجم، ومال البحر، الهدية الواجبة في كل سنة، وقبالة الصيود، وجميع المرافق وجهاتها" (٢).

من هذا النص يتضح اوجه إيرادات بيت المال وهي كالآتي:

(١) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٤٥؛ المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ٢ / ٢٤٢. القلقشندي: صبح الأعشى، ٣ / ٤٩٣.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٣٠.

المستغلات: وهى جزء من مال صقلية يخرج لصالح لدولة الفاطمية، ومن أهمها الحديد والذى كانت ملكيته فى صقلية تعود للفاطميين والكلبيين، كما كانت مزارع القصب ملكاً للحاكم، وكان البردى حكرًا للخلفاء الفاطميين والكلبيين معاً ويمكنهم استغلاله بأى صورة.^(١) أما اللطف: وهى الهدايا التى تقدم فى مواسم معينة.^(٢)

الجوالى: من موارد بيت المال، وهى ضريبة تفرض على من يعمل بالتجارة والصناعة من أهل الذمة، وتحسب كل أول سنة هلالية، وكان عليها عامل يكتب أسماء الذميين، ويلزم كل طائفة عن طريق رئيسها بكتابة الرقاع بما عند كل منهم من الرواتب، وعددهم وما استجد عليهم من طوارئ قبل دخولهم الإسلام، وهناك ضريبة تؤخذ على السفن كأجرة رسو أو عبور فى الموانئ الإسلامية تسمى (مال البحر) ، ويعتبر مال البحر من أهم الموارد الاقتصادية لجزيرة صقلية وذلك بسبب كثرة الموانئ ، بالإضافة إلى (الهدية الواجبة) على أهل بعض المدن ، وتدفع بشروط معينة ، ووجدت ضريبة (قيالة الصيد) وهى فرضت على صيادين الجزيرة مقابل منحهم من الحاكم تصريح للصيد، فكانوا يدفعون مبالغ معينة، وكان هناك شخص يسمى المتقبل يقوم بهذا العمل فيدفع من ماله الخاص ثم يجمعه بعد ذلك من الصيادين، وفرضت ضرائب المكوس وكانت تفرض على البضائع، وكانت جباية الأموال تتم عن طريق وضع جابيا على كل مدينة من قبل الوالى ، للإشراف على إدارة أمور المال، كذلك وجد إحصاء كامل شبه سنوى يعرض على حاكم الجزيرة، ويعرف هذا الإحصاء "بالارتفاع" وهو عبارة عن إصدار ميزانية- سنوية لكل إيرادات بيت المال ، تعددت أوجه الإنفاق من بيت المال فى صقلية، فكان بيت المال ينفق على الفقراء من أموال الزكاة، والإنفاق على الإصلاحات والعمارة داخل الجزيرة، ومن أهم النفقات هو إرسال سفينة محملة بالمال والهدايا للفاطميين فى مصر، ، والإنفاق على الجيوش وتجهيزها بالأسلحة، وبناء الأسطول ، وصرف أعطيات الجند، ورواتب الموظفين بالإضافة للعطايا والمنح والهبات^(٣) .

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص ١٣٠- ١٣١.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة لطف.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٣٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ؛ ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ج٣، ص١٥٦؛ النويرى: نهاية الأرب، المكتبة ص ٢٨٥. غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٩.

ديوان الخمس: وهو ضريبة معينة توضع على الغنائم التي تخص الحاكم وتدخل بيت المال، وهو يفرض على الأراضى المأخوذة عنوة وما ينتج عنها من منتجات وللخمس مختص مسئول عنه يعرف بصاحب الخمس، شخصيته ذات شأن في تاريخ صقلية وأدبها، فهو يتولى أمر البلد حين لا يكون لها وال، وهو بحكم مركزه مقصد الأديباء والشعراء، ويرى الأستاذ أماري أنها خمس الغنيمة والأرض التي أخذت عنوة. ويقول دوزي: صاحب الخمس هو متولى الأرض التي أصبحت ملكاً للدولة في مدن افتتحت عنوة ويعد ابن الرقباني والشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشامي في زمن صمصام الدولة من أشهر من تولى رئاسة هذا الديوان.^(١)

ديوان الإنشاء: وهو يتولى شئون المراسلات الخاصة بالوالي، سواء أكانت مراسلات للحكومة المركزية بالقاهرة، أو إلى عماله في الولايات داخل الجزيرة أو مراسلاته إلى الخارج^(٢)

أما عن متولى هذا الديوان كان يخاطب بالشيخ الآجل ويسمى أيضاً بكاتب الدست الشريف، ومن ذوى المكانة الاجتماعية والعلمية، كما كان من شروط من يتولى هذا الديوان أن يكون ملماً بقواعد اللغة العربية، حسن الخط، ولهذا كان معظم من تولى هذا الديوان من الأديباء وكان من مهامه أيضاً عرض المكاتبات الواردة على الحاكم وهو أيضاً من يأمره الحاكم بالرد عليها، كما كان يستشير في أكثر أموره ولا يحجب عنه متى قصد المشول بين يديه، وكان راتبه مائة وعشرين ديناراً في الشهر، وله حجاب من الأمراء والشيوخ والعمال وكان ممن تولى هذا الديوان (محمد بن أحمد الصقلي) سنة (٣٧٥هـ/٩٨٠م)، و(أبو الحسن الطوبى الصقلي)^(٣)

(١) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٦٦؛ ابن بسلام: الذخيرة، ج٢، ص ٢٩١؛ إحسان عباس: العرب قى صقلية، ص ٦٥-٦٦.

(٢) الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: أرياش أدرنوس (تونس: المطبعة التونسية، ١٩٨١م) ص ٧٢؛ القفطي: أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: ١٩٥٢م) ج١، ص ١٧؛ إحسان عباس: العرب في صقلية، ص ٥٦-٥٧؛ إبراهيم العدوى: السفارات الإسلامية، ص ٢٥.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٧، ص ١٠١-١٠٣؛ المقرئى: الخطط، ج٢، ص ٤٠٣؛ إحسان عباس: معجم العلماء والشعراء الصقلية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤م، ص ١٨٥. أمين الطيبي: تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٠٦-١٠٧.

ديوان الخاصة: أما ديوان الخاصة، فهو ديوان يشرف على إقطاعات الوالي وشئون قصره وتم تطويره وأصبح يضم إليه دار الضرب، ومن أشهر ممن تقلده ابن القطاع الصقلي^(١).

ديوان المظالم : وجاء ديوان المظالم ليختص برفع المظالم عن المظلومين، ورفع شكاوهم إلى السلطات المختصة التي بيدها اتخاذ القرار^(٢).

ديوان تحقيق المعمور : كانت مهمته العمل على تنظيم الأراضي وتوزيعها ودخولها في ملكية الدولة وهو مسئول أيضاً عن شئون العبيد، وحصر أسمائهم وعدد من أعتق منهم^(٣).

ديوان الطراز : وهو خاص بالطراز الحاكم، فهذا الديوان يقوم بإعداد وصناعة وتطريز الملابس الخاصة به، ويعرف رئيس هذا الديوان بصاحب الطراز ، وأن صاحب الطراز: " كان ينظر في أمور الصباغ، والإله والحاكمة منهما ، وإجراء أرزاقهم وتسهيل آلاتهم ومشاركة أعمالهم وكانوا يعهدون ذلك لخواص دولتهم وثقات مواليهم"^(٤).

جهاز الشرطة

جهاز الشرطة في صقلية يتبع سلطة الوالي مباشرة وكان يطلق على رئيسها اسم "صاحب الشرطة" وتقوم الشرطة بتنفيذ الأحكام الشرعية، ومراقبة جمع الأموال، وقد وجد بمدينة الخالصة سجن عام يودع فيه المخالفون للقانون ومثيرو الشغب، ويأتي (أبو الفضل محمد بن علي الفهري وولده أحمد ومحمد) من أصحاب الشرطة المعروفين بصقلية^(٥).

النظام الحربي (الجيش والأسطول)

كان للجيش في صقلية أهمية كبيرة، نظراً لموقعها في قلب المعازل البيزنطية حيث أهتم الولاة بأمر الجيش وتنظيمه وظهرت قوة هذا الجيش في الحروب التي خاضها ضد الدولة البيزنطية، كما مر بنا ويتكون الجيش من العرب والبربر، وفي أثناء حكم الكلبيين

(١) إحسان عباس: العرب في صقلية، ص ٥٦.

(٢) Amari (Michele); op.cit, Vol. 3, p11.

(٣) مارتينو مورينو: المسلمون في صقلية، ص ٢٠؛ حامد زيان: الحضارة الإسلامية في صقلية، ص ٤٦-٤٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ١، ص ٨١؛ إحسان عباس: المرجع السابق ص ٥٧

(٥) إحسان عباس: معجم العلماء والشعراء الصقليين، ص ٢٣

ظهر جيل جديد من المسلمين الصقلين، فتكونت منهم الجيوش القوية التي خدمت في جيوش الدولة الفاطمية نفسها، وكان الخليفة المهدي قد وضع قانوناً خاصاً بصقلية دون غيرها من الدول الخاضعة للدولة الفاطمية يقضى بأن يكون هناك جيش فاطمي خاص بجوار الوالى ولحمائته من الأضطرابات الداخلية وقد حافظ الخلفاء الفاطميون على تلك السياسة، وكانت الجندية إجبارية لا يعفى منها إلا المعلمون أو من يقدم الفدية، وكان لكل إقليم وحدة من الجند خاصة به وملكتهم الحكومة بعض الأراضى فى تلك المناطق حتى يتسنى لهم الاستقرار فيها، وقد تحول بعضهم نتيجة ذلك إلى إقطاعيين^(١).

أما عن أسلحة الجيش فكان منها الأسلحة المستخدمة فى الدولة الإسلامية آنذاك، ومنها المستخدم فى الدولة البيزنطية، وانقسمت الأسلحة إلى الأسلحة الخفيفة كالسيوف والخناجر والسكاكين، والسهام، والعصى وأسلحة الحصار مثل المنجنيق والسهل، كذلك قام ولاة جزيرة صقلية ببناء القلاع والحصون والأسوار وانتشرت كذلك الأربطة لحماية الجزيرة من الأخطار الخارجية، ومن أشهر الحصون والقلاع فى جزيرة صقلية، حصن ميلاصى، وحصن لنتينى، وقلعة ترمة، وقلعة القوارب^(٢).

وقد أهتم المسلمون منذ فتح الجزيرة بإنشاء الأسطول وتعزيزه، حيث لم يستطيع البيزنطيون الاقتراب من غرب المتوسط، وانحصرت أساطيلهم فى الشمال الشرقى من هذا البحر فقط وقد أثر ذلك على أحوال الإمبراطورية البيزنطية الاقتصادية^(٣).

وازدهرت صناعة السفن فى صقلية حيث استغل الولاة مميزات جزيرة صقلية من حيث موقعها الجغرافى الفريد وكثرة الموانئ الطبيعية وكثرة وكثافة الغابات ووفرة الأخشاب الجيدة لصناعة السفن، وغنى الجزيرة بمناجم الحديد المستخدم فى هذه الصناعة، ووفرة نبات البردى المستخدم فى صناعة الحبال والتي تدخل فى صناعة السفن، بالإضافة إلى وجود صناعات مهرة من الصقليين أنفسهم، ومن العرب الفاتحين

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٢٤؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٢٥١؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية ص ٣١ - ٣٤.

(٢) الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٢٣-٥٢٤؛ المقرئى: الخط، ج ١، ص ٤٨٢. ٥٩٧؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٣؛ السيد محمد أبو العزم: الأثر السياسى والحضارى للمالكية، ص ٣٤٠-٣٤١.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٨٢-٢٨٣؛ السيد عبد العزيز سالم: البحرية الإسلامية، ص ٧٣..

كالتاميين شيوخ هذه الصناعة فى صقلية ونتيجة لهذا تكوين الأسطول الصقلى صاحب الدور العظيم فى البحر المتوسط ، فكان أهل رمطة وطبرمين يجمعون الأخشاب ويقطعونها ويجهزونها ثم يقومون بتوصيلها إلى أماكن صناعتها المنتشرة فى الجزيرة فى مازر، ومدينة بلرم التى نشأت بها دار للصناعة منذ حكم الأغالية وأستمرت فى حكم الفاطميين إلا أنهم بعد بناء الخالصة أضافوا لها دار صناعة خاصة بالوالى والخليفة الفاطمى^(١)

ولم تختلف وحدات الأسطول الحربى الصقلى عن وحدات الأسطول الفاطمى لأنها تعتبر جزءاً منها، وكان من هذه الوحدات "النشوانى" واستخدم أيضاً الخنزير Canicra كما استخدمت الزوارق والقوارب، وهى ضمن قطع الأسطول، وتستعمل -عادة لنقل الأشخاص^(٢).

كما استخدم الأسطول الحربى للصقليين أيضاً الأسلحة التى تستعمل فى نقب أسوار الموانى والمعادية، مثل الأبراج والسلاسل، والسلاسل، والحبال، ونتيجة للإهتمام ولاة الأغالبة والفاطميين بالأسطول ، أصبح لهم حضور ونفوذ قوى منطقة غرب البحر المتوسط^(٣).

(١) المقرئى: إتعاظ، ج٢، ص ١٧٣-١٧٤؛ عطية القوصى: مصر الفاطمية وعالم البحر المتوسط، ص ١٤٧؛ أحمد مختار العبادى، السيد عبد العزيز سالم: البحرية الإسلامية، ص ٧٣؛ أمبرتو ريتزيتانو: منتخبات من الروض المعطار، ص ١٤٧.

(٢) ابن ممتى: قوانين الدواوين، ص ٤٠٤؛ جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ص ٢٢٠؛ صابر محمد دياب: دراسات فى تاريخ الإسلام، ص ٦٥-٦٧.

(٣) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى، ج٣، ص ٢٧٧-٢٧٨؛ حسين مؤنس: تاريخ المسلمين، ص ٨٤-٨٥؛ السيد حسين جلال: الحضارة العربية، ص ٣٣٦؛ أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٧٠-١٧٣.

النظام الإقتصادي فى جزيرة صقلية :

- الزراعة والثروة الحيوانية.
- التعدين والحرف والصناعات فى صقلية.
- التجارة (داخلية- خارجية)

الزراعة:

تمتعت جزيرة صقلية بخصوبة تربتها وصلاحيتها للزراعة، وتعدد مصادر المياه فيها، وذكر الأخطري عن صقلية قائلاً: "وبها من الخصب والزروع والمواشي والرقيق ما يفضل عن سائر مدن الإسلام المتاخمة للبحر"^(١).

كما أشار المقدسي البشاري بما فى بلرم من المياه والفواكه والخيرات والأعشاب^(٢)،، ويزيد الأدريسى فى وصفها قائلاً "أنه ليس هناك تربة فى العالم تشبه أرضى صقلية"^(٣).

وتسقط الأمطار فيها فى فصلى الشتاء والخريف وانتشرت الأنهار التى تنبع من الجبال الشاهقة والتى تحيط قممها الثلوج بشكل دائم، ومن هذه الأنهار يأتى نهر السلّة وهو نهر كبير، طويل المجرى، ينبع من موقع يسمى التربيعة قرب بلرم وتكثر به الثروة السمكية، ونهر آخر اسمه نهر عباس وهو من الأنهار الغزيرة وتقام عليه الرحية لطحن الدقيق، وهو يمر بضواحي بلرم التى أصبحت عامرة بالبساتين والأجنة وطواحين الهواء، ويوجد نهر يعبر وسط بلرم هو نهر رمطة، وكما أن نهر القارب يمر محاذياً لحصن بلجة، وهو ينبع من جبال فى شمال قلعة قرليون، ويجرى هذا النهر إلى أن يصب فى البحر، ومن الأنهار أيضاً نهر موسى، وينبع من أربعة مواقع فى جبال القيس، ويسمى أحد روافده، وادى جرامى، وعند حجر سارلو يقع نهر النيقتشين وبينه وبين نهر موسى ميل واحد، ثم يستمر مجرى هذا النهر ما بين شنت ماركو وحصن غليانه^(٤)

ومن الأنهار الصغيرة دائمة الجريان، نهار القلعة فى إقليم دمنش، كما يوجد نهر آخر كبير يمر بالقرب من مسينا، ويجرى حتى يصب فى البحر، وتستخدم

(١) الأخطري: المسالك والممالك، ص ٧٠. ابن جبير: الرحلة، ص ٢٣٠

(٢) أحسن التقاسم، ص ٢٣١.

(٣) نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٩٠. ابن جبير: المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ص ١٢٢-١٢٣؛ المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٢٣٢؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٣٧.

سرعة جريانه هذه فى إقامة الأرحية، وفى مدينة قطنية يوجد نهر يسمى باسمها نهر قطنية^(١).

وبالإضافة إلى هذه الأنهار الكثيرة توجد أيضاً العيون الغزيرة بكافة أرجاء الجزيرة، والتي يعتمد عليها السكان فى الشرب والزراعة، كما شيدت العديد من الترع والمصارف لسحب مياه العيون إلى المناطق البعيدة، ومن المدن التي توجد بها عيون المياه الجارية مدينة بلرم حيث كان بها أشهر هذه العيون والتي تسمى بعين الشفاء، والتي تقع على أحد الأبواب الرئيسية للمدينة، وتحيط العيون ببلرم من الشرق والغرب، وتصب جميعها فى مسيل واحد، يصيب فى البحر وقد تشكلت حول هذا المسيل مناطق ذات سباخ كثيرة، كما وجدت العيون كذلك ببعض المدن الأخرى مثل قطنية Catania وقلعة الحمة، سرقوسة Siracousa وفى حصن ميلاص Milassa حيث توجد المزارع الكثيرة التي تعتمد على هذه العيون^(٢).

وبالإضافة لهذه الأنهار والعيون، استطاع الحكام بمساعدة شيوخ المدينة من حفر الآبار لاستثمار المياه الجوفية لأغراض الشرب والزراعة، وسائر أغراض الاستعمال، كما احتوى كل بيت بالجزيرة على بئر تقريباً، أضطر السكان أحياناً لحفر الآبار لسد احتياجاتهم من المياه، وهذه الآبار تفاوتت من حيث العذوبة والملوحة، فقد كانت غالبية آبار بلرم والخالصة مالحة، وإلى جانب هذه الآبار المالحة وجدت أيضاً الآبار العذبة فى مدينة مرسى على وقصريانة وطرابنش^(٣).

(١) الأدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩١-٥٩٣.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١١٩؛ الأدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩٠-٥٩٧، ٦٠٢؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٩٦.

(٣) ابن حوقل، ص ١٢٢؛ الأدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٦٠١-٦٠٢؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٨.

وهكذا كانت صقلية غنية بالعديد من موارد المياه سواء ما كان فيها من أنهاراً أو عيوناً أو آبار، بالإضافة إلى كثافة الأمطار التي تسقط في فصل الشتاء، لذلك كانت أغلب الأراضي الصقلية تزرع بمختلف أنواع المحاصيل^(١).

ملكية الأرض الزراعية :

كانت ملكية الأرض الزراعية تخضع للنظام الإقطاعي في ظل الحكم البيزنطي، ولم تستطع الكنيسة إصلاح أحوال الملكية وذلك لأن الرهبان أنفسهم كانوا يملكون نصف أراضي الجزيرة، ومع دخول الإسلام، كانت ملكية الأراضي في يد الولاى الأغلبى يقطعها من يشاء. في ظل حكم الأسرة الكلبية استقر هذا النظام الإقطاعي حيث امتلك الأمراء مساحات واسعة من الأراضي مما أدى السرعة ثرائهم وزيادة ثروتهم^(٢).

فوجدت نتيجة هذا التقسيم أقطاعات كبيرة في أيدي مجموعة قليلة من الناس بينما الأكثر لا يمتلكون إلا القليل، ولقد كان نتيجة هذا النظام أن وضعت الأراضي الخصبة تحت أيدي فئة من الناس، فالجهة الغربية من الجزيرة وبها أخصب الأراضي والتي كانت في أيدي كبار الملاك من أشرف العرب، وقليل من البربر أما وسط الجزيرة فقد سكنته الفئات الفقيرة وكانوا من الصقليين المحليين، لذلك بدأ نظام الإرث الإسلامي يطبق بشكل تلقائي بين المسلمين، وهذا النظام عمل تلقائياً على تفتيت الملكيات، كما قامت الحكومة نفسها بتقسيم الأراضي على السكان في شكل ملكيات صغيرة ومتوسطة في مقابل أن يدفع سكانها الأخشاب للحكومة والتي تصنع منها السفن^(٣).

(١) Baldwin. (Marshall W), The first hundred Years, vol.1, p.55 .

(٢) جلييلة محمد الهاشمى: صور من الحضارة العربية في عهد الكليبيين، ص ٤٥؛ الدورى: صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط، ص ص ٤١-٤٢

(٣) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٤٧؛ إحسان عباس: العرب في صقلية، ص ٧٠.

أما الجند فقد منحهم الولاة أراضي زراعية خصصت لهم وذلك لهدفين أولهما: أن تكون ريع الأراضي بمثابة رواتب لهم خاصة في فترات السلم لتخفيف الأعباء عن الحكومة، وثانيهما: هو المساعدة على توطينهم في البلاد بمنحهم الأراضي فيها، ولكن هذا النظام لم ينجح مع الجند لعدم قبولهم فكرة العمل في الزراعة، كما أنهم كانوا يرغبون في الجهاد، و الحصول على غنائم الحروب، كما ظهر نظام آخر لملكية الأراضي الزراعية، وهذا النظام كان نتيجة وجود أراضي زراعية هاجر عنها أصحابها وتركوها، والأراضي التي ليس لها أصحاب، وقد أعطى الداوودي قاعدة شرعية لأصحابها الجدد حتى لا يطردهم أحد منها^(١)

فقد أقام حقهم في الأرض على أساس قاعدة الفتح صلحا وقاعدة العمارة والأحياء، حيث ورد في الأثر أنه من أحياء أرضاً ميتة أصبحت ملكاً له، ومن الجدير بالذكر أن معظم أرض صقلية فتحت عنوة، وبعضها فتح صلحا، وهذه الأنواع من الملكيات المختلفة قد أوجدت تفاوتاً في مستويات المعيشة للسكان، أصبحت أكثر طبقات المجتمع من تلك الطبقة المتوسطة. وكان من أهم المحاصيل التي اشتهرت بها الجزيرة القطن الذي أدخله العرب معهم، وزرع في برطنيق Bratnik وبالقرب من قطنية Catania، وميلاص Milas، كما زرع أيضاً الكتان في الأماكن التي يغزر بها الماء العذب، أما نبات البردي، فقد كان يزرعه أهل صقلية قبل دخول المسلمين ثم أهملوا زراعته وبعد الفتح الإسلامي استعاد البردي الصقلي مكانته، واستمرت زراعته بغزارة طوال فترة الوجود الإسلامي بصقلية في سرقوسة^(٢)، كما أدخل المسلمون إلى صقلية كثيراً من أنواع الزراعة جاءوها بالليمون والبرتقال عام ٣٥٣هـ/٩٧٠م أثناء حكم الكلبين، وأدخل المسلمون كذلك زراعة القصب والأرز والنخيل والقطن والبردي حتى نشأت في صقلية أساليب زراعية تلائم بيئتها، وأكثر الناس من زراعة الخضروات وبعض أنواعها أدخله المسلمون إلى الجزيرة إضافة إلى انتشار أشجار الزيتون واللوز والتين والفسق والسماق والزعفران والتوت والخروب، وزرعوا كذلك التفاح

(١) الأموال، ص ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ص ١٢١-١٢٢؛ غوستاف لويون: حضارة العرب، ص ٣٠٩.

والشاه بلوط، والأجاصى ، والبندق والجوز والتين واللوز والقسطل والبطيخ ،وقد جلب العرب من شمال إفريقية نوعا من القمح شديد الصلابة، وفى أواخر حكم الكلبين كان يصدر منه إلى مصر. وهذا القمح يمكن تخزينه لأكثر من عام و اشتهرت به قصريناه^(١)

وزرعت كذلك النباتات الطبية والعطرية مثل (البنفسج والسوسن الأزرق وأنواع من الياسمين كما زرعوا أيضا الحناء ، نبات الشالبية، - و السمسق أو السماج^(٢)).

ساعد المناخ وكثرة الأمطار، وتجمع مياه الأنهار والعيون إلى ظهور الغابات الكثيفة ، كما أحضر العرب معهم شجر الدردار الذى يتميز بكبر شجره وعودة وتفرع أغصانه، وترجع أهمية هذه الغابات إلى أنه يتم استخدام أخشاب أشجارها فى صناعة السفن، والمراكب الصغيرة، وأبواب وأسقف المنازل، ويصدر الفائض إلى الخارج نظراً لكثرة أخشاب الأشجار ،كما استخدموا بعض الغابات على حالتها كمصدات للرياح لحماية مزارعهم من عواصف الطبيعة، إضافة إلى استعمال أخشابها فى الوقود^(٣).

الثروة الحيوانية:

كانت صقلية تحتوى على مساحات شاسعة من المراعى الطبيعية لوفرة الأمطار بها ، وتوجد فى بلرم وجنوب قلعة الصراط أشهر مراعى صقلية، و قاموا بزراعة البرسيم فى مساحات كبيرة كما أبدى الكلبيون جل عنايتهم بتربية الخيل والبغال والحمير لإستخدامهم الحيوى لها فى الحروب الكثيرة التى خاضوها، و كوسائل نقل رئيسية ، وأعتبر أهل صقلية اللحم غذاء أساساً، حيث وجد فى بلرم

(١)ابن حوقل: صورة الأرض، ص ؛ المقريزى:أنعاط، ج٢، ص ٣٨؛ الأشبيلي: المقنع فى الفلاحة، ص ص٤٥-٦٣.

(٢) الأدريسى: نزهى المشتاق، ج٢، ص ٥٩٠-٦٠٢؛ ابن البيطار: مفردات الأدوية، ج١، ج٣، ج٤، ص ١٤، ٧٧

(٣)الأدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٦٠٢؛ ٨٩؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٨.

وحدها مائتا حانوت لبيع اللحوم. هذا بالإضافة إلى المنتجات الحيوانية الأخرى من الألبان والأوبار والدهون وجلود الحيوانات المدبوغة التي كانت تستعمل فى المكاتبات وفى صناعة الأحذية والحقائب كما استخدموا أصواف الأغنام فى صناعة الملابس الصوفية حيث كان لها سوق خاص بها. (١)

وأدخل العرب الخيول العربية والبغال والحمير من مصر، وأدخل العرب الماعز، نوات الأذن المتدلة، وكذلك الإبل التي لم تتحمل طبيعة طقس الجزيرة فانقرضت (٢).

أما عن الطيور فقد انتشرت تربيتها فى الجزيرة بين كل الطبقات ومن أهم أنواع الطيور فى صقلية الدجاج، والأوز والبط والحمام، وطائر السمندل، وهو يشبه السمان، وانتشرت تربية النحل وكان العسل الصقلى مشهوراً بنكهته ومذاقه المتميز، ومن أهم مناطق توافره قلعة الخزارية (٣).

وأدخل العرب إلى صقلية دودة القز والتي كانت منتشرة فى بلاد مصر والشام والعراق، وتربت فى صقلية على شجرة التوت، ثم انتقلت من صقلية إلى إيطاليا، وكان للحريز الصقلى شهرة فى جميع الأقطار، وخاصة بيوت ملوك مصر وأمرائها، ونظراً لموقع الجزيرة الجغرافى وكثرة البحار التى تطل عليها والأنهار التى بها، مما أدى لوجود ثروة سمكية هائلة حيث انتشرت حرفة الصيد. وكانت أسوقه منتشرة فى أغلب المدن كابلرم، وبذلك صارت الأسماك سلعة اقتصادية هامة، فوضع لها الحكام الكلييون ورسوماً مفروضة عليها (٤).

(١) الأخطرى: مسالك الممالك، ص ٧٠؛ ص ١٢١-١٢٢؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١١٩-١٢٠؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٧٤؛ زكى محمد غيث: صقلية تحت الحكم الإسلامى، ص ١٣٧.

(٢) أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢١٥؛ المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٨-٢٣٩؛ مارتينو مورينو: المسلمون فى صقلية، ص ٣؛ إحسان عباس: المرجع السابق، ص ٧٤.

(٣) الإدريسى: نزهة المشتاق، ج ٢، ٥٩٤؛ الهراوى: كتاب الإشارات فى معرفة الزيارات، المكتبة الصقلية، ص ٧٥.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٩٠-٦٠١؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٦٩؛ مارتينو مورينو: المسلمون فى صقلية، ص ٣٤.

الحرف والصناعات واستخراج المعادن:

ظهرت العديد من الصناعات فى صقلية وذلك لتوافر الموارد الزراعية والحيوانية ، فوجدت (الصناعات الغذائية)، مثل صناعة السكر، وترجع صناعتها للقرن الرابع الهجرى ذلك بسبب انتشار زراعة، وصناعة العسل حيث كان يستخرج من العنب الحلو، وقامت صناعة مشتقات الألبان ، والتي أقاموا لها الأرحية على الأنهار الجارية، وكذلك صناعة تمليح الأسماك، حيث استخرجوا الملح من مدينة طرابنش، واستمرت عملية استخراجه حتى دخول النورمان صقلية (١) .

وانتشرت (صناعة المنسوجات) نظراً لتوافر ألياف النباتات كالقطن والكتان، ومن الألياف الحيوانية الصوف والحريير ، ووجدت فى صقلية العديد من دور الصناعات الخاصة بالنسيج والثياب الحريرية وغيرها، وقد عرف المسلمون أهل صقلية صناعة الحرير بعدما أدخلوا دودة القز إلى صقلية ، وكانت تكتب على حواشى ملابس الأمراء مدائح للحاكم أو الأمير. كما اهتم الصانع الصقلى بزخرفة وتطريز الأقمشة بالطراز الفاطمى الشهير كرسم الحيوانات المختلفة بأحجامها الكبيرة، وبشكل مكرر كما يرسم عليها أشكال هندسية أو بعض الأشكال النباتية ، واستخدم الذهب فى تطريز المنسوجات فى صقلية (٢) .

كما تنوعت الصناعات الخشبية لكثرة الغابات، فظهرت صناعة الأثاث ، وصناعة السفن وأبواب وأسقف المنازل، وصناعة الصناديق الخشبية، بنقوش وزخارف تعبر عن رقى وتطور الفن الإسلامى وتطور الصناعات الخشبية، كما استخدموا الأخشاب فى صناعة الآلات الخشبية المتعلقة بالعلوم مثل آلة الأسطراب، وبعض الآلات الموسيقية (٣).

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩٤ - ٦٠١.

(٢) حسنى محمد نصير : الآثار الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ١٩٨٩م، ص ٢٩١-٢٩٢؛ هايد: تاريخ

التجارة، ج٤، ص ٢٠٦؛ زكى محمد حسن: كنوز الفاطميين ، ص ٨١؛ سعاد ماهر الفنون الزخرفية ، مج ١، ص ٢٧٥ .

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩٤؛ محمد فهمى إمبابى : "مكانة علم الفلك فى الأندلسى فى عصر الدولة

الأموية مجلة المؤرخ العربى، اتحاد المؤرخين العرب، عدد ١، ص ٨٠-٨١؛ وداد القاضى: المرجع السابق،

ص ٨٠-٨١.

تنوعت الثروات المعدنية في جزيرة صقلية فتمكن العرب والمسلمين من استخراج الحديد الذي استخدم في العديد من الصناعات، والذهب، والفضة، والنحاس والكبريت والشب والملح المعدني والكحل والرصاص، والزنابق، ومعظم المعادن إلى كانت معروفة آنذاك، من طبقات الأرض، واستخرجوا الرخام بمختلف أنواعه (الرقيق والعداي) ومن الأحجار المشهورة في صقلية، الكلس، والجص، كما وجد في صقلية القار، ولقد تركز معظم الإنتاج المعدني في صقلية في منطقة جبل النار، أما النفط فقد كان أساس صناعة الشمع، وكان يستعمل في طلاء السفن كما أستخرج منه الزيت والقطران واستخدام مع إضافة الكبريت له كسلاح، وتم انشاء داراً للصناعة في مدينة الخالصة حيث كانت تصنع فيها السفن الحربية التي يدخل في صناعتها الحديد والخشب والنسيج كأشعة للسفن، ووجد بصقلية أكثر من دار للصناعة، تعتمد في الأساس على معدن الحديد^(١).

أما المعادن الثمينة مثل الذهب والفضة، حيث استخرج الذهب من جبل النار الذي يطلق عليه (جبل البركان أو جبل الذهب)، ولقد أستخدم كل من الذهب والفضة في صناعة الحلى، كما استخدموا المعدنين في سك النقود، حيث سكت العملة في صقلية، (فئة الربع دينار) ، كما ضربت بصقلية قطع أصغر تسمى الخروبية، وبدأ العمل بدار الضرب في سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، وانتهى في ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، وكما دخل الذهب في صناعة النسيج وأسرجة الخيول وأعمدة السيوف، وكان لكل هذه الصناعات مصانع يطلق عليها دار طراز الملك^(٢)، أما النحاس استخدم في صناعات القناديل المستخدمة في إضاءة الشوارع والقصور والمساجد، واستخدم العاج، في صناعة العلب العاجية والأبواق، وكانت تتم زخرفته بزخارف بارزة من صور حيوانات وطيور وغيرها، وكان يظهر عليها التأثير البيزنطي والفاطمي أيضا، وانتشرت صناعة الخزف وتلوينه وخصوصا في بلرم ومازر، ووجدت صناعة القيشاني والفسيفساء من

(١) القزويني: أثار البلاد، ص ٢١٥؛ اماري: المكتبة الصقلية، ص ٢١٠؛ أحمد توفيق المدني: المسلمون في جزيرة صقلية، ص ١٤. عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٤٦؛ أدم ميتز: الحضارة الإسلامية، ص ٢٧٣،
(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٩٦؛ ابن جبیر: الرحلة، ص ٢٣١؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٩؛ زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين، ص ٤٢؛ وجيده عزب: النقود الإسلامية، ص ١٣٤.

الرخام أو الجص وقد استخدم القيشاني الملون فى أرضية القصور ورسمت عليه العديد من الصور، والمشاهد وكان لصقلية فضل نشرها فى أوروبا ، وانتشرت صناعة الأوانى الفخارية فى صقلية على ضفاف أنهارها^(١).

كما قامت فى صقلية العديد من الحرف الأخرى مثل دبغ الجلود وصناعة الأحذية وكان لها سوق خاص فى بلرم ، كما ظهرت فى صقلية صناعة العطور، وكان لها سوق خاص فى بلرم، وهو سوق العطارين، ووجدت صناعة الورق المصنوع من الكتان والقنب ثم استبدلوه بالبردى والجلد المرقوع وكان يستخدمان للكتابة، وتعد صناعة الورق من المساهمات الحضارية التى انتقلت لأوروبا، فتنوعت الحرف والصناعات فى صقلية وازدهرت نتيجة لوفرة الموارد الطبيعية ووجود الأيدي العاملة الماهرة، حيث ذكر كورتيس أن Courtis المسلمين فى صقلية وصلوا فى الصناعة إلى مرحلة عالية من الدقة والارتقاء.^(٢)

التجارة:

ازدهرت التجارة فى جزيرة صقلية واتسع نطاقها وذلك لموقع الجزيرة الجغرافى المتميز، حيث كانت تطل إحدى جهاتها على البحر المتوسط، فأصبحت بذلك مركزاً تجارياً هاماً ومحطة عبور وصلة بين تجارة قارات العالم القديم (أوروبا وأفريقيا وآسيا). بالإضافة لتنوع المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية والصناعات المختلفة ، هذه العوامل ساعدت على ازدياد النشاط التجارى، وكذلك التشريعات والقوانين الإدارية التى سنت للمحافظة على التجارة وحقوق التجار، وتوفر أماكن لإقامة التجار مثل الدور والفنادق، وكذلك الإهتمام العظيم الذى بذله الولاة لتشجيع التجارة والنهوض بها، فقد عقد الفاطميون وولاتهم على صقلية العديد من المعاهدات التجارية مع الممالك المسيحية فى القسطنطينية وإيطاليا لضمان حرية التجارة بين البلاد^(٣).

(١) ابن جبير: الرحلة، ص ٢١٩؛ زكى محمد حسن: فنون الإسلام، ص ص ٥٩٢-٥٩٦؛ عثمان الكعاك: الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط، ص ٤٧-٤٨؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٩.
 (٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١١٩-١٢٢؛ أمين توفيق الطيبى: دراسات فى تاريخ صقلية، ص ١٢٥.
 (٣) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٢٩؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٦٨.

التجارة الداخلية

ازدهرت حركة التجارة، وعمت الأسواق كافة مدن وقرى جزيرة صقلية، فلم تضع الدولة قيوداً على التجارة الداخلية نجد سيطرة اليهود على تجارة الذهب والرقيق، كما عملوا في الصرافة والصياغة والدباغة، وراجت تجارة الذهب والفضة، وتجارة المواشى واللحوم ومنتجاتها والمنسوجات المختلفة، والفواكه والأغذية والسكر والحناء، والعسل، والبنفسج، والعطور، والبردى، هذا إلى جانب المنتجات الصناعية المصنوعة من المعادن كالحديد و النحاس والكبريت والرخام والجرانيت والمالح والنشادر والرصاص والكحل والشب والأدوية. وكل سلعة لها سوق خاص، و راجت في الأسواق سلع الأدوات المنزلية مثل القدور والصحاف والأواني والبطسوت، وكذلك والسكاكين والسيوف والبطبول، والمزامير، والقناديل، والزجاج والقوارير، وكانت بعض هذه المنتجات الصقلية الأصل تحمل علامات أو إشارات تدل على مكان إنتاجها، وتنوعت الأسواق في الجزيرة فمنها الأسواق المحلية، والتي تقوم بتوفير الحاجات اليومية، والأسواق الأسبوعية والتي تعقد مرة واحدة كل أسبوع، والأسواق الشهرية، وهي التي تعقد مرة كل شهر، والأسواق الموسمية وكانت تعقد مرة أو مرتين في السنة، ووجدت في مدن (ثارو وجرنت) ، وكانت الأسواق تعقد نهاراً، وفي بعض الأحيان تمتد للمساء، وخاصة في شهر رمضان المبارك حيث تضاء بالقناديل والشموع، وكانت مدينة بلرم أهم المراكز التجارية التي يؤمها الناس من سائر أنحاء الجزيرة، فقد اشتهرت بأن لكل سلعة تجارية (سوق خاص بها)، كسوق الزياتين، والدقاقين والصيافة والصيدانة والحدادين والعيائلة وأسواق القمح والطرارين والسماكين والأبزاريين، وياعة البقل وأصحاب الفاكهة والجزارين، حيث وجد بها ودون المائتي حانوت لبيع اللحم " واشتهرت مدن قصريناه مسينا ومازر بأسواقها الضخمة المنظمة بينما مدينة الخالصة وهي مقر وسكن الولاية وأتباعهم، فلم يقيم بها أسواق لأهميتها العسكرية وفي أواخر حكم الكليبيين، أصبحت مدينة مفتوحة لعامة المسلمين، وأقيمت بها الأسواق^(١).

إلى جانب ذلك اهتم الحكام بفرض الرقابة على الأسواق فكانت وظيفة المحتسب ومن وظائفها الأخرى الرقابة والإشراف على الأسواق وحماية الناس من الغش والاستغلال

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١١٩؛ الأدريسى: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٩٥-٦٠٣؛ المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٢؛ حامد زيان غانم: الحضارة الإسلامية في صقلية، ص ٥٣؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب

ومراقبة الموازين والمكاييل والتأكد من سلامتها والتأكد من الأسعار والإشراف على أعمال الخبازين والصاغة وغيرها من الأعمال^(١).

التجارة الخارجية :

كان لموقع صقلية الجغرافى كجزيرة فى البحر المتوسط واعتمادها عليه فى تجارتها الخارجية فكانت تربطها طرق بحرية هامة بمعظم الدول الإسلامية وغير الإسلامية، فساعدتها ذلك فى انتشار منتجاتها ،ومن هذه الطرق البحرية الهامة: الطريق الذى يربط بين مدينة مازر الصقلية ومدينة سوسة الأفريقية ، ويبلغ طوله مسيرة ثلاثة أيام بالسفينة. والطريق الثانى فيتمثل فى عبور السفن المحملة بالبضائع بالمجاز الذى يفصل صقلية عن جنوب إيطاليا، والجدير بالذكر أن إيطاليا أخذت حق التنقيب فى مناجم صقلية من الدولة الفاطمية، كما كان تجار هذه المدن يحصلون على زيت الزيتون والسلع الشرقية وبعض المصنوعات من بلرم.^(٢)

الطريق الثالث فهو يربط صقلية بالشام، ويبدأ من صقلية مروراً بجزيرة كريت ثم جزيرة قبرص ثم بلاد الشام، ويستغرق هذا الطريق بالسفن خمسة وثلاثين يوماً، ولهذا الطريق مواسم معينة للسفر من خلاله. فقد كان يفضل السفر من الشام إلى صقلية فى فصل الربيع وخلال شهرين فى فصل الخريف، وهذا الطريق تمر به السفن وكذلك الحجاج، وكان الطريق الرابع يبدأ برياً ثم ينتهى بحرياً، حيث أنه يبدأ من الإسكندرية، وكانت من أهم المراكز التجارية فى العصر الفاطمى وقد كان هذا الطريق محاذياً للشاطئ حتى المغرب ثم يتجه إلى صقلية، كما أنه هناك طريق مباشر بين مصر وصقلية وهو حوالى عشرين يوماً بالسفينة وأحياناً ثلاثين يوماً، ويتحدد ذلك تبعاً لشدة الرياح. هذا فضلاً وجود موانئ على الجزيرة تعد من أهم المراكز التجارية لها، حيث تمر بها السفن التى تأتى من إيطاليا وأوربا، وكانت أيضاً محطات لعبور السفن من الشام إلى الأندلس.^(٣)

واشتهرت موانئ بلرم Balrmo التى تعتبر من أهم موانئ صقلية والتى اشتهرت كمركز

تجارى هام، فجميع السفن المتجهة إلى إيطاليا والأندلس و الشام كانت تمر بها ، أما مدينة

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، ص ٧.

(٢) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية فى صقلية، ص ١٩؛ حامد زيان غانم: الحضارة الإسلامية، ص ٤٠؛ مارتينو مورينو: المسلمون فى صقلية، ص ٤١؛ صابر محمد دياب دراسات، ص ٩١-١٠٠.

(٣) الإدريسى: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٦٠١-٦٠٢؛ ابن جبير: الرحلة، ص ٢٢٤؛ أحمد مختار العبادى، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٥٤؛ راشد البراوى: حالة مصر الاقتصادية، ص ٢٩٤.

مسينا Masina أصبحت ذات شهرة تجارية واسعة نظراً لإشرافها على المجاز الذى يفصلها عن إيطاليا، وأصبحت مدينة مازر Mazar من أهم المن التي اعتمدت عليها التجارة الخارجية وذلك لقرب موقعها من الشواطئ الإفريقية، وأن السفن القادمة من الأندلس، والمتجهة إلى الديار المقدسة وطرابلس والإسكندرية كانت تمر بها.^(١)

وكانت موانئ صقلية مجهزة للتجارة والسفن، ووجدت بها كافة التسهيلات للتجار، والذين كانوا يحملون معهم الهدايا والتحف من الأماكن المقدسة (مكة-المدينة-بيت المقدس) والتي كانوا يبيعونها ويشترونها بثمنها المنسوجات وبعض سلع صقلية المعروفة برخص ثمنها، كما كانت صقلية بالنسبة للفاطميين فى مصر بمثابة نقطة اتصال بينهما وبين أوروبا، حيث تغادر السفن من مصر متجهة إلى سواحل غرب إيطاليا وجنوب فرنسا وأيبيريا مروراً بها وكانت الإسكندرية بمنارتها الشهيرة تشاهد من على بعد عشرين ميلاً فى البحر، وهى مركز العلاقات التجارية بين مصر وصقلية. وشملت قائمة الصادرات الصقلية المحاصيل والحبوب الغذائية، والأخشاب الصقلية الجيدة والكتان والقطن والسكر والصنوبر والقسطل والبندق^(٢)

ومن أهم هذه المراكز من أفريقية إلى صقلية هى صفاقس والمهدية وسوسة وإقبليّة، ومن صقلية إلى إفريقية كانت مرسى على والشاقة و طرابنش وقلعة شكله، أما المدن الإيطالية والدولة البيزنطية عموماً فقد كانت تربطها بصقلية علاقات تجارية رغم الحروب الطويلة بينهما، وامتدت هذه العلاقات فى فترات الهدنة بين الكلبيين والبيزنطيين، والمدن الإيطالية خاصة فى الفترة من ٣٥٤-٤١٦ هـ/٩٦٥-١٠٢٥ م، ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن التجار اليهود كان لهم دوراً فى ازدهار التجارة الخارجية فى العصر الفاطمى، حيث ظهرت تجارة البضائع الخفيفة الحمل، المرتفعة الثمن، والتي تدر أرباحاً طائلة. وكان هؤلاء التجار ينقلون هذه التجارة من بلاد الشرق إلى أوروبا، وكانت بلرم مركزاً هاماً من مراكز نشاطهم، ولكن تحسن العلاقة بين المدن الإيطالية والفاطميين ومن تابعهم أدى إلى انزواء دور هؤلاء التجار اليهود، ومع التوسع فى التجارة وازدياد حركتها بين الأقطار

(١) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٩؛ ف. هايد: تاريخ التجارة، ج ١، ص ٧٥؛ راشد البراوى: حالة مصر، ص ٢١٥.

(٢) المسعودى: مروج الذهب، ج ١، ص ٣٥٩؛ المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٢؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٩٩؛ أرشيبالد ر لويس: القوى البحرية، ص ٣١٠..

ظهرت "البراءة" وهي تعنى أن صاحبها سدد الضرائب المقررة عليه، حيث كان لا يستطيع أى مسلم أو غير مسلم التنقل بدونها حتى ولو كان داخل حدود بلاده، والبراءة هي ضمان التحرك والسفر بالبضائع داخل وخارج أقطار البحر المتوسط وقتذاك. (١)

(١) اليعقوبى: البلدان ، ص ١٠؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٩٥؛ أرشيبالد ر. لويس: القوى البحرية، ص ٧٥. هايد: تاريخ التجارة، ج٣، ص ٦٥؛ صابر محمد: نفسه، ص ٥٢، ٧٦.

الحياة الإجتماعية:

- عناصر وطبقات المجتمع فى صقلية.
- بعض مظاهر الحياة الاجتماعية
◦ (المواسم والأعياد- الملابس والزينة الطعام والشراب
وسائل التسلية والمنتزهات- المسكن – الحمامات)

عناصر وطبقات المجتمع في صقلية.

اجتذبت صقلية بموقعها الجغرافي الفريد، وخيرتها العديدة كثيراً من العناصر من جهات مختلفة لتصبح موطناً جديداً لهم، وهذا النزوح أثرى من مظاهر الحضارة، حتى صارت الجزيرة مجالاً خصباً لتلاقى الثقافات وأوجه الحضارات المختلفة، فضمت جزيرة صقلية قبل الفتح الإسلامي لها، جماعات متباينة من السكان مثل (الرومان واليونانيون والقوط الشرقيون، كما كانت صقلية منفي للمجرمين المذنبين والمتمردين من رعايا الدولة البيزنطية، كما هاجر إليها اليهود والعبيد، وكذلك مجموعات من القرطاجيين) ونظراً لوجود هذا المختلط من العناصر مع عدم وجود رابط بينهم ، مما أفقد صقلية هويتها الخاصة بها (١).

واللغة اللاتينية هي اللغة السائدة بين أهل صقلية ، بينما كانت اليونانية هي اللغة الرسمية للجزيرة ، كما ارتبطت كنيسة صقلية ببطريكية القسطنطينية، فرغب المسلمون في فتحها لرغبتهم في تطويق القسطنطينية .

وعندما دخل المسلمون الفاتحون صقلية كانوا يشكلون عناصر عدة وأصول عرقية مختلفة، إلا أنهم جميعاً كان يربطهم رباط واحد مقدس ألا وهو الدين الإسلامي ويمكن القول بأن عناصر السكان في أعقاب الفتح الإسلامي للجزيرة وحتى حكم الكلبيين كانت علي النحو التالي:

أولاً : العرب:

يعود الوجود العربي في صقلية إلي القبائل العربية التي تشكل منها جيش أسد بن الفرات في عام ٢١٢هـ / ٨٢٧م وإلي الإمدادات العسكرية المتوالية التي لحقت به ، اضافة إلى الهجرات المتتالية من مصر والشام والأندلس، ومن أفريقية نتيجة للظروف الاقتصادية والسياسية ، وقد تركز العرب في بلرم وماز، وكانت أعدادهم متوسطة في نوطن ، كما وجدوا بقلة في دمنش وطرابنش وجرجنت، ويرجع توطن

(١) إحسان عباس : العرب في صقلية ، ص ٢٩؛ حامد زيان: الحضارة الإسلامية في صقلية ، ص ٩٨

CF: Amari (Michele) op. cit, vol 1 ,p320.

العرب في هذه المناطق إلى خصوبة ترتبها، واهتمامهم بالزراعة، وساعد علي ذلك قربها بحرياً من السواحل الإفريقية، وتجلي الدور العربي بوضوح في صقلية الإسلامية حيث كان منهم الحكام، والقادة، والعلماء، والفقهاء، والأدباء^(١).

٢- البربر:

كانت هجرة البربر الأولى إلى صقلية مع الرومان الذين طردهم المسلمون بعد فتح إفريقية عام ٦٩هـ / ٦٨٨م، ومع دخول من تبقى منهم بإفريقية الإسلام وانضموا تحت لوائه، كما انضموا أيضاً إلى الجيش الإسلامي صقلية كما ظهر دور قبيلة كتامة البربرية مع الفاطميين في المغرب وإليها يتسني وإلي صقلية السابق الحسن بن حنشير من قبل الفاطميين (٢٩٧-٢٩٩هـ / ٩٠٩-٩١١م) ، ومن القبائل البربرية في صقلية كانت، زناته ، ولواته ومزينة، ومليلة ، وقد استقر المغاربة البربر مع العرب في بعض الأماكن إلا أن هذا لم يمنع تمركزهم في أماكن تحمل أسماء مغربية خاصة بهم، والتي كان من أهمها في بلرم، وحول الياج ، وكثر عددهم في كل من جرحنت وفي جنوب مازر حتي مدينة اليكاتا licata، وكان تجمعهم في المناطق الرعوية مثل جلفوذي، وقرليون، والمناطق التي اختارها البربر تناسب طبيعتهم التي اعتادوا عليها في إفريقية، وبرز البربر في المجتمع الصقلي كجنود محاربين وكفلاحين مجتهدين وكصناع مهرة خاصة في صناعة السفن^(٢)، أما في المجال العلمي يعتقد بعض الباحثين بأن إنتاجهم العلمي تميز بالندرة ، ولكنني لا أتفق معهم والسبب في ذلك قلة وندرة الدراسات التي تتناول الجوانب العلمية في تاريخ صقلية .

١- الفرس والعناصر الإسلامية الأخرى:

ينتمي أسد بن الفرث فاتح صقلية إلى أصل فارسي، حيث كانت هناك أعداد كبيرة منهم في جيش الفتح، ومن أشهر عناصر الفرس الذين استوطنوا صقلية ،

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٣٦٨؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ١٣٠-١٣١؛ إحسان

عباس: العرب في صقلية ص ٥٩؛ عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية في صقلية ، ص ص ٤٧-٤٨.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص ٢١٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٢٠٧؛ أحمد توفيق المدني: المسلمون في

جزيرة صقلية ، ص ٣٥ ؛ أمبرتو ريزيتانو: الأدب العربي في صقلية ، ص ٩٤ ؛ إحسان عباس: العرب في صقلية

ص ٦٤.

بنو الطبري، وهم من أعيان بلرم، وترجع أصولهم إلي طبرستان ، وتشير المصادر إلي توطن هؤلاء الفرس في كل من بلرم ومازر. برز الفرس في مجالات عديدة، وكانت لهم أسهامات واضحة في صقلية ، حيث عرف منهم الفقهاء والعلماء ، وكانت لغتهم العربية^(١) ، كما نرح إلي صقلية الكثيرون، فوجدت في صقلية أجناس ترجع إلي أصول هندية وغيرها ، كما كان بعض السكان ينتمون إلي مواطنهم الأصلية مثل المصري أو الشامي أو الاندلسي، أو الحجازي أو الأفريقي^(٢).

٢- الرقيق:

ذكر الأضطخري "أن صقلية كثيرة الرقيق، وكان الرقيق في صقلية يتكونون من ثلاث فئات : من يؤسرون في الحرب أو أثناء الغارات، ومن يبيعهم النصارى أو المسلمون رقيقاً، وبعض العمال الزراعيون ، وعمل الرقيق في صقلية لصالح مالكيهم، كما أتقن بعضهم اللغة العربية وتعمق في النحو والبلاغة ، ومنهم من أصبح فقيهاً وأحياناً معلماً ، كما أنضم بعضهم إلي الجنديّة ، أما العبيد السود يتم إحضارهم من أفريقية، الرقيق الأبيض فهم من الصقليين، الذين يجلبون وهم صفار السن من بلاد السلاف عن طريق التجار اليهود ، وكانت لهم سوق خاصة بهم، يباعون فيها، ولهم حارة في صقلية تعرف بحارة الصقالبة، وكان للرقيق ديوان خاص بتنظيم شئونهم؛ أما الموالى فقد نال بعضهم مركزاً رفيعاً سواء في صقلية أو خارجها ، فمنهم جوهر الصقلي القائد ، ويعيش مولى الحسن الكلبى والذي ولاه المعز لدين الله حكم صقلية عام ٣٥٩هـ / ٩٧٠م.^(٣)

المسيحيين :

كان دين أهل صقلية قبل دخول الإسلام المسيحية^(٤)، علي المذهب الملكاني، ومع دخول الإسلام تحول الكثير منهم إلي الدين الإسلامي ، وقد أحسن الولاة معاملة أهل الذمة كما أوصى الرسول ﷺ ، ولقد ذكر " أن عدد هؤلاء المسيحيين

(١) ابن الأبار : الحله السيرة ، ج٢، ص٣٨٠ ؛ المالكي : رياض النفوس، ج١، ص١٧٣؛ إحسان عباس : العرب في صقلية، ص ٦٥.

(٢) ابن بشكوال : الصلة، ص٢٠٢؛ ابن يسام : الذخيرة، ج١، ص٢٢٤؛ إحسان عباس : العرب في صقلية، ص ٦٥.

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، قسم ٣، ص ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) الأضطخري : المسالك والممالك، ص ٧.

عند الفتح العربي- كان مليوناً ، بينما بلغ عدد المسلمين ستمائة ألف ، وتمركزوا في الساحل الشرقي للجزيرة ، وخاصة في سرقوسة ، كما سكن بعضهم بلرم، ونوطس، ومازر، ومسينا، ولامنس وفي حوالي عام ٣٣٨هـ / ٩٥٠م، أعتق الكثير من مسينا ومازر ونوطس الإسلام، بينما ظل معظم سكان إقليم دمنش على مسيحياتهم حتى دخل النورمان إلي الجزيرة ، وكان هناك العديد من المناطق التي استعصت على المسلمين فعقدت مع المسلمين هدنة مع دفع الجزية ، وأحيانا ما كان يتعاون هؤلاء مع البيزنطيين ضد المسلمين مما دفع بالأمير أحمد الكلبى لفتح هذه المناطق ومنها طبرمين عام ٣٥١هـ / ٩٦٢م ورمطة عام ٣٥٣هـ / ٩٦٤م^(١).

أما المسيحيين المقيمين في المناطق الواقعة تحت السيادة الإسلامية فقد تمتعوا بحريتهم الدينية ، وكانت لهم قوانينهم الدينية والمدنية فيما بينهم، فكان القضاة الخاصين بهم يطلق عليهم أسم (الحكماء) ، فكان يقومون بفض المنازعات والقضاء في الأحكام الخاصة بالنصارى، وكذلك جمع أموال الجزية، ولكن حين يكون المسلمون طرفاً في هذه النزاعات، فقد كانت تخضع للحكم بالشرع الإسلامي ، واحتفظ المسيحيون نتيجة تسامح الولاة بعباداتهم وتقاليدهم، وسمح للمسيحيين بمزاولة جميع الأعمال التي يزاولها المسلمون فعملوا في الزراعة والصناعة والتجارة، ، وأتيح لهم الإبقاء علي كنائسهم مع عدم بناء كنائس جديدة لهم^(٢).

٢- اليهود:

عاش اليهود حياة بائسة منبوذة في صقلية قبل الفتح الإسلامي لها ، وفرضت عليهم بيزنطة ضرائب باهظة مما أضطر بعضهم إلي الهروب من صقلية، ومع الفتح الإسلامي عاش اليهود بحرية كبيرة ومارسوا شعائرهم الدينية دون تقييد ، وقاموا بأعمالهم بإرادة حرة، ودون فرض ظرائب باهظة عليها، فبرزوا كتجار، وخاصة في مجالي تجارة الذهب، والرقيق ، وفرضت عليهم الجزية، وعملوا أيضاً في

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص ٢٨٤؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٣٠؛ مارتينو مورينو: المسلمون في صقلية، ص ٢٨.

(٢) أحمد توفيق المدني: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٢٠٩؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٣٠ - ٤٤؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٩.

مهن الصاغة والدباغة وقزازين، وسكنوا في المدن التجارية، وخاصة بلرم، وكانت لهم حارة تعرف باسم "حارة اليهود" (١).

طبقات المجتمع :

أصبح المجتمع الصقلي ينقسم إلي عدة طبقات، ساهم اختلاف العناصر السكانية والثراء في تقسيمها علي النحو التالي :

الطبقة الأولى: وهي رأس السلم الاجتماعي وتضم الوالي، وأهل بيته، وحاشيته ومعهم كبار الموظفين من حكام الأقاليم ونوابهم، وقادة الجند، والقضاة ، وهؤلاء جميعاً يعيشون غالباً في سعة ورغد من العيش ، ولهم الثروة والجاه والسلطان، واليد الطولى، والكلمة النافذة بعد الأمير ، ومن الممكن أن نضيف إليهم الجند والحرس ، وأغلبهم من العرب.

الطبقة الثانية: وتتقسم في داخلها إلي طبقتين عليا، ودنيا، أما العليا فتتقرب من الطبقة الأولى الأرستقراطية ، وتضم رجال الأدب العلماء، والفنانين ، وكبار التجار، وأرباب الحرف والصناعات أما الدنيا منها فتضم أغلبية الشعب من الزراع والرعاة أو أغلب سكان الجزيرة الأصليين والذين صاروا بعدها موالى مسلمين، وأهل الذمة من المسيحيين واليهود .

الطبقة الثالثة: وتأتي في أسفل السلم الطبقي ،فكانت من الرقيق الذين كانوا أصحاب الأرض الزراعية يستخدمونهم في فلاحه الأرض ، والخدمات الخاصة ، وهذه الطبقة وأن لم يكن لها من الحقوق ما يجعلها في مستوى الطبقات السابقة، إلا أن الرقيق تحت حكم الكليبيين كانوا أحسن حالاً بكثير من غيرهم (٢).

بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في صقلية الإسلامية :-

المواسم والأعياد وغيرها :-

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٢٢؛ إحسان عباس: العرب في صقلية، ص ٦٥؛ آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن ٤ هـ ، ص ٦٨.

(٢) زكي محمد غيث : صقلية تحت حكم المسلمين، ص ٤٢-٤٣؛ إحسان عباس: العرب في صقلية، ص ٦٣-٦٤؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٩.

تعددت المواسم والأعياد التي احتفل بها أهل صقلية، فيحىء الاحتفال بقدم شهر رمضان المعظم علي رأس هذه الاحتفالات، وقد كانت رؤية الهلال تسجل بواسطة حاكم المدينة وبشهادة شهود العدول، ثم يتم تبليغ الرؤية لباقي المدن المجاورة، فيعلن الصيام في جميع أنحاء الجزيرة، وكان الاحتفال يبدأ بإضاءة الشوارع ليلاً بالقناديل، ويجتمع الناس لأداء الشعائر الدينية في المساجد والتي كثر عددها في تلك الفترة، كما أنه من مظاهر الاحتفال، أن تضاء الأسواق ليلاً بالقناديل، وذلك احتفالاً بالشهر المعظم^(١).

عيد الفطر المبارك، وفيه يخرج الناس رجالاً ونساءً وأطفالاً، وقد تزينوا، وتعطروا للعيد وارتدوا أحسن الملابس، ويجتمعون لصلاة العيد خارج المدن، و ترافقه حاشيته، حيث تدق الطبول والأبواق بهذه المناسبة، وتقام الخطبة في المساجد، ويتم الدعاء فيها للخليفة الفاطمي^(٢).

عيد الأضحى كانت الاحتفالات في صقلية بعيد الأضحى لا تختلف عن عيد الفطر ويزيدون عنها بذبح الأضحية، حيث ذكر المقدسي: "أن الاحتفال بالعيدين في صقلية كان أبهى منه في أي مكان آخر في العالم الإسلامي"، ومن الاحتفالات الدينية الهامة، عندما كانت صقلية تتبع الخلافة الفاطمية الاحتفال برأس السنة الهجرية، والإحتفال بمولد النبوى الشريف، وبجانب الأعياد الدينية كان هناك المناسبات الوطنية، فكانت احتفالات النصر علي الأعداء في المعارك، وفيها يخرج الوالي ليتلقى التهاني من عامة الشعب، وكان يصاحب هذه الاحتفالات ضاربوا الطبول وعازفو المزامير، ويخرج الجيش فيما يشبه الاستعراض العسكري^(٣).

(١) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) ابن جبير : الرحلة، ص ص ٢٣٠-٢٣٣؛ ابن الأثير : الكامل، ج ٨، ص ٢٧٤؛.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم، ص ٢٣٩. ابن الأثير : الكامل، ج ٨، ص ٤٧١؛ القاضي النعمان: المجالس والمسائرات، ص ٣٩٧؛ عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ج ١٤٧

وارتبطت بعض الاحتفالات والأعياد في صقلية بالدولة الفاطمية حيث كان الفاطميون يحتفلون في مصر بعيد وفاء النيل أو فتح الخليج، فيقوم الخليفة بإبلاغ عمال الولايات والأقاليم الخاضعة لهم بهذه المناسبة ويطلب منهم إرسال الأموال مشاركة منهم في هذه الاحتفالات مقابل ذلك، كانوا يحصلون من الخليفة علي الهبات والخلع.^(١)

ومن الاحتفالات العامة الاحتفالات بالزواج، فكانت الزوجة تختار عن طريق النساء أو الخاطبات، ومن تقاليد الزواج واحتفالاته في صقلية هو تصاهر الأعيان، وأصحاب المناصب الكبرى بعضهم ببعض حفاظاً علي طبقتهم الاجتماعية التي ينتمون، وكانت حفلات الزواج تقدم فيها الولائم حسب المستوى الاجتماعي، ويرتدي كل من العريس والعروس أزهي حللهم، ولم تكن الحفلات قاصرة علي الولائم فحسب بل يشارك فيها الطرب والدفوف والطبول وأحياناً كانت الحفلات تستمر إلي آخر الليل.^(٢)

كما كان الختان من الاحتفالات التي يحتفل بها جميع الطبقات، حيث يقام أحياناً حفل ختان جماعي، كما حدث في عام ٣٥١م/٩٦٢م وفيه كتب الخليفة المعز لدين الله إلي عماله بالغرب من برقة إلي سيجامسة، وصقلية بأن يسجلوا جميع الأطفال الذين في أعمالهم علي اختلاف طبقاتهم، ليختنوا مع أولاده، وأحصي الأمير أحمد الكلبي الأطفال تنفيذاً لرغبة الخليفة، فكانوا خمسة عشر الفاً، وبدأ الأمير أحمد الكلبي بختان أولاده وأولاد أخواته وهذا في مستهل المولد النبوي الشريف، ثم ختن أولاد الخاصة والعامة، ووزعت الهبات علي سائر المختنين هدية من الخليفة، والذي أرسل لصقلية مائة ألف درهم وخمسين حملاً من الهدايا، توزع علي الأطفال بهذه المناسبة وكان لأهل الذمة في صقلية نصيب من الاحتفالات، فسمح لهم الحكام، بالاحتفال بأعيادهم الدينية، وكان يتصدر هذه الاحتفالات الرهبان والقساوسة، مرتدين ثيابهم الدينية التقليدية، فكانوا يخرجون حاملين علماً

(١) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) ابن جبير: الرحلة، ص ٢٣٧.

أخطر في وسطه برج، وهو علم المسلمين وأخر لونه أحمر في وسطه صليب ذهبي وهو علم المسيحيين. (١)

الملابس والزينة :

كانت تصنع ملابس الحكام والأمراء الكليبيين في دار الطرز الخاصة بهم، وكانوا يرتدون عباءة حريرية موشاة بالذهب، أما عامة الناس كانت ملابسهم مصنوعة من الكتان وكانت منقوشة، وكان أهل صقلية يلبسون الميازير والعباءة التي يضعونها علي ظهورهم مثنية، وعلي رؤوسهم يضعون العمامة والقلائس الملونة، وكانوا ينتعلون بالأحذية المصنوعة من الجلد، التي لها سوق خاص بها^(٢).

أما النساء فكن يلبسن الثياب الحريرية أو الكتانية، ويرتدين العباءة ويتقبن بالنقب الملونة، ويلبسن الشالات، كما كانت المرأة تضع إزاراً علي ظهرها كالعباءة، وكانت ثياب النساء ملونة، ومطرزة أحياناً بالحلي والجواهر، وكانت ثيابهن طويلة تجر أذيالها، وكانت المسيحيات يرتدين ملابس كملابس المسلمات ويذهبن بها إلي الكنيسة، واستمر ذلك حتي دخول النورمان الجزيرة، كما كان النساء يلبسن النعال المذهبة، وعلي العكس من هذه الملابس المحتشمة كانت ملابس الجوارى والراقصات. (٣)

أما من حيث الزينة لم تكن قاصرة علي المرأة فقط فكان للرجال نصيب منها حيث العطور مصنوعة في صقلية، فكان التطيب بها خاصة يوم الجمعة والأعياد، وكانت نساء المسلمات لا تختلف زينتهن عن باقي نساء العالم الإسلامي آنذاك، فكن يتزين بالحلي المصنوعة من الأحجار الكريمة والذهب والفضة، مثل العقود والأسوار والأقراط والخلاخيل وغيرها، وكانت المرأة تتخضب بالحناء، وتتعطر بالمسك، وأجود أنواع العطور تلك المصنوعة في صقلية، إضافة إلي الكحل^(٤).

(١) ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص ٢٧٣؛ أحمد توفيق المدني: وجنوب إيطاليا، ص ١٥٢.

(٢) المقدس: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٩؛ محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ج ١، ص ٢٧٩؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٩.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١١٩؛ إحسان عباس: العرب في صقلية، ص ٢٠٢؛ محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ج ١، ص ٢٧٩.

(٤) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية في صقلية، ص ١٢٢-١٢٣.

وتتميز أهل صقلية بالإهتمام بالنظافة ، ولكننا نجد ابن حوقل يتحامل عليهم بقوله: "وليس يشبهه وسخهم في دورهم وسخ إقرار اليهود، ولا ظلمة منازلهم، وسوادهم سواد الأتاتين والأفران وأجلهم منزلة يسرح الدجاج علي مقعده، وتذرق الطيور علي مصلاه ومخذته".^(١)

الطعام والشراب:

يتم دائماً الحكم علي مدينة أي شعب وتحضره بما يقدم علي موائده من أنواع الطعام وكيفية إعداده وتجهيزه. ،وقد اشتهرت صقلية بمطاعمها الكثيرة كما كان يوجد بها أمهر الطباخين خاصة في بيوت الحكام والأغنياء وامتدت هذه الظاهرة إلي فترة حكم النورمان للجزيرة ،وتنوعت أنواع الأطعمة علي المائدة الصقلية، ولكننا نجد أن ابن حوقل وصف أهل صقلية بأنهم : (كانوا يكثرون من أكل البصل النيء مع وجباتهم الرئيسية، وقد عاب عليهم ذلك بأن البصل " أفسد أحوالهم وغير عقولهم، ونقص إفهامهم وبلد معارفهم".^(٢)

كما أختلف شكل المائدة نفسه ويرجع ذلك لعاملين الأول هو تنوع الفواكه والخضراوات والحبوب في صقلية ، والثاني : الاختلاف في مستوى المعيشة.

وكانت اللحوم من أهم الأطعمة في صقلية نظراً لكثرة الثروة الحيوانية والمراعي بها واشتهرت بلرم ببيع وكثرة اللحوم، وكان بها وحدها مائتا حانوت لبيع اللحوم، أما لحوم الدجاج والطيور عامة، فكانت بيوت أهل صقلية علي كل مستوياتهم عامرة بأنواع الطيور، وأشتهر أهل صقلية بحبهم للحوم الطير وكانوا يصنعون منه المطبوخ والمحشى بأشكال متعددة.^(٣)

ومن أشهر الأطعمة في صقلية الكسكسي المغربي ، والذي لا يزال معروفاً في المغرب العربي وفي صقلية ،ومن المأكولات الهامة أيضاً والتي كانت منتشرة في منازلهم وعلي موائدهم (الأطرية (vermicel)) أو الشعرية ،وهي نوع من المكرونة والتي لا يزال أسمها (eletria) عند الصقليين الآن ومن عندهم انتقلت إلى أسبانيا بأسم (etria) وكانت من أهم صادرات صقلية للخارج والأطرية ، كذلك توفرت منتجات الألبان ، وتوافرت أنواع عديدة من الأسماك، فمنها البحري ومنها النهري، وكان للأسماك أسواق خاصة بها في صقلية، وأستعمل، أهلها الزيوت بأنواعها ، وأهمها زيت الزيتون، كما استعملوا السمن في طعامهم .

(١) ابن حوقل : صورة الأرض،ص ١٣١.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض،ص ١١٩ - ١٢٣؛ ابن جبير: الرحلة ،ص ٢٢٥،محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية،ج ١،ص ٢٨٧؛جوستاف لوبون: حضارة العرب،ص ٣٠٩.

(٣) .مارتيو مورينو : المسلمون في صقلية ،ص ٣٥.

ومن الأطعمة التي اهتم بها المجتمع الصقلي كانت الحلوى ، وعرفوا نوع من الحلوى يسمونه الإسفنجة sfinge وهي تصنع من الدقيق أو السميط وتعجن بماء فاتر، وتخمّر، وتنضج بالفرن، وتسقى بالعسل والسمن أو الزبد، وتقطع ويوضع عليها لوز وجوز وصنوبر وفستقاً وسكر مدقوق. ، وكان الخبز يصنع في المنازل وخارجها حيث أنتشر الخبازون في المدن لبيع الخبز^(١).

أما عن المشروبات في صقلية فقد كان الصقليون يضعون شراباً حلواً من العنب يستخرجونه بعد عصره في مصانع خاصة بذلك ، كما عرف بعض الصقليون شرب الخمر، وقد وصفها ابن حمديس في شعره، وكانت أشهر مناطق الصناعة وبيع الخمر في بلرم ومسينا، فكانت تشرب خفية، حتى لا يقام على شاربها الحد^(٢) وسائل التسلية والمتنزهات:

تعددت وسائل التسلية في صقلية، وانتشرت، نتيجة الازدهار الشامل في جميع النواحي وكان من أهمها الموسيقي والغناء والرقص .

وعن الموسيقي فقد دخلت الموسيقى العربية مع العرب إلى صقلية ، ومن الآلات كان العود، والكمان، والطنبور، والقيثارة من الوترية، والطبل والدف والنقارات من أدوات النقر، والناي والبوق، ومن الآلات النفخ، كما كانت توجد الفرق الموسيقية الخاصة بكل مناسبة^(٣)

أما عن الغناء فكان في البداية متأثراً بغناء المشرق الإسلامي، فكانوا يرددون أشعار قيس، وابن الرومي وجريير، ثم بدأ الصقليون في إظهار الأغاني الخاصة بهم، وكان الغناء فردياً، وجماعياً، كما اختلفت أنواعه حسب المناسبة التي يقدم فيها، كالأنشيد الوطنية، والأنشيد الحماسية، كما أنه توجد أناشيد وأغاني تمجد أعمال الحكام، وهناك أناشيد في الأعياد الدينية، وغيرها.^(٤)

المسكن :

تنوع المسكن في صقلية طبقاً لاختلاف الطبقات واختلاف مستوى المعيشة بين الأفراد، وأيضاً بين سكان الريف والحضر .

(١) لمزيد من التفاصيل عن الأطعمة والأشربة في جزيرة صقلية أنظر : مجهول : كتاب الطبخ، ص ١٨٤؛ ٢٣٢؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٣٠؛ الأدريسي: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٩٦؛ المالكي: رياض النفوس، ج ٢، ص ١٤٢؛ عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، ص ٨٦؛ مارتينو مورينو: المسلمون في صقلية، ص ٣٥.

(٢) ابن حمديس: ديوان ابن حمديس، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر) ص ١٩ عبد الرحيم يوسف الجمل: الشعر والشعراء في صقلية، ص ٤٢٤-٤٢٥

(٣) عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض، ص ١٩٥

(٤). الأصفهاني: الخريدة، قيم ٢٣، ص ٣، ٦٠؛ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ليبيا وتونس وصقلية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٢م) ص ٣٨٦.

القصور:

سكن الأمراء والحكام الكلابيين فى القصور التى كانت تقام على مساحات واسعة من الأراضى، ومن القصور الهامة معمارياً قصر الأمير جعفر الكلبى (٣٨٨-٤١٠هـ / ٩٩٨-١٠١٩م) وهو يشبه القلعة حيث أقيم على منطقة مرتفعة ولذلك أطلق عليه أسم " قلعة جعفر " وعرف أيضاً بقصر الفوارة.^(١) لوجود (نافورة) فى وسط صحن القصر ، وزين القصر من الداخل برسومات وزخارف، وكما أحبط به من الخارج البساتين،^(٢). أما العامة فكان لكل شخص منزل خاص به يتبعه مسجد^(٣) وشيدت المنازل فى بلرم من الأحجار^(٤)

الحمامات

ومن المنشآت الصحية والاجتماعية الحمامات، فقد أشارت المصادر لوجود الحمامات فى كثير من المدن مثل بلرم الخالصة، مازر، ومسينا، وجلفوذى، وكانت فى بنائها وزخرفتها تحاكي الحمامات العربية الموجودة فى الأقطار الأخرى .^(٥)

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص١٢٢.

(٢) ابن جبیر : الرحلة ، ص٢٢٨؛ مارتينو مورينو : المسلمون فى صقلية ، ص ص ٥٢-٥٣.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٢١.

(٤) مارتينو مورينو : المسلمون فى صقلية ، ص ١٥٣.

(٥) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية ، ص ١١٢؛ فون شك: الفن العربى فى أسبانيا وصقلية ، ص ٩٧؛ إيمان فؤاد على أحمد الجوبلى : صقلية فى عهد الأسرة الكلبية ، ١٥٣-١٧٧.

الفصل الرابع

الحياة العلمية فى جزيرة صقلية

- المراكز الثقافية والعلمية فى صقلية.
- العلوم النقلية.
- علوم اللغة العربية وآدابها.
- العلوم العقلية.

الحركة العلمية فى صقلية

كانت صقلية منبع حضارات قديمة متنوعة لاتينية، وإغريقية ثم عربية إسلامية فتركت كل منها بصماتها ومعالمها واضحة على مسار الجزيرة الثقافي، كان لانتشار الإسلام واللغة العربية دور فى الحركة العلمية، حيث عرف أهل صقلية اللغة العربية قبيل الفتح وذلك من خلال نشاطهم التجارى مع أهل إفريقية وبلاد الشام ، كذلك كان لوجود الموالى فى قصور الأمراء، بالإضافة لمعرفتهم الإسلام واللغة العربية عندما تم فتح الجزيرة وتم الإختلاطهم بالعناصر المسلمة ، حيث تدفقت الهجرات العربية على صقلية منذ فتحها، كذلك تزوج الأمراء الأغالبة من صقليات وأسوة بالأمراء تزوج كثير من العرب الفاتحين بالصقليات، كما أن الجندى العربى الفاتح لصقلية لم ينتقل للجزيرة بمفرده بل بقبيلته، حيث كانت نية فتح صقلية للإستقرار، فكان ذلك بمثابة عامل أساسى لنشر اللغة العربية، وكذلك انتقال القراء والفقهاء والعلماء والأدباء، هذه الأسباب عملت على سرعة انتشار اللغة العربية، والدين الإسلامى فى الجزيرة.^(١)

وتقدمت الحياة العلمية والثقافية فى جزيرة صقلية لأسباب عدة كذلك منها على سبيل المثال لا الحصر : (إهتمام الولاة والأمراء فى جزيرة صقلية بالعلم والأدب فكانت قصورهم تزخر بمجالس العلماء والأدباء والشعراء، بالإضافة لإنتشار حرفة الوراقة لتوافر زراعة البردى فأزدهرت العلوم والمعرفة ، وكانت للوراقة سوق خاص فى بلرم، ومن أصحاب الوراقة فى صقلية عباس بن عمرو بن هارون الكنانى، ومحمد بن عبدون السوسى.^(٢) و كان لشيوع الرحلة فى طلب العلم أثر ملموس فى تقدم النواحي العلمية فى جزيرة صقلية ، حيث رحل العلماء والأدباء إلى بلاد المشرق والأندلس ومصر والقيروان أما للرحلة فى طلب العلم أو لأداء فريضة الحج ثم العودة إلى صقلية والمشاركة بدورهم فى نشاط الحركة العلمية بها، وكان لرحلات العلماء دور كبير فى تقدم علم كما علم القراءات فى صقلية^(٣) مثل

(١) حامد زيان غانم: الحضارة الإسلامية فى صقلية، ص ٤٤؛ حسن خضيرى : مدينة بلرم وحياتها الفكرية، ص ١٠٧؛ عثمان الكعاك: الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط، ص ص ١٢٤، ١٢٦.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ؛ ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، ج ١، ص ٣٤٣؛ أمين توفيق الطيبى: دراسات فى تاريخ صقلية، ص ١٢٦- ١٢٧.

(٣) الدورى: صقلية وعلاقتها بدول حوض البحر المتوسط، ص ص ٢٥٠-٢٥٣.

رحلة محمد بن خرسان الصقلي (ت ٣٨٦هـ/٩٩٦م) الذي اتجه لمصر لطلب العلم ، وبعد عودته لصقلية، ذاعت شهرته في علم القراءات ، وكذلك (أحمد أبو العباس الصقلي) الذي رحل للمشرق، ثم عاد إلى صقلية، وأخذ مكانه بين المتصدرين للقراءات، وكان من أشهر تلاميذه ابن بنت العروق^(١) ، لذلك تقدمت الحركة العلمية في صقلية في القرنين الرابع والخامس للهجرة / العاشر والحادي عشر الميلادي، حتى غدت مجتمعاً لأهل العلم والأدب من سائر أنحاء العالم، لقرىها من المراكز الحضارية الهامة في القيروان والأندلس^(٢).

مراكز الحركة العلمية والثقافية في صقلية:

أصبحت صقلية تضم العديد من مراكز العلم والثقافة والتي قامت بدورها في ازدهار الحركة العلمية، وقد تجلى ذلك أن أصبحت صقلية عامرة بالمكتب المنتشرة في كل مكان، وكان لكل مكتب حوالى خمسة معلمين، ولهم مدير، وكان يلتحق للتعليم بالكتاب أعداد كبيرة من التلاميذ صغار السن، فكان كل معلم يدرس مجموعة منهم، ويتلقى الطلاب في الكتاتيب علومهم الأولى، وبعد إتمامها ينتقل الطلاب إلى مرحلة علمية أعلى، وهي حلقات الشيوخ بمساجد صقلية^(٣)

أما المساجد وهي أهم المراكز العلمية في صقلية، فضلاً عن كونها دوراً للعبادة حيث ضمت بلرم وحدها نيفا وثلاثمائة مسجد، وهي تعتبر دليلاً على نشاط الحركة العلمية في بلرم، و على كثرة أعداد المسلمين، ومن أهم مساجد بلرم المسجد الكبير، ، ومسجد ابن سقلاب، ومسجد القصابين، والذي يعد من المساجد الكبيرة الجامعة ، أما مسجد قصر سعد، هو من المساجد المعلقة التي ظهرت في صقلية قبل مصر بأكثر من مائة عام، ومزين بالزخارف من الداخل وفي الخارج ، وكان المعلمون في صقلية مبدلين من قبل الناس ، وكان المعلم يتقاضى حوالى عشرة

(١) ابن الجزرى: غاية النهاية، ج٢، ص ١٣٤ - ١٣٦؛ السيوطى: بغية الوعاة، ج١١، ص ٩٩. السلفى: معجم السفر، ص٢.

(٢) محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ص ٤٤١.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٦.

دنائير فى السنة، ولم تقتصر مهنة التدريس على طبقة معينة، فقد زاولها أيضاً كثير من أعيان الجزيرة، ومن المعلمين فى صقلية محمد بن عيسى بن مطر.^(١)

أما الرياضات فكانت بجوار أهميتها العسكرية والدفاعية لها أهمية علمية كأحد مراكز العلم فى صقلية، وأما عن المكتبات وهى من أهم المراكز الثقافية ونتيجة لكثرة وغزارة الإنتاج العلمى فى صقلية، واقتناء المؤلفات من مختلف أنحاء العالم الإسلامى، وفى كافة المجالات، وكانت المكتبات منتشرة فى المساجد والرياضات والمدارس وقصور الحكام و الأمراء، حيث تعد مكتبة (بنى الحسين الكلبيين بالقصر الكبير) من أهم المكتبات وأستمر هذا العرف فى فترة حكم الطوائف، فكان لابد من وجود مكتبة فى القصر، وبهذا غدت بلرم من المراكز العلمية الهامة لكثرة مساجدها وأماكن الدرس والعلم بها، وكانت تجذب إليها طلاب العلم والعلماء والفقهاء، وهى بذلك أعلنت وكانت تذكر مع القاهرة والقيروان، كمركز ثقافى هام، فهاجر إليها العلماء والأدباء من كافة الأمصار الإسلامية.^(٢)

العلوم النقلية:

تركزت الجهود فى العصر الإسلامى الأول فى سائر الأمصار الإسلامية على دراسة العلوم الإسلامية الخالصة حيث كان أكثر العلماء الذين برزوا حينذاك من طائفة المحدثين والفقهاء، من أرباب اللغة العربية والعلوم الشرعية ويعد علم القراءات من العلوم الإسلامية الخالصة فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للمعرفة عند المسلمين على مختلف عصورهم، ولذلك كان الاهتمام بدراسته من حيث ضبط حروفه، وتفسيره^(٣)، ولقد أرسى العلماء الأوائل من بصقلية دعائم هذا العلم واستمدت صقلية علم القراءات من القيروان فكانت قراءة نافع هى الأساس الأول فى علم القراءات فى صقلية، كما كان لمصر بعد انتقال الفاطميين عليها دور فى

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص ٢٥٥. ابن جبير: الرحلة، ص ١٢٧-١٢٨؛ محمد الجهيني: عمارة صقلية فى

العصر الفاطمى، ص ٢٠؛ احسان عباس: الغرب فى صقلية، ص ٨٨

(٢) تقى الدين عارف: صقلية وعلاقتها بدول حوض البحر المتوسط ص ٧٨؛ احسان عباس: العرب فى صقلية، ص

٨٦.

(٣) الزركشى: البرهان فى علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل (القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٠م) ط١، ص ١٦-٢١.

توجيه القراءات فى صقلية، حيث اتجه إليها بعض العلماء الصقليين، ونقلوا عن علمائها، ومن بين القراء فى صقلية برز إسماعيل بن خلف بن سعد بن عمران المعروف بأبى الطاهر (ت ٤٠٦هـ/١٠٦٣م) وكان عالماً فى القراءات والنحو، إتجه إلى مصر لطلب العلم، ولتفوقه العلمى تصدر للقراءات بجامع عمرو بن العاص^(١)، أما أبو بكر محمد بن أبى الحسن على الأذرى الصقلى المعروف بابن بنت العروق، (ت ٤٦٩هـ/١٠٦٧م)، من تلاميذ أبو العباس الصقلى، وخرج للرحلة فى طلب العلم متجهاً للقيرون، ثم عاد لصقلية وكان ضابطاً لقراءة ورش حيث ذاعت شهرته فى صقلية فوفد عليه الطلاب من الأندلس^(٢). ومن أشهر علماء صقلية فى الإقراء والنحو هو عبد الرحمن بن عتيق بن خلف الصقلى، المعروف بأبن الفحام، ويكنى أبا القاسم (٤٢١-٥١٦هـ/١٠٣٠-١١٢٢م) وبلغ ابن الفحام فى مصر مكانة مرموقة بين علمائها فأطلق عليه لقب شيخ الإسكندرية حيث أقام فيها فى الفترة (٤٣٨-٥٠٤هـ/١٠٤٦-١١١٠م). وكان متصدراً للقراءة ضابطاً للقراءات السبع^(٣).

علم الحديث :

يعد علم الحديث فى الأهمية بعد القرآن الكريم كمصدر من مصادر التشريع الإسلامى، ومن أشهر هؤلاء العلماء على بن الحسن الصقلى القزوينى (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م) ومن أشهر مؤلفاته "سرور الأسرار فى كلام الشيوخ الأخيار، ووصف بأنه حافظاً^(٤)، ونبغ أبو بكر الفرضى الصقلى وهو أحد الفقهاء فى صقلية له دوره فى علم الحديث، ومن المحدثين الصقليين أبو بكر بن عقال الصقلى، وأبو بكر عتيق بن على بن داود بن سجير التميمى المالكى الصقلى المعروف بالسمنطارى (ت ٦٤٢هـ/١٠٧١م)^(٥)

(١) ابن بشكوال: الصلاة، ج ١، ص ١٠٥؛ ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج ٦، ص ١٦٥-١٦٦؛ ابن الجزرى: غاية

النهاية، ج ١، ص ٣٥٧؛ حسن خضيرى: مدينة بلرم وحياتها الفكرية، ص ١٠٢

(٢) المقرئى: المقفى، ج ٦، ص ٣٩٦.

(٣) الققطى: أنباء الرواه، ج ٢، ص ١٦٤؛ ابن الجزرى: غاية النهاية، ج ١، ص ٣٧٤.

(٤) ابن حجر العسقلانى: ليسان الميزان، ج ٤، ص ٢٤٥.

(٥) عياض: ترتيب المدارك، ج ٢، ص ٢٨٨

تأثر الفقه فى صقلية فى بداية نشأته بالقيروان، حيث كانت القيروان تضم ثلاث مذاهب دينية، فجماعة من البربر ينتمون إلى المذهب الأباضى والذى دخل أفريقيا فى الخامسة والعشرين أو الأربعين من القرن الثانى الهجرى، أما المذهب الحنفى فهو مذهب الدولة الأغلبية التابعة للعباسيين، أما المذهب المالكى فهو الغالب على أهل القيروان أنفسهم، وبذلك أستقبلت صقلية مع الجيوش الفاتحة العديد من المذاهب الدينية والتي أستمرت حتى حكم الكلبيين لصقلية فكان من هذه المذاهب^(١).

المذهب المالكى: ينتمى القاضى أسد بن الفرات فاتح صقلية إلى المذهب المالكى فكان انتشار الإسلام فى صقلية على المذهب المالكى، كما يرجع الفضل فى ذلك أيضا إلى القاضى أبو محرز وهو من المجاهدين الأوائل فى صقلية رغم معارضته لفتحها خوفاً على المسلمين،^(٢) وتلاميذ أسد بن الفرات، وتلاميذ القاضى سحنون وولد عام (١٦٠هـ/٧٧٧م) توفى عام (٢٤٠هـ/٨٥٤م) له حلقات درس خاصة به فى جامع عمرو بن العاص؛ وشرح المدونة، وهى من أشهر مؤلفاته، وجاءه الطلاب من كل فج، حتى قيل أنه تخرج على يديه سبعمائة فقيه^(٣)، وكذلك الفقيه أبو لقمان الغسانى، ومن خلال الفقهاء المالكية فى صقلية انتشرت معهم المؤلفات لدراسة فقه مالك، وعلى رأسهم الموطأ، وأقبل أهل صقلية على اعتناق المذهب المالكى، رغم محاولات الولاة من قبل الفاطميين القضاء عليه واضطهاد أتباعه، إلا انه أستمر وشهد أزهى فتراته أثناء حكم الكلبيين فى صقلية، والتي أتسمت بالتسامح الدينى^(٤).

(١) محمد محمد زيتون: القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، ص ص ٢٣٤؛ عثمان الكعاك: الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط، ص ص ٣٨-٣٩.

(٢) أبو العرب: طبقات علماء أفريقيا وتونس، ص ص ١١٦-١٦٧؛ المالكى رياض النفوس، ج ١، ص ١٨٩.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن الإمام سحنون أنظر: عياض: ترتيب المدارك، ج ١، ص ص ٣٥٣-٣٦٢؛ محمد زينهم

عزب: الإمام سحنون، دار الفرغانى، القاهرة ١٩٩٢م، ص ص ٦٥-٦٦.

(٤) عزيز أحمد: صقلية الإسلامية، ص ٤٥.

أما الحنفية فقد ذكر المقدسي أن أغلب أهل صقلية حنفيون، ويرجع ذلك إلى فترة حكم الأغالبة حيث كانوا ينتمون للمذهب الحنفي ومما ساعد على انتشاره بعد ذلك هو اضطهاد الولاة الشيعة من قبل الفاطميين للمالكية، فأقبل بعضهم على اتباع المذهب الحنفي حيث لم يتشدد هؤلاء الولاة مع أتباع الحنفية كتشددهم مع المالكية. (١)

أما المذهب الشيعي

فقد جاء إلى صقلية مع الولاة الفاطميين الذين قاموا بنشر المذهب الإسماعيلي مذهب الدولة الفاطمية، بتكليف من الخلفاء الفاطميين أنفسهم، وهو ما اتبعه الولاة الكلييون من محاولات لنشر المذهب الفاطمي عن طريق الخطب على المنابر، وتكليف الدعاة بجذب العامة للمذهب الفاطمي، وإغداق الأموال عليهم وخاصة في الاحتفالات الدينية والأعياد، ومع هذا لم يقبل الكثير من أهل صقلية على اتباع المذهب الشيعي، ولقد زاد اتباع المذهب الشيعي في صقلية، بعد إعلان المعز بن باديس عن إستقلاله عن الفاطميين بمصر وأضطهاده لفقهاء الشيعة الإسماعيلية والتابعين لهذا المذهب في إفريقية، لذلك هاجر، الكثير منهم إلى صقلية. (٢)

وظهر دور فقهاء صقلية في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ومن أعلامها أبو الحسن أحمد عبد الرحمن المعروف بابن الحصائري، وقد تتلمذ على يديه فقهاء صقلية أمثال: ابن يونس والسمنطاري. ومن الفقهاء الصقليين أبو بكر بن العباس الصقلي، ولقد تعاون الفقيه عبد الحق الصقلي والسمنطاري في تأسيس مدرسة فقهية في صقلية، ومن مؤلفاته الجامع لمسائل المدونة وشرحها وذكر نظراتها وأمثالها (٣)، ومن المحدثين الفقهاء أيضاً أبو عتيق بن علي بن داود بن يحيى التميمي المالكي الصقلي المعروف بالسمنطاري

(١). المقدسي أحسن التقاسيم، ص ٢٣٦؛ إحسان عباس: العرب في صقلية، ص ٩٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٢٧٣ أماري: المكتبة، ص ١٦٦.

(٣). القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج ٢، ص ٣٤٦. إحسان عباس: الغرب في صقلية، ص ٩٦ - ٩٨.

(ت ٤٦٤هـ / ١٠٧١م)، وكما ذاعت شهرته في علم الحديث ذاعت شهرته في الفقه أيضاً^(١).

التصوف:

عرفت صقلية التصوف منذ فتحها المسلمون ، حيث ضم جيش الفتح العديد من الصالحين والزهاد، ولذلك بنيت الرباطات علي السواحل الصقلية، و حيث ضمت الكثير من الفقهاء والصوفية والقراء المجاهدين ،كان الهدف من بناء تلك الربط هدفين أحدهما عسكري والأخر ديني وعلمي في نفس الوقت، فهي من الناحية الحربية لحماية البلاد من المغيرين ، وقد شيدها الأغلبة منذ فتح الجزيرة الجزيرة ،ولقد أصبحت وبمرور الوقت مكاناً للعبادة والعلم، يؤمها العلماء و الطلبة من كل حدب وصوب ، فكانت بمثابة معاهد للتعليم والتربية، والعبادة، ،حيث ظهر دورهم الحربي والسياسي، هذا بالإضافة إلي دورهم في مجال العلم والثقافة، وكان للتصوف في صقلية سماته الخاصة، فكان التصوف مبنياً علي كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، بالإضافة إلي اتباع مذهب مالك ، ومن المتصوفين الصقليين كان سعيد بن سلام الصقلي (ت ٣٧٣هـ / ٩٨٣م) من جرجنت ، ورحل إلي الحجاز ، ثم توجه إلي فارس ونيسابور، وحظى باحترام كبير، فقد دعا إلي ترك الدنيا، وطلب القربى من الله عز وجل لذلك وصف بأنه لم ير مثله .^(٢)

أما أشهر متصوف في صقلية في تلك الفترة فكان أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي ، الملقب بعماد الدين الصوفى ، والمعروف بإمام الحقيقة وشيخ الطريقة (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) رحل للمشرق للاستزادة العلمية ، وأثناء حجه في مكة التقى بعلمائها وازهارها ، درس الحديث والفقه علي مذهب الإمام مالك، والتصوف وآداب المتصوفة^(٣) ومن أشهر مؤلفاته في التصوف " الأنوار في علم

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج٣، ص٢٥٣.

(٢) القشيري : الرسالة القشيرية ، ص ٤٣٤؛ حسن خضيرى: الحياة الفكرية ، ص ١٠٢؛ إحسان عباس : العرب في صقلية ، ص ١١٣.

(٣) الدباغ : معالم الإيمان ، ج٣، ص ١٤٤؛ الزركلي : قاموس الأعلام، ج٣، ص ٢٢٥.

الأسرار ومقامات الأبرار ويطلق عليه "أنوار الصقلي" (١) ، ومن مؤلفاته الهامة أيضاً كتاب "الدلالة علي الله وهو دعوة للتصوف وترك مداع الدنيا" (٢)

ومن الزهاد المتصوفة في صقلية أبو بكر محمد إبراهيم بن حوس التميمي (توفي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) وكان محدثاً أيضاً. (٣) ، ومن رواة الحديث المتصوفة العباس بن عمرو الصقلي ، له معرفة بغريب الحديث ومختلف العلوم الشرعية ، قدم الأندلس من صقلية حوالي ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م (٤)

علم الكلام:

يعتبر علم الكلام من العلوم غير المرغوب فيها في صقلية ، حيث إن المذهب السائد بين الناس كان مذهب مالك، والفقهاء المالكية يبغضون علم الكلام ويعتبرون المتكلمين أهل ، أهواء ويدع ، لذلك كان عدد المتكلمين في صقلية قليلاً نذكر منهم ، أبا عبد الله عيسى بن مطر، وقد رحل إلي المشرق في طلب الحديث، وبعد عودته لصقلية أصبح من علماء الكلام، وكان أهل صقلية يفتونهم ، وممن اهتم بعلم الكلام أيضاً عباس بن عمرو بن هارون الكناني، الوراق، وكنيته أبو الفضل (ت ٣٧٩ هـ/ ٩٢١ م) خرج من صقلية إلي القيروان ثم اتجه إلي الأندلس ، واتصل بولي عهدها الحكم بن عبد الرحمن، وعمل بمهنة الوراق، واتصف بالحلم ، واشتغل بهذا العلم وصنف فيه من الكتب والتي قام فيها بالرد علي أصحاب المذاهب، المختلفة (٥)

ازدهار علوم اللغة العربية وآدابها في صقلية

وكان لأهل صقلية لهجة خاصة بهم ميزتهم عن أهل الأندلس ، والمشرق ويرجع ذلك لاختلاف الأجناس بها، ودخل علي اللغة لحن في القول، ومع هذا فهي تشبه إلي حد كبير لغة أهل المغرب (٦) حيث ظهرت مدارس في اللغة والنحو، وعروض الشعر، وكان رصيدها كبيراً علي أن الشعر كان أكثر الآداب انتشاراً، وذلك لتأثير الطبيعة الصقلية وجمالها علي الشعراء ، كما أن

(١) أبو القاسم الصقلي : الأنوار في علم الأسرار ، ص ٢٠٨ .

(٢) أبو القاسم الصقلي: الدلالة علي الله، مخطوط بدار الكتب المصرية / رقم ج ٣١٦٦٥ - ٣١٦٦٦ . ورقة ٢٠ .

(٣) المقرئزي : المقفي ، ج ٥ ، ص ٦٠ .

(٤) الحميدي : بمفردة المقتبس ، ص ٢٩٩ .

(٥) ابن حوقل: صورة الارض، ص ١٢٥-١٢٦؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج ١ ، ص ١٣٤٣ .

(٦) -أميرتور يزيتانو : الأدب العربي في صقلية، ص ٦٧ - ٦٨ .

تشجيع الأُمراء الكلبين للشعراء وإغداقهم الهبات عليهم ، كان له دور ، ولاسيما أن هؤلاء الأُمراء كانوا من الشعراء الذين يجيدون نظم القصائد ^(١) ، كما كان لتشجيعهم للأدباء دور في اجتذاب صقلية للأدباء من خارجها ، ومنهم علي بن حمزة البصرى اللغوى ، ويكنى "أبا نعيم" ، (ت ٣٧٥ هـ ، ٩٨٥ م) ، وكان من أعلام الأدب وبلغ مكانة عالية ، ومن مؤلفاته ، كتاب الرد علي زياد الكلابي ، وكتاب الرد علي أبي عمرو الثيابي في نوادره ، وكتاب الرد علي الجاحظ في الحيوان " ، ما عن الأُمراء الكلبين وإتقانهم للشعر فقد كان الوالى جعفر بن محمد بن الحسن الكلبى (٣٧٣-٣٧٥ هـ / ٩٨٣-٩٨٥ م) له الكثير من القصائد الشعرية في مختلف ألوان الشعر. ^(٢) ، ويعتبر الأمير يوسف بن عبد الله الكلبى المعروف بثقة الدولة (٣٧٩-٣٨٨ هـ / ٩٨٩ - ٩٩٨ م) أديبا بارزاً في عصره ، لذلك كان قصره يزخر بالعديد من العلماء والأدباء ، كما وفد علي صقلية في عصره العديد منهم ، خاصة من أفريقية، ومن الحكام الكلبين الذين برعوا في السياسة والأدب الأمير تاج الدولة جعفر بن يوسف الكلبى (٣٨٨-٤١٠ هـ / ٩٩٨ - ١٠١٩ م) و تجلّى دوره فى الأدب بعد خروجه من صقلية إلي مصر حيث عاش بها إلي أن توفى بها، وكان المصريون يرددون شعره ، ومن الأُمراء الكلبين الأدباء الأمير مقداد الدولة بن الحسن الكلبى (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م) وهو من القواد الفاطميين، وكان صديق القائد جوهر الصقلي ، ورحل مع جيوش الفاطميين إلي مصر ، وتوفى بها ، ومن أبناء الحسن الكلبى الأدباء أيضاً الأمير مستخلص الدولة الكلبى ، والذي كان يجيد فنون الشعر . ^(٣)

ومن الشعراء البارزين الشاعر : محمد عبدون السوسى الوراق هاجر من سوسة بالمغرب إلي صقلية ، وتميز شعره بعبودية اللفظ، وكان من المقربين بثقة الدولة، ومن الأدباء الذين جذبهم قصر الأمير ثقة الدولة مهاجراً من وطنه كان عبد الله بن مكى الطوسى المعروف بابن المؤدب ويرجع نسبة إلي المهديّة وكان مغرماً بالسفر والرحلة ، وكان عالماً في الكيمياء وخرج إلي صقلية بحثاً عن الرزق فأسره البيزنطيون في البحر وأثناء هدنة البيزنطيين مع المسلمين تسلم الأمير ثقة الدولة الأسرى ، وكان منهم لذلك شكر الأمير ومدحه ، كما استمر أبو عبد الله ابن محمد بن الحسن الطوبى الصقلي، وكانت له مكانه خاصة في بلاط ثقة الدولة الكلبى ، وكان متولياً ديوان الإنشاء ، وكان

(١)

(٢) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج ١ ، ص ٢٢٧ ؛ ٤٢١ ؛ ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ج ٥ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) ابن سعيد : المرقصات والمطربات (القاهرة : جمعية المعارف ، ١٢٨٦) ص ٦٣ ؛ إحسان عباس : معجم العلماء والشعراء ص ٢٤٥ .

طبيباً بارعاً أيضاً ، وله في الشعر مقامات تشبه مقامات البديع ، ووصف شعرة بأنه " غاية الفصاحة - وغاية الملاحاة .^(١) .

ومن أئمة اللغة في صقلية الأديب يعقوب بن علي الزبيدي اللغوي الصقلي ، وكان مقيماً بصقلية، وأتصل أيضاً بلامير ثقة الدولة واتصف بأنه حافظاً لأشعار العرب شارحاً لمعانيها، حيث كان من العلماء المشهورين بصقلية .^(٢)

ومن شعراء صقلية الذين ذاع صيتهم ،الشاعر أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي بشر الأنصاري البلوني (ت ٤٤٢هـ / ١٠٥١م) بمدينة Villonovo حفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة والنحو ، ثم هاجر إلى مصر نتيجة الأحداث السياسية في صقلية .^(٣)

استمرت الحركة العلمية والأدبية حتى آخر حكام الكلبين في صقلية صمصام الدولة (٤٣١-٤٤٤هـ / ١٠٣٩ - ١١٠٥٢ أ ، وكان يرغب في لقائه كل شاعر وأديب في المغرب العربي آنذاك وقد خرج في عصره مشهورون في صقلية وخارجها ، كما وفد علي الجزيرة العديد من الشعراء .

كما أشتهر أبو عبد الله محمد بن الضباغ الصقلي ، وابن الشامي صاحب الخمس وهو مسئول عن أرض الدولة وتوزيعها على السكان ، حيث اجتذبت كل من الأندلس والقيروان ومصر عدداً كبيراً من المثقفين الصقليين المهاجرين من جراء الغزو النورمانى للجزيرة .ومن الشعراء المهاجرين في أواخر حكم الكلبين كان سليمان محمد المهري الصقلي وهاجر الى الأندلس ، وكان ذلك بعد عام ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م، وتقرب من ملوكها ومدحهم ،ونال بذلك مكانة عالية ومن أدباء إفريقية الذين وفدوا على صقلية وكان لهم شأن عظيم الأديب الحسن بن رشيق القيروانى (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦٣م) ومن مؤلفاته كتابه العمدة، ولاقى شهرة واسعة فى عالم الأدب، ثم كتابه الأنموذج"^(٤) ومن أدباء أفريقية المهاجرين إلى صقلية كان ابن شرف القيروانى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٨م)، ونبغ فى الأدب فى القيروان، حتى بلغ مكانة مرموقة عند المعز بن باديس، وبعد زحف الهلالية على القيروان هاجر إلى صقلية، فى أواخر حكم الأسرة الكلبية، ومع سوء أحوال

(١) عبد الرحيم يوسف الجمل : الشعر والشعراء ؛ في صقلية ص ٤١٣-٤١٤ ؛إحسان عباس : العرب في صقلية، ص ١٦٩،

(٢) القفطي : أنباه الرواه، ج٤، ص ص ٥٧، ٧٨؛ أمارى: المكتبة الصقلية، ص ٦٤٨.

(٣) الأصفهاني : الخريدة، ج١، ص٥؛ شوقي ضيف : عصر الدول والامارات ص ص ٣٨١-٣٨٢، الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٥ .

(٤) الأصفهاني: الخريدة، ج١، ص ص ١٢٢-١٢٣؛ ابن دحية: المطرب فى أشعار أهل المغرب، ص ص ٥٧-٥٩؛ حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص ٩٩.

صقلية هاجر إلى الأندلس وتوفى بها. ^(١)، ومن أشهر النحاة الصقليين، والذي كان له دور بارز في علم اللغة والنحو، أبو حفص عمر بن خلف بن مكى الصقلى (ت ٥٠١هـ/١٠٧م) ^(٢) كان من أدباء صقلية المعروفين أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشى الزبيرى الصقلى (ت ٥٠٦هـ/١١٢م) ومع الغزو النورمانى لصقلية، هاجر مع من هاجر من مثقفها، وكانت هجرته للأندلس، واقترب من حاكمها، المعتمد بن عباد ^(٣)

أما أشهر ما جاءت به الجزيرة فهو الأديب والشاعر ابن حمد يس الصقلى وهو عبد الجبار بن حمد يس فكان أبرز أعلام صقلية، فى الشعر، وعلى الرغم من أنه ولد عام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م أى بعد خروج الكلبيين من الجزيرة، وفى نهاية حكم المسلمين، فعندما احتل النورمان صقلية كان فى الرابعة والعشرين من عمره، فهاجر إلى إفريقيا، ثم عاد إلى الأندلس، وقد رحب به المعتمد بن عباد، وصار له مكانة عالية عنده ^(٤)

العلوم العقلية:

تفوقت صقلية فى الإنتاج الثقافى نظراً لتعدد الجنسيات والثقافات بها من عرب وبربر ويونان ولمبارد، إضافة إلى تشجيع البلاط الحاكم مما أثرى الثقافة العربية فى صقلية. ^(٥) ومع هذا لم تحظ العلوم العقلية باهتمام المؤرخين: ولم تلق نفس القدر الذى نالته العلوم النقلية كعلوم الدين واللغة، ولكن لا بأس أن نشير إلى أهم العلوم العقلية ومنها علم التاريخ حيث ظهرت المدرسة التاريخية، أخذت لها مكاناً بارزاً فى النهضة العلمية فى بلرم، وأسس المدرسة التاريخية فى صقلية ابن القطاع لصقلى، وأبو زيد الغماوى، فكتب مؤلفاً بعنوان "أخبار صقلية" وهذه المجموعة لم

(١) ابن بسام: الذخيرة، ج٤، ص ١٦٩؛ ياقوت الحموى: معجم الأديباء، ج٢، ص؛ شوقى صيف: عصر الإمارات، ص ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٢) ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ٩٢؛ القفطى: أنباه الرواه، ج٢، ص ٣٢٩؛ السيوطى: بغية الوعاة، ج٢، ٢١٩؛ اليمانى: إشارة التعيين، ص ٣١٠.

(٣) ابن بسام: الذخيرة مج ١، ص ص ٣٠٨-٣١٠؛ ابن ممتى: الطائف الذخيرة ص ص ١٧٥-١٨٥. الأصفهاني: الخريدة مج ٨ ص ٢٥.

(٤) الأصفهاني: الخريدة، ج٢، ص ص ٦٦-٧٤؛ ابن دحية: المطرب، ص ص ٥٤-٥٧، إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ص ١٣٥-١٦١.

(٥) ول ديورانت: قصة الحضارة، مج ٧، ج ١٣، ص ٢٧٩.

تصل إلينا إلا من خلال المصادر الأخرى، حيث أندثرت نتيجة الأحداث السياسية فى الجزيرة. (١)

ومن مؤرخى صقلية فى عهد الأسرة الكلبية، أبو على الحسن بن يحيى بن الفقيه (ت ٢٤٤هـ / ١٠٥٠م) ومن مؤلفاته كتاب "تاريخ صقلية" وهو أيضا لم تذكر إلا فقرات منه فى بعض المصادر الأخرى ونسبة أقوالها إليه. (٢)

ومن العلوم العقلية الفلسفة التى تعد أم العلوم إلا أن اهتمام أهل صقلية كان ضعيفاً بيد أن ذلك لم يمنع ظهور بعض الشخصيات التى بذلت جهودها فى هذا المجال كان منهم الفيلسوف غراب بن الخطيب الصقلى، فهو خطيب بليغ وفيلسوف بارع وذاعت شهرته فى كثير من الدول، فتوافد عليه الطلاب من كل حدب وصوب، وكان له آراءه فى الأتقاع والخطابة والفلسفة. (٣)

ومن الفلاسفة فى صقلية سعيد بن فتحون بن مكرم التجيبى القرطبى المعروف باسم "الحمار السرقسطى" (ت ٤١٠هـ / ١٠١٩م) وهو من أهل الأندلس وقدم إلى صقلية، واشتهر بإجادته لعلوم اللغة والنحو مع الفلسفة، ومن مؤلفاته "رسالة فى المدخل إلى علوم الفلسفة سماها "شجرة الحكمة" ورسالة فى تعديل العلوم، وأشتهر فى صقلية بدفاعه عن الفلسفة والرد على معارضيتها. (٤)

كما يعد الطب أهم العلوم فى صقلية، فقد ذاعت شهرته بداية من اهتمام الولاة بصحة العامة، ومما أدى إلى توافر الأطباء ، كما كانت صقلية منطقة جذب للأطباء من الخارج نظراً لشهرتها.. (٥) ومن الجدير بالذكر أن الطب لم يحظ إبان حكم الأغالبة بأهتمامهم وذلك نظراً لاستدعائهم لأطباء أفريقية النابغين و كان منهم الطبيب إسحاق

(١) السيد طه أبو سديرة: المرجع السابق، ص ١١٦؛ حسين خضيرى: الحياة الفكرية، ص ١٠٩؛ حاجى خليفة: الظنون ج ١، ص ٢٩٧.

(٢) ياقوت الحموى: "معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٧.

(٣) القفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة: مكتبة المتنبى، ص ١٦٨.

(٤) الضبى: بغية الملتمس، ص ٣١٠؛ الحميدى: خذوة المقتبس، ص ٢٣٣.

(٥) زغريد هوتكة: شمس العرب تسطع على الغرب، وقد ذكرت أن اهتمام العرب بصحة العامة، أصبح حقاً مكتسباً للشعب، توارثه النورمان فيما بعد ص ص ٣٣٠-٣٣١.

بن عمران، ومن مصنفاته فى الطب "كتاب نزهة النفس" وكتابه فى داء المالنخوليا" وكتابه فى القصد" وكتابه "النبض":^(١)

وقد أهتم الكليبيين بالطب وشجعوه لذلك ظهر العديد من الأطباء النابغون فى الداخل والخارج فكان منهم الطبيب أبو عبد الله الصقلى الذى رحل للأندلس، وساهم فى ترجمة كتاب "الحشائش" لديو سفير يدوس Diascarides فى علم النبات للخليفة الأموى عبد الرحمن الثالث (الناصر) فى قرطبة عام ٣٤٠هـ/٩٥١م، وكان يجيد اللغة اليونانية، وكان عالماً بأسماء الأدوية المختلفة.^(٢) كما أشتهر الأديب أبو عبد الله بن محمد الطوبى الصقلى، ببراعته فى الطب وقد تتلمذ على ماسويه، وكان أحد أطباء الأسرة الكلبية.^(٣)

ومن الأطباء الذين انتسبوا إلى صقلية ولاقى شهرة كبيرة فيها، وفى أوروبا عامة الطبيب قسطنطين الإفريقى (الصقلى) ولد فى إفريقية عام ٤١١هـ/ ١٠٢٠م، وكان تاجراً ثم اهتم بدراسة الطب والفلسفة، وارتحل لطلب العلم فى دول المشرق، كإيران وخراسان وبغداد وغيرها ثم عاد إلى بلاده وأستقر فى صقلية فترة وألف العديد من كتب الطب بلغت حوالى اثنين وعشرين كتاباً فى مختلف شعب الطب، والوقاية من الأمراض، وطرق العلاج، ومن مؤلفاته (البول وتحليله-كتاب الجراحة، كتاب المعده وغيرها)، ونظراً لإتقانه اللغة العربية واللاتينية فقد ترجم العديد من كتب الطب العربى إلى اللاتينية ومن أهمها "زاد المسافر" لأبن الجزائر (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) وأطلق عليه اسم *Viaticas* وترجم كتب الطب للرازى، وغيرها من المؤلفات الطبية المشهورة، وإليه يعزى الفضل فى تأسيس مدرسة الطب فى سالرنو والتي كان لها دور فى نقل الطب العربى إلى أوروبا فيما بعد، فكانت بمثابة حجر الأساس له، وبذلك كان لصقلية دور فى نشر علوم العرب فى أوروبا.^(٤)

(١) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م) ص ٨٤-٨٦؛

ابن أبى أصيبعة: عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ج ٣، ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) ابن أبى أصيبعة: المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٥-٧٧.

(٣) القفطى: أنباء الرواه، ج ٣، ص ١٢٧.

(٤) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٥٢-٥٣؛ أحمد توفيق المدنى: أشراق أنوار المدينة الإسلامية على

أوروبا، ص ٣٤٣-٣٤٤. حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ٣٢-٣٦.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الطب فى صقلية كان يدرس باللغة العربية، وأنتقل منها إلى سالرنو ثم إلى أوربا، كما تقدم طب التشريح فى صقلية^(١).

ونتيجة لإزدهار الطب فى تلك الفترة استمر أيضا خلال فترة حكم الطوائف وعلت شهرة الأطباء المسلمين حتى فترة حكم النورمان للجزيرة.^(٢) وفى علم الفلك استخدم الفلكى مآذن مساجد بلرم كمرصد لمراقبة مواقع النجوم وحركتها، ومعرفة الخسوف والكسوف، ومشاهدة هلال شهر رمضان، وشوال؛ ومن أشهر علماء الفلك فى صقلية أبو عبد الله محمد بن عيسى يقول عنه القفطى: "من أهل صقلية من أصحاب العلم بعلمى الهندسة والنجوم ماهر فيها، قيم بهما، مذكور بين الحكماء هناك بأحكامهم وله سفر رائق". كما ظهر فى صقلية بعض المنجمين المشهورين بقراءة الطالع، معتمدين فى ذلك على علم الفلك ومراقبة النجوم، فكان الناس يقبلون بمختلف طبقاتهم على قراءة الطالع، وكان للمنجم مكانة كبيرة لدى البلاط الحاكم، وكانت له ملابس خاصة به"^(٣)

ومن علماء الهندسة والرياضيات سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطى. وهو فيلسوف وعالم بالهندسة والمنطق والموسيقى، ومن علماء الكيمياء المشهورين بدراسة الأحجار الأديب عبد الله بن إبراهيم ابن المؤدب^(٤) وترجع قلة أعداد العلماء والفلكيين والمهندسين بصقلية إلى قوة جذب القاهرة العاصمة الفاطمية إلى كل هؤلاء، فحرمت صقلية وإفريقية من المشهورين منهم، حيث كان البلاط الفاطمى وما يقدمه، من امتيازات لهؤلاء العلماء ساعد على هجرتهم من أوطانهم إلى القاهرة والعمل فى مرصد الحاكم بأمر الله حيث كانت القاهرة الفاطمية مركزاً علمياً كبيراً تجذب إليها كل عالم لزيارتها، أو الإقامة فيها.^(٥)

(١) تقى الدين عارف: دور صقلية فى نقل التراث الطبى، ص ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) احسان عباس: العرب فى صقلية، ص ١٠٩.

(٣) القفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٨٩.

(٤) ابن أبى أصيبعة: عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ص ١٩؛ عزيز أحمد: صقلية الإسلامية، ص ٥٢.

(٥) على حسنى الخربوطلى: العرب فى أوربا، ص ص ٧٠-٧٥؛ أحمد توفيق المدنى: أشراق أنوار المدينة الإسلامية من جزيرة صقلية، ص ٣٤.

الفصل الرابع

صقلية معبرا للحضارة الإسلامية إلى أوروبا

تأثرت صقلية بالحضارة الإسلامية في مدينة القيروان وذلك لموقعها من شمال أفريقية لأن أهل أفريقية هم الذين افتتحوها، بالإضافة إلى الهجرات المستمرة من أفريقية إلى صقلية ورحلات أهل صقلية الصقليين إلى القيروان في طلب العلم، وفي أيام الكلبيين نجد أن القاهرة تشارك القيروان في توجيه الحياة الثقافية في الجزيرة. وفي هذه الفترة أعلنت بلرم عن وجودها الثقافي والعقلي، وأضحى لها علماء وأدباء يهاجرون إلى الأندلس ومصر وشمال إفريقيا، وتطورت كذلك العلوم والمعارف فأصبحت صقلية من معاير الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.

فبعد استيلاء النورمان على جزيرة صقلية التي استمرت تعيش على الحضارة الإسلامية فظلت بها جالية عربية مسلمة حيث تولوا المناصب العليا، ولقد تيسر لملك صقلية روجر الأول معاملة المسلمين وخاصة العلماء معاملة حسنة عادت بالخير لا على الجزيرة فحسب بل على الحضارة الأوربية بأسرها، وترك العرب لأهالي صقلية الأصليين عاداتهم وقوانينهم وحرمتهم الدينية واهتموا بالزراعة والصناعة وانشأوا مصانع الورق وامتدت تلك المصانع الي ايطاليا واستخرج العرب الذهب والفضة والحديد والرصاص وعلموا اهل صقلية صناعة الحرير كما اهتموا بالتجارة . كما أحاط النورمان أنفسهم بعلماء المسلمين وبتشجيعهم ترجمت كتب العلوم العربية وبذلك انتشرت الأفكار العربية في ايطاليا كلها، لقد اخذ روجر عن العرب والمسلمين النظم التي اعتمدها واخذ أساليبهم في إدارة البلاد وفي الدواوين والنظم المالية والضريبية كما اخذ عنهم طرق حضر الأملاك العامة وإدارتها وبالتالي تأثر بالتنظيمات العربية واخذ الأنظمة الخاصة بالجيش البرية والبحرية .

ومن الملاحظ حرص روجر الأول على بناء القصور والمظاهر العمرانية على الطراز العمري فهو الذي ظل ثلاثين عاماً في محاربة المسلمين لدخوله الجزيرة لم يتورع عن الاقتداء بفنون أعدائه فقد شيد القصور والحمامات غرب القصر الملكي في العاصمة بالرموز وهي تعتبر من إقدام الآثار الإسلامية التي ما زالت باقية في صقلية ومن الملاحظ ان زخارف هذه القصور والحمامات في طرازها المعماري لا يختلف عن الطراز المعماري في الأندلس والعراق اي الدولة العباسية وهنا يمكن ان تقول ان صقلية في أيامه كانت مملكة نصف إسلامية في دينها ونظامها الإداري والعسكري ثم جاء ابنه روجر الثاني ١١٠١-١١٥٤م الذي سارع علي نهج أبيه حتى انه اتخذ لنفسه لقب المعتز بالله . وضرب نقوداً باللغة العربية إضافة إلي اللاتينية واليونانية كما أصدرت قراراته باللغات

العربية واللاتينية واليونانية ثم قد العرب المناصب والوظائف الهامة العليا واتخذ ديوان عربي وقد وقع علي المعاملات الرسمية الصادرة عن هذا الديوان بعلامة عربية مستوحاة من القران الكريم.

كما حاكي العرب في أزيائهم . اما المباني التي أمر ببنائها فهي اقرب إلي الفن العربي الإسلامي من الفن البيزنطي وعلي سبيل المثال دير القديس يوحنا شفيع الناسك في بالرمو أشبه بمسجد إسلامي منه يدير مسيحي وذلك ليس بسبب وجود العمال والفنانين المسلمين بل يعود لإعجاب روجر الثاني بالفن والعمارة الإسلامية وكان بلاطة هو اقرب إلي الشرق من الغرب .

وحرص علي الاهتمام بالأدب والعلوم والفنون العربية وكان طبيب بلاطة عربيا ونظر لاعجابه بالطب اقر الأساليب الطبية الغربية السائدة في صقلية قبل عهده كما اصدر عام ١١٤٠ قانون يقضي بإجراء امتحان للأطباء قبل الإجازة متبعا لأسلوب المسلمين علي غرام ما قام به وبوقت طويل الخليفة العباسي المقتدر بالله .

وكان روجر الثاني يؤمن بالذين هم ومن بين المنجمين المرموقين فيها محمد بن عيسى بن عبد المؤمن الذي ربط بين التنجيم والفلك والهندسة ولقد كان العرب الفصل في جعل روجر الثاني اغني ملك في أوربا وذلك بسبب اهتماماتهم الاقتصادية والعمراية .

دفع كل هذا إلي جعل الإدريسي الجغرافي لقدم لبلاطه للاطلاع منه علي جغرافية مملكته والعالم حيث طلب منه روجر الثالث تأليف كتاب له في الجغرافيا حيث يحظي الشريف الإدريسي ١٥ عام في تأليف هذا الكتاب الذي انتهى منه ٥٤٨هـ - ١١٤٥ وقدمه للملك حيث تفوق علي خريطة بطلميوس الشهيرة وهذا الكتاب يسمي ترجمة المشتاق في اختراق الأفاق أو الكتاب الروجري والي تم ترجمته فيما بعد إلي لغات عدة ويمكن القول ان روم الثاني عمل علي امتزاج الحضارتين العربية والأوربية التي شكلت انتقال الحضارة العربية والإسلامية الي أوربا في العصور الوسطي وأصبحت صقلية معبراً هاماً من معابر الحضارة الإسلامية ويمكننا القول ان النورمان استمر في الأخذ من الحضارة العربية والإسلامية نظراً لتقدمها وتظهر الآثار العربية واضحة في قصر العزية والقبة في بالرمو وفي كاتدرائية جفلوذي وكتيبة القصر الملكي وأقيمت كاتدرائية بكرو وقصر القبة مثلا الذي شيده وليم الثاني كأنه قصر من قصور بني حماد وهو مثل مباني الفاطميين وفي المهديّة أما كنيسة القصر الملكي فيلزم فيها الكثير من التشابه مع بناء مسجد الجامع في قرطبة وقد وصل اثر البناء والهندسة الإسلامية إلي اضرحة النورمان الغربيين بحيث إن ضريح يوهمند في كانوسا بتصميمه الهندسي ذي الأضلاع الأربعة ويظهر توصلنا مباشرة للأضرحة الإسلامية .

تولي فريديك الثاني بن هنري السادس الألماني إمبراطورا علي ألمانيا وعلي مملكة الصقليين التي تشمل بلاد نابولي وجزيرة صقلية وبذلك انتقل الحكم في صقلية من الأسرة النورمانية إلي أسره الهوهشتوفن الألمانية بين أعوام ١١٩٨-١٢٥٠م - فريديك وبدء الحكم الفعلي لفريديك في عام ١٢١١م لم ينقل هذا الإمبراطور عن المسلمين اي استخدمهم في العسكرية كما اعتمد علي الصناعة المسلمين المبهرة في صناعة الأسلحة وقد يعود ذلك إلي شغفه حيث من صغر سنه كان يتعلم اللغة العربية بجانب اليونانية واللاتينية وكان للتراث العربي والنورماني اثر في تكوين شخصيته الذي أمر بترجمة المؤلفات العربية العلمية ومن المظاهر التبادل الحضاري والثقافي استفادة صقلية من الكتاب العربي المعروف باسم المسائل الصقلية وهي التي وجهها فريديك الي علماء المسلمين وأجاب عليها القبو ابن سبعين بأمر الخليفة ألموحي الرشيد حتى ان فريديك اخذ ابن الجوزي الصقلي رفيقا معه يواصل تدرجه في علم الجدل وكان لدي فريديك ميثال اسكوتوس الفيلسوف الذي يتقن العربية والاسبانية حيث ترجم له من العربية إلي اللاتينية كتاب الحيوانات اما المترجمون الآخرون فقد ترجموا له كتاب السيطرة وشرح ابن رشد وكتاب الشباب والملاح للمرازي ومن ذلك نري أثر فريديك بالثقافة العربية.

ولقد استمر في طلب المساعدات العلمية من المسلمين ولم يتوان عن الطلب من السلطان الكامل حاكم الدولة الأيوبية في ذلك الوقت في المسائل الرياضية والفلكية والفلسفية .

وتشير المصادر ان فريديك تزوج من أميرة اسبانية من اراغون التي من خلالها تدفق سبل التأثيرات العربية الاسبانية علي اسبانيا التي كانت هي ذاتها مركزا للحضارة العربية والإسلامية ويذكر أيضا ان درب أولاده علي نظم الشعر الغنائي المتأثر بالشعر العربي وكان ذلك الأساس الذي أثبتت فيما بعد الأدب الايطالي الكلاسيكي وحيث أكد ذلك الشاعر الايطالي بتزارك ١٣٠٤-١٣٧١م في زمن قصير شاع ذلك النوع من الشعر الذي ولد في صقلية في كل ايطاليا وتعناها .

وقال أيضا صاحب الكوميديا الإلهية الشاعر الايطالي دافنشي لذلك يسمي كل ما نظمه أجدادنا من اشعار بلغة البلاد ويبدووا من الشعارين اهتماما كثيرا بالشعر العربي والتصوف والفلسفة ونجد تأثيرات عربية غير مباشرة حيث نجد اثر ابي العلاء وابن عربي واضحا في اشعار دانتي .

وفي عهد فريديك الثاني أيضا استمرت المؤثرات الهندية العربية في البناء الصقلي فقد بني قصوره وقلاعه علي النمط العربي وتبين ان قلاع باري وترابي وبرانديزي تشابه مع قلاع اسبانيا

والشرق العربي وظهر الأثر العربي المعماري أيضا في نوع الأعمدة وخامات البناء والنقوش التي وجدت في صقلية وظهرت أسماء العمال والفنانين والتعابير العربية منقوشة علي تلك الأبنية .

ومن جهة أخرى لقد استفاد كثير من الأنظمة الإدارية العربية حيث اخذ قواعد الحكم والأنظمة المالية مهما خفف عن كثير من الأعباء وفرض ضرائب الرأس علي اليهود والمسلمين التي يقابلها ف النظام الإسلامي الزكاة والجزية علي غير المسلمين والواقع ليست صقلية وحدها التي تأثرت بذلك لقد انتقلت هذه المؤثرات إلي أوروبا ولقد كان هناك بعض المسلمين العرب يديرون الاقتصاد أمثال ريتشارد العربي الذي كان مسئولا عن جمع أموال الضرائب وعن توزيعها وهناك أيضا ابن عبد الرحمن رئيسا لمالية صقلية وكان أيضا يملك صلاحية التوقيع علي المعاهدات الاقتصادية باللغة العربية أيضا لأنه كان لغة رسمية في صقلية بجانب اليونانية واللاتينية وكان العالم العربي تيودور الإنطاكي أحد المقربين لبلاط فردريك وقد ترجم عدداً من الكتب العلمية وكان يوجد البربري المور الذي يعرف باسم بوخناموروس وكان حارس خاص لفريدريك . وامتد النفوذ الإسلامي أيام الإمبراطور فردريك الثاني الذي حرص علي اصطحاب العلماء المسلمين في رحلات وفي عام ١٢٢٤م أسس جامعة وتمت ترجمه مؤلفات ابن رشد وأرسلت نسخ منها إلي فرنسا كما ترجمت في عهده موسوعة الرازي الطبية الحاوي إلي اللغة اللاتينية

ولما توفي هذا الإمبراطور عام ١٢٥٠ كفن بأثواب عربية ودفن في مسجد بكر مو الذي قد حول إلي كاتدرائية . .

حيث تأثر الفن بها حيث يظهر الطراز العربي في كنائس النورمان ومنها كنيسة القديس جيوفلز في مدينة (بالمرمو) وهي ذات قباب حمراء نصف كروية كما تظهر الأقواس المدببة والزخارف العربية الدقيقة في قصور الملوك النورمان في مدينتي (بالرمو ومونديال)

تبحر اللغة وكلماتها في أوروبا

فقد ترك العرب الفاظ عربية في اللغة الصقلية والايطالية ولا تزال مدن وأماكن كثيرة من صقلية تحمل أسماء عربية . يذكر الرحالة العربي ابن جببر ان وليم ملك صقلية كان شديد الثقة بالمسلمين وانه علم معرفة باللغة العربية قراءة وكتابة وان شعاره كان (الحمد لله حق حمده) .

وقد دخلت اللغة العربية أوروبا حين فتح العرب صقلية والأندلس، وتردد صداها في الأنحاء الجنوبية، ولا يزال في الإسبانية والبرتغالية كثير من الكلمات المشتقة من العربية، وقد جمعها

العلامتان دوزي وانجلمان في كتاب سمياه (مفردات الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية) طبع في لندن ١٨٦٩م.

ثم دخلت الكلمات العربية في لغات أوروبية أخرى كالفرنسية والألمانية والإنجليزية، وقد حوت اللغة الإنجليزية أكثر من ألف كلمة عربية، وهناك ٢٧٠ كلمة من أصل عربي تستعمل في اللغة الانجليزية يوميا، منها كلمة أمير أو أمير البحر الإنجليزية التي أصبحت: (أميرال) .

ويتحدث (زينالد) عن التأثيرات العربية بصقلية فقال ان الجزء الأعظم من الكلمات العربية (الباقية في الايطالية) دخلت اللغة الايطالية لا بطريق الفتح العربي بل بطريق الحضارة التي كثير ما تُوِّلف بين مظاهر الحياه المختلفة ، وقد اضطرت مدينة جنوه ان تؤسس مدرسة لتعلم اللغة العربية سنة ١٢٠٧م ويدل علي وجود كلمات عربية في لغة هذه المدينة وفي جميع اللغات العامية في جميع انحاء ايطاليا التي كانت علي تبادل تجاري مع الشرق وصقلية والهندسة القوطية في الحقيقة الهندسة العربية كما ان اسماء الموازين والمكاييل والالفاظ البحرية في اللغة الايطالية من اصل عربي، ان المفردات التي تيقنت في اللغة الصقلية وانتقلت إلي الايطالية كانت في مجال الزراعة وهي مفردات ذات أصل عربي .

واثبت (كماري) المستشرق العقل ان صقلية مدينة للعرب بحضارتها كما ان ايطاليا مدينة لصقلية باقتباس معالم الحضارة العربية وقد أدي هذا الي ابتكار الشعر الوطني مما ادي الي نهوض الشعر الايطالي ويذهب بعض المفكرين ان دانتي الشاعر الايطالي اقتبس موضوع الكوميديا الالهية من رسالة الغفران للمغربي وعلم العرب ديار الايطاليين كيف السلوك الي حياه كريمة والقراءة والكتابة وتبني العلوم وعلمتهم الصناعة المختلفة واصول الزراعة والحياكة والمشاركة في ضروب التجارة .

وتعتبر صقلية ملتقى ثقافتين في العصور الوسطى الي الغرب حيث لعبت دوراً هاماً في نقل المؤثرات الحضارية الشرقية من أوروبا من طريق ايطاليا .

العلوم الدنيوية

وقد اشتهرت العلوم الدنيوية بها حيث مثلاً في التاريخ حيث وجدنا كتاب يسمى تاريخ كمبرج الذي كتبه احد النصارى في صقلية في عهد الكليين وهو مصدر مهم في تاريخ الجزيرة لكن كانت كتابات المسلمين في تاريخ هذه الجزيرة كما ضئيل حد ونري أيضا تولي احد العلماء يدعي عبد

الله ترجمة رسالة ديو سقر يدرس في علم النبات ومع وجود عنصر اليونان بجانب العرب الجزيرة اتجه اهتمام نحو الفلسفة والعلوم اليونانية وكان من بين أهم الأطباء العرب في صقلية ابو سعيد بن إبراهيم الذي وصل كتابة البناء في الصيدلية ولقد ازدهرت الآداب والعلوم في صقلية علي عهد الأمير يوسف حيث كان من أهم شخصيات عهده ابن المؤذن الذي صرف همه إلى دراسة الكيمياء والبحث عن حجر الفلاسفة الذي ظن أنه يحول المعادن ذهب هكذا رأينا بصورة سريعة علي وجود وازدهار صقلية في تلك الفترات ركن أثرها القوي سيكون في فترة النورمان .

وهكذا يلاحظ من خلال هذه الدراسة ان صقلية كانت معبراً من معابر الحضارة العربية والإسلامية فقد استفاد صقلية من هذه الحضارة وأقامت بكواهل من بلدان أوروبا وبالرغم من ان العلاقات الإسلامية المسيحية في صقلية شهدت التوتر والتقاتل الغير ثابت ان أيضا شهدت علاقات حضارية في غاية الأهمية.

وفي بالرمو حاضرة صقلية فقد اقيم فيها في القرن الثالث عشر الميلادي مدرسة خاصة للترجمة العربية الي اللاتينية واليونانية علي غرار مدرسة في صقلية في القرن الثاني عشر ومن العلماء الذين زاروا المدرستين العالم الاسكتلندي ميخائيل سكوت الذي ترجم أعمال أرسطو وشروح ابن رشد وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر ترجم القران الكريم الي اللاتينية ، كما ترجمت حادثة الإسراء والمعراج والتي انتشرت في ايطاليا منذ القرن الثالث عشر الميلادي واستفاد منها الشاعر لايطالي دانتي بواسطة اشعار بروثيتولا تبني الذي كان يزور مدرستي بالرمو وصقلية كما اتجهت مدرسة بالرمو إلي ترجمة المؤلفات العربية العلمية منها كتب ابن سينا والرازي في الطب ومن إعلام الترجمة فيها أوجينيوس بالرمي وايوناركو بيزانو ولعل من أهم مظاهر النهضة العلمية وتأثير الحضارة وجود المخطوطات العربية القديمة في مكتبة الفاتيكان بروما .

وهنا سوف نتكلم بإيجاز الي الدور الذي لعبته صقلية في انتقال العلوم والمعارف العربية إلي أوروبا في القرنين الثاني والثالث عشر .

الزراعة :

حكم العرب للجزيرة كان نافعا بفضل التغييرات التي ادخلها العرب علي أحوال الجزيرة الاقتصادية حيث قضت علي نظام الملكيات الواسعة للأراضي وبحثت الملكيات الصغيرة التي ادخلها العرب علي أحوال الجزيرة الاقتصادية حيث قضت علي نظام الملكيات الواسعة للأراضي وبحثت الملكيات الصغيرة كما أنعشت وآثرت الزراعة الصقلية وان من المهم.

واهتم المسلمون في القرن التاسع الميلادي بوسائل الزراعة في صقلية وبالقنوت كما ادخلوا صناعة القطن وقصب السكر وقد ادخل العرب نظام جديد في الزراعة يقوم علي إنشاء المصاطب والصهاريج لضخ الماء للري وغرس العرب أشجار النارج والليمون وقصب السكر وكانوا أول من ادخل لصقلية بذور القطن وأشجار التوت ودودة القز وزراعة النخيل كما يعود لهم الفضل في إدخال الأرز لصقلية ومن الملاحظ اقطاع القطن بعد رحيل العرب عنها وذلك في القرن الرابع عشر وبما إن كل ذلك دخل صقلية فمن الطبيعي أيضا دخل إلي باقي القارة في ذلك الوقت .

الصناعة :

ومن أهم المساهمات التي قدمها العرب لأوروبا صناعة الورق ولولا الورق ما قامت المطابخ وانتشرت الكتب وقبل صناعة الورق كانت الكتابة علي ورق البردي واما علي الرق تلك الصناعي التي أخذت عن الصقليين في القرن الثامن الميلادي ثم وصلت باقي العالم الإسلامي ثم الي أوروبا . كانت تلزم واحده من أول مصانع الورق في أوروبا وتوجد وثيقة تحمل توقيع صاحب صقلية مؤرخة سنة ١١٠٢م وهي اقدم وثيقة ورقية أوربية مؤرخة تم اكتشافها حتي الان .

ان اساليب صناعة الورق لم تصل الغرب قبل القرب الثالث عشر حينما بدأ بإقامة مصانع للورق في ايطاليا وجنوب فرنسا ، ومن صقلية وصلت اساليب تربية دودة القز وصناعة المنسوجات الحريرية الي ايطاليا وبحلول القرن الثالث عشر اصبحت المنسوجات الحريرية الصناعة الأساسية في العديد من المدن الايطالية وكان في صقلية وقلورية أول مكانين في ايطاليا ينتجان الحرير منذ العهد العربي .

انتقلت صناعة المنسوجات الإسلامية في جزيرة صقلية إلى أوروبا (مثل ألياف النباتات كالقطن والكتان، ومن الألياف الحيوانية الصوف والحرير) ، وكذلك الكتابة على حواشي ملابس الأمراء مدائح للحاكم وكبار رجال الدولة ، كذلك زخرفة وتطريز الأقمشة بأشكال هندسية أو بعض الأشكال النباتية ، واستخدم الذهب في تطريز المنسوجات في صقلية، وامتدت هذه الصناعة إلى عصر النورمان على يد صناع مسلمين كما صنعوا المفارش والحصر الجميلة من النسيج ومن خصوص النخيل^(١).

(١) لمزيد من التفصيل أنظر : زكى محمد حسن: كنوز الفاطميين، ص ١٤٢؛ سعاد ماهر: الفنون الزخرفية، ص ص ٢٧٤ - ٢٧٥؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٩؛ هايد: تاريخ التجارة، ج ٤، ص ٢٠٦.

وكانت صناعة السكر التي مقترنة مع وقت انتشار المحاصيل التي ادخلها العرب حيث جلب فردريك الثاني خبراء عربي لصناعة السكر وهو صناعة صينية في الأصل انتقلت عن طريق العرب في صقلية والأندلس أيضا نحو أوروبا الذين كانوا يستعملون العسل للتحلية ولم يعرفوا السكر قبل القرن الرابع عشر للميلاد . كما ان كلمة السكر مقتبسة عن اللغة العربية في شتي اللغات الأوربية وهذا دليل علي انتقال تلك الصناعة من الشرق الي الغرب .

العملات :

طول فترة حكم النورمان لجزيرة صقلية في القرن الثاني عشر كانت عملاتهم تضرب وعليها كتابة عربية بالخط الكوفي وكانت فيتضرب عملة نورمانية عرفت باسم طري وكانت كالرباعي شكلا وقيمة وقد وكل سامويل شيرت من جامعة اكسفورد علي ان العملة المعروفة عند أوربا طري مشتقة من اللغة العربية بمعنى حديث الغرب وهي فة استعملت في جزيرة صقلية الاسلامية لنعث الرباعي وظلت تضرب في صقلية وجنوب ايطاليا لمدة خمس قرون واستعمله فرسان القديس يوحنا الاسبانية في جزيرة مالطة فيما بعد خلال القرن السادس المهم انتقلت العملة والتنمية الي جنوب فرنسا وقطالونيا بشمال شرق اسبانيا فهي في البروفنسالية خلال القرن الثالث عشر Tarin وفي القطلانية Tavi ولما كانت الصلة وثيقة بين النورمان وانجلترا منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي حيث وجد نظام انجلو - نورماني مالي وهو The Excheauer وسجلات كانت بداياته في الديوان العربي الصقلي فلعل نظام الخزانة في انجلترا مقتبس عن اصول اسلامية صقلية .

علم الجغرافيا :

افاد الأوربيون كثيراً من كتب الجغرافيا والرحلات العربية حيث لم تعرف أوربا عن افريقيا الا عن طريق العرب والخرائط العربية التي ظلت مرجع لهم حتي القرن التاسع عشر ولتقول ان كروية الأرض لم يكن امراً مسلماً به عند الأوربيين وللشريف الادريسي فضل كبير في هذا المجال اذ تحصل الأوربيون من كتابه نزهة المشتاق في اختراف الأفاق علي معلومات دقيقة عن الهند والصين وباقي العالم كما اعد الادريسي للملك روجر الثاني في ابسط صورة للأرض في دائرة من الفقه مبينا فيها الاقاليم السبعة .

الطب :

يعتمد في دراسة الطب في مدرسة سالرنو تغير الوضع في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي بظهور قسطنطين الأفريقي الذي امضى عمره في ترجمة الكتب الطبية العربية ومن الكتب التي ترجمها مقاله في المانقوليا لإسحاق بن عمران وكتاب الحميات لإسحاق بن سليمان و ثم انتشرت ترجماته في العرب وبفضلها انشئت مدرسة الطب في سالرنو في صقلية اسقفان البيزي الذي ترجم كتاب المجوسي وهي ترجمة دقيقة لاسم الكتاب الملكي ويذكر ان علماء الطب يوجدون في المقام الأول في صقلية وسالرنو وهم الناطقين بالعربية أو اليونانية .

كذلك قام الطبيب قسطنطين الإفريقي (الصقلى) بكتابة حوالى اثنين وعشرين كتاباً فى مختلف شعب الطب، ترجم العديد من كتب الطب العربى إلى الاتينية ومن أهمها "زاد المسافر" لأبن الجزار (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) وأطلق عليه اسم Viaticas وترجم كتب الطب للرازى ، وغيرها من المؤلفات الطبية المشهورة.

وبهذا كان لصقلية دور فى الحياة الثقافية وكانت نقطة التقاء حضارات قديمة ووسطى، وبذلك كانت ثانى المعايير الحضارية الإسلامية إلى أوربا بعد الأندلس وزاد دورها فى حكم النورمان الناقلين للحضارة الإسلامية، حيث قامت حركة الترجمة على نقل كل ما هو عربى إلى اللاتينية، فبذلك كان تمهيد إلى قيام عصر النهضة فى أوربا.

وأهل الذمة كان لهم إسهاماتهم فى الدور الحضارى فى العلوم والفلسفة والقانون، كما شاركوا فى حركة الترجمة ، وتعلم الكثير منهم اللغة العربية فعملوا على ترجمة الكتب من الإغريقية إلى العربية والعكس (١).

الفلك والتنجيم :

من اكثر الكتب العلمية اثر فى القرون الوسطى كتاب المجسطي الي حمل نفس الاسم فى أوربا وقد انجزت أول ترجمة لاتينية للكتاب من اليونانية فى جزيرة صقلية ١١٦٣م اي قبل اثني عشر سنة من ظهور ترجمة الكتاب فى صقلية على جيرارد الكريموني الذي كان له الاشراف فى الفلك والتنجيم .

علم المناظر :

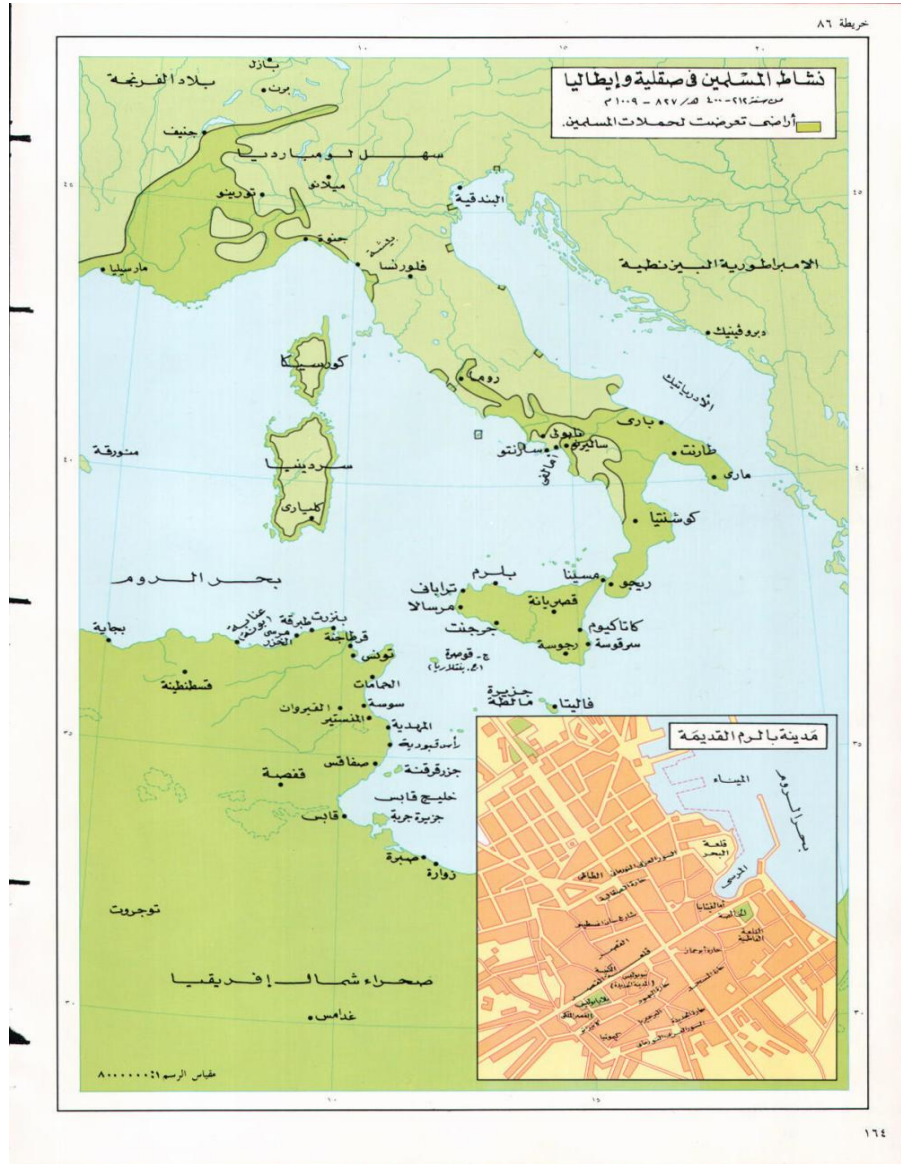
(١) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٩؛ محمد كرد علي: الإسلام وحضارة العرب، ج، ص ٢٧٩.

في عهد وليام الاول ١١٦٠م ترجم كتاب المناظر لبطلميوس أمير الأسطول الصقلي يوجينيوس البكرمي وقد ترجمه عن الأصل العربي الي اللاتينية مع انه كان يتقن اللغة اليونانية .

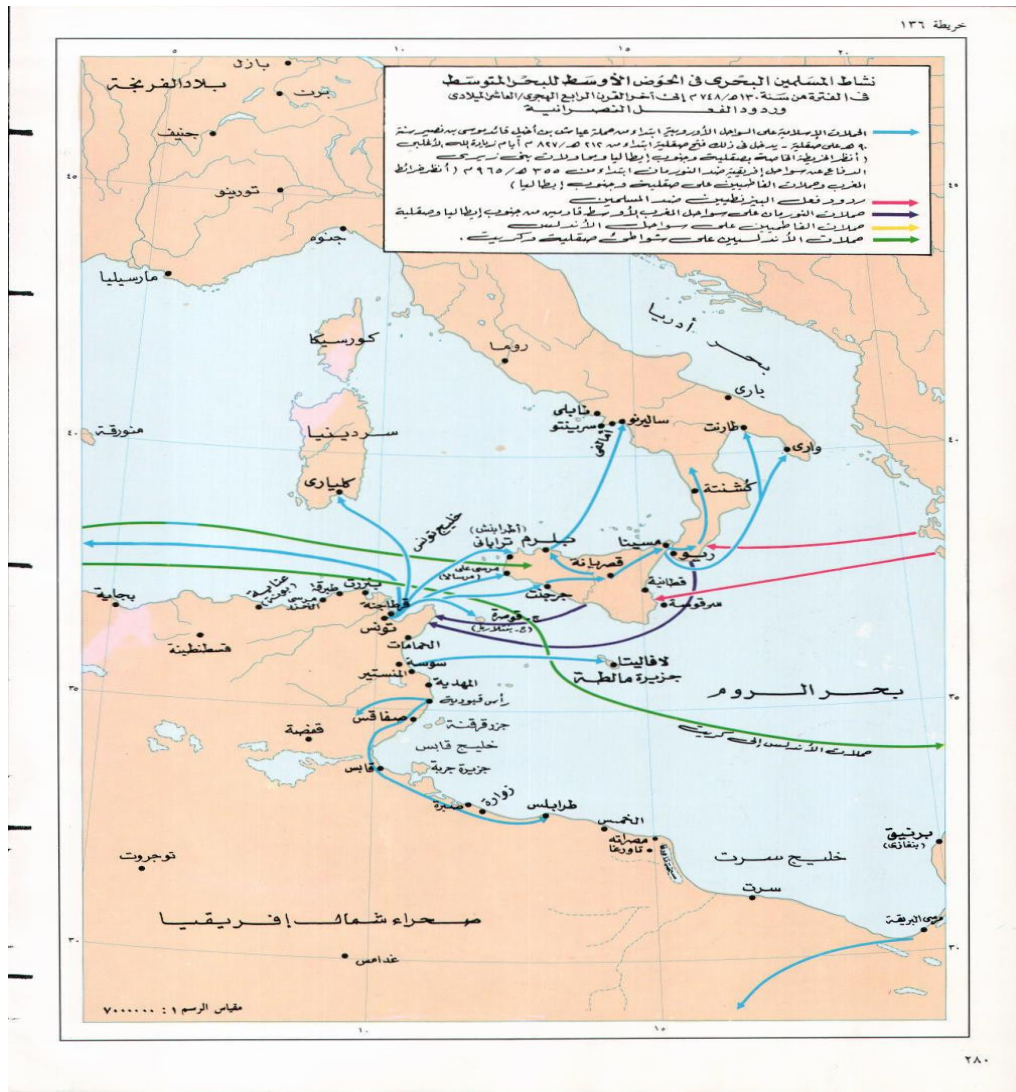
الفلسفة والمنطق :

في بلاط فردريك الثاني قام مايكل سكوت بترجمه العديد من شروح ابن رشد وتعليقاته علي كتابات ارسطو طاليس كما ترجم اجزاء من مؤلفات ابن سينا والي مايكل سكوت يرجع الفضل في المقام الاول في تعريف الغرب بمؤلفات ابن رشد ويقول روجر سكوت ان مايكل سكوت كان مسؤولا الي حد كبير عن اهم حدث في تاريخ الفكر في العصر الوسيط أو وهو تعريف بأرسطو عن طريق العرب .

الملاحق



خريطة توضح نشاط المسلمين في صقلية وإيطاليا
حسين مؤنس : أطلس التاريخ الإسلامي ، ص ١٦٤ .



خريطة توضح نشاط المسلمين البحري

حسين مؤنس : أطلس التاريخ الإسلامي ، ص ٢٨٠

المصادر:

- ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القطاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٥٩م):
-الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م
- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م): -الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م -اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- الإدريسى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م):
نزهة المشتاق في اختراق الأفاق القاهرة، دار الثقافة الدينية، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)
- ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (ت ٦٦٧هـ/١٢٧٠م):
-عيون الأنباء في طبقات الأطباء، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م.
- ابن بسام: أبو الحسن علي الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/١١٤٦م):
-الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ليبيا-تونس، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك (٥٧٨هـ/١١٨٣م):
-الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم، تحقيق: ابراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتب العربية، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- ابن بعره: منصور بن بعره الذهبي الكامل:
-كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق: د. عبد الرحمن فهمي
- البكري: أبو عبد الله بن عبد العزيز المرسى (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):
-جغرافية الأندلس وأوربا، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجى، بيروت، دار الإرشاد: ط ١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م
- البلاذرى: أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادي (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م):

-فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية،
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

ابن البيطار: الشيخ ضياء الدين أبي محمد عبد الله (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م):

-الجامع لمفردات الأدوية، القاهرة، مكتبة المتنبى، د.ت.

ابن جبير: محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)

-رحلة ابن جبير، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ت

الجوزري: أبو علي المنصور العزيزي (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي):

سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تحقيق: د. محمد كامل حسين،

ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)

جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/١٩٨٣م.

ابن حمديس الصقلي: أبو محمد عبد الجبار (٥٠٠م/١١٠٦م)

-ديوان ابن حمديس، تحقيق د.إحسان عباس، بيروت، دار صادر ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

الحميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصير فتوح (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م):

- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية، د.ت

الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م):

-الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق، د.إحسان عباس بيروت، مكتبة لبنان، ط٢،
١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

أبن حوقل النصيبى: أبو القاسم محمد بن علي البغدادي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):

صورة الأرض، ليدن، مطبعة بريل، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

أبن خرادذبة: أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (توفي في حوالي ٣٠٠هـ/٩١٢م):

-المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.

ابن الخطيب: لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):

-أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، الجزء الخاص بتاريخ المغرب
وصقلية، نشرة د. أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، دار الكتب،
١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

-الحلل في نظم الدول، تونس، المطبعة العمومية، ١٣١٦هـ/١٨٩٨م.

ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، لبنان، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- المقدمة، الإسكندرية، دار بن خلدون، د.ت
- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)
- فيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د.إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، هـ١٩٧٢م.
- ابن دحية: عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الخطاب (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٦م):
- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبيارى وآخرون القاهرة، دار نشر التراث القديم، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ابن أبي دينار: أبو عبد الله محمد أبي القاسم الرعيني القيروانى (ت ١١١٠هـ/١٦٩٨م):
- المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، تونس، مطبعة الدولة التونسية، ١٢٨٦هـ.
- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م):
- العبر فى خبر من عبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ج ٢، د.ت.
- ابن رسته: أبو علي أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م):
- الأعلاق النفسية، ليدن، بريل، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م.
- ابن رشيق: أبو علي الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م):
- العمدة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- الرفيقي القيروانى: أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم
- (ت القرن الخامس الهجرى /الحادى عشر الميلادى)
- تاريخ إفريقية والمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ط ١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- الرشيد بن الزبير: رشيد الدين أبو الحسين أحمد بن علي بن إبراهيم
- (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م):
- الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، الكويت، دائرة المطبوعات و النشر، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.
- ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):
- الألحان المسلية فى حلى جزيرة صقلية، تحقيق مورتيز، من كتاب Centenario، بلرم، ١٩١٠م.
- المغرب فى حلى المغرب، تحقيق: د. شوقى ضيف وآخرون، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- السلوى : أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى (ت ١٣١٥هـ / ١٨٧٩م)

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤م

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين

(ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

-حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه: خليل منصور، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.

الأشبيلى: أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام توفي في

(القرن السادس الهجري/الثالث عشر الميلادي):

-المقنع في الفلاحة، تحقيق: صلاح جر، إشراف د. عبد العزيز الدوري، الأردن، منشورات مجمع اللغة العربية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الشهر ستاني: أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (١١٥٣هـ/١٥٤٨م):

-الملك والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، القاهرة، مكتبة الحلبي، ١٩٩٧هـ/١٩٧٦م.

الشيذري: عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م):

-نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق د. السيد الباز العربي، بيروت، دار الثقافة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الأصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي

(ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي):

-المسالك والممالك، ليدن، بريل، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

ابن الصيرفي: أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت ٥٤٢هـ/١١٤٨م):

-تاريخ دول الإسلام، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م

-الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، القاهرة، ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م.

الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٣م).

-بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ/٨٧١م):

-فتوح مصر والمغرب، تحقيق: شارلز نبوري، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

ابن عذاري المراكشي: أبو عبد الله محمد بن محمد

(كان حيا في سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م)/

-البيان المغرب فى أخبار المغرب، تحقيق، ج.س كولان، ليفى بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

. أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن عبد الملك المؤيد صاحب حماه
(ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م):

-المختصر فى أخبار البشر، القاهرة، مكتبة المثنى، ج ٢، د.ت.

-تقويم البلدان، بيروت، دار صادر، د.ت.

ابن الفرضى: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م):

-تاريخ علماء الأندلس، صححه السيد عزت العطار، القاهرة، مطبعة المدنى، ط ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

القزوينى: زكريا محمد بن محمود القزوينى (ت ٤٦٥هـ/١٧٠٣م):

-أثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، د.ت

- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، قدم له وحققه : فاروق سعد، بيروت ، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٣م.

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):

-قلائد الجمان فى التعريف بقبائل الزمان، تحقيق إبراهيم الأبيارى، القاهرة، وزارة الثقافة، ١٤٠٣هـ/١٠٨٢م.

-صبح الأعشى فى صناعة الأنشاء، القاهرة، وزارة الثقافة ، د.ت

الكتبى: محمد بن شاکر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

-فوات الوفيات والزيل عليها، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، د.ت

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٤٤هـ/١٣٧٢م):

-البدایة والنهاية، القاهرة، دار الفكر العربى، ط ١٣٤١هـ/١٩٢٢م.

المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

-مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط ١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

-التنبيه والإشراف، ليدن ، بريل، ١٨٩٣م.

المقدسى: شمس الدين بن عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشارى

(ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):

-أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولى، ط ٣، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

المقرئ: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م):

-نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م):

- إعطاء الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ج ١.
 - تحقيق د. محمد حلمي محمد، ج ٢، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ت
 - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ت.
- ثانيا : المراجع العربية.**

إبراهيم العدوي : -الأمويون والبيزنطيون، البحر المتوسط بحيرة إسلامية، القاهرة ، مكتبة الأنجلو، د.ت.

-السفارات الإسلامية إلي أوروبا في العصور الوسطي .القاهرة،دار المعارف،هـ/ ١٩٥ .

-بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي . القاهرة، مكتبة الأنجلو،/١٩٧٠م.

إحسان عباس (الدكتور): -العرب في صقلية ،القاهرة،دار المعارف،١٩٥٩م

-معجم العلماء والشعراء الصقليين ببيروت ، دار الغرب الإسلامي ،ط١ ، ١٩٩٤م.

أحمد توفيق المدني : -المسلمون في جزيرة صقلية ، -تونس ، مكتبة الاستقامة / ١٣٦٥هـ.

أحمد مختار العبادي : التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت، دار النهضة العربية .

أحمد مختار العبادي :السيد عبد العزيز سالم -تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، بيروت،دار النهضة العربية،١٩٨١م.

-تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط في المغرب والأندلس ،الإسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة، ج٢، ١٩٩٣م.

أمين توفيق الطيبي:-دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية،ليبيا ،طرابلس،دار أقرأ للطباعة والنشر،١٤٠٠م/١٩٩٠م .

دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس لليبيا ،الدار العربية للكتاب،١٤٠٤هـ /١٩٨٤م.

أدم مبيتز - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، تحقيق: عبد الهادي أبوريدة،
القاهرة، مطبعة التآليف والترجمة والنشر، ط2، 1366هـ / 1947م.

أرشيبالد .ر. لويس :

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط 500م/1100م ترجمة: أحمد محمد
عيسى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	الصفحة
٣	المقدمة	٣
٤٣ - ٥	الفصل الأول	٤٣ - ٥
٨٠ - ٤٥	الفصل الثاني	٨٠ - ٤٥
١١٤ - ٨١	الفصل الثالث	١١٤ - ٨١
١٤٢ - ١١٥	الفصل الرابع	١٤٢ - ١١٥
١٤٢ - ١٤١	الملاحق	١٤٢ - ١٤١
١٤٩ - ١٤٣	المصادر والمراجع	١٤٩ - ١٤٣
١٥٠	الفهرس	١٥٠

